النصيرية

دراسة تحليلية

تقي شرف الدين



المقدمة

ونحن في هذا الظرف الـذي تشهـد فيـه الأمـة العربية تحديات خطيرة احـوج مانكـون فيـه الى الـرؤ يـة الصحيحـة والمجـابهـة الصـريحة للعلل والأسبـاب الفـاعلة في الأحـداث وكشف طبيعتها وتعيين مداها وتأثيرها ، وعندها تكون المعالجة اصيلة متبصرة تذكي الوعي وترتفع الى مستوى التحدي .

وفي هذا الأطـار تبرز اهميـة الـدراسـات العلميـة الجـادة في تقديم فهم صادق لعـلاقـة ماضينـا بحـاضرنا ومستقبلنا ، وبذلك نكون ابدا حذرين يقظـين كي لانخطئ الهـدف ولا نتنكب عن السبيـل القـويم . والكتـاب الـذي نقـدمـه للقـارئ العربي هو أحد روافد تلك الدراسات ، اذ يتناول بالتحليل طائفة تتمركز في جزء من الأرض العربية كانت ـ ومازال ـ تسهم في صنع الأحداث ، هي «الطائفة النصيرية» .

ولا نغـالي اذا قلنـا ان موضـوعا كهذا لم تصدر منه من قبل دراسة واقعية اكاديمية بأستثناء بعض الكتابات التي تناولت جوانب منه . ولعل مرد ذلك انـه ليس من المـوضـوعـات السهلة التي يمكن ان يكون الحديث عنها امرا ميسـورا ، فحلقـاتـه متـداخلة لا من حيث الأصـول والتنظيمات والعقائد فحسب وانما بما يرتبط به من اهداف وغايات عبر مسار تاريخي طويل .
لقـد ظهـرت الطـائفـة النصـير يـة التي عرفت بهذا الأسم نسبـة الى مؤسسهـا «ابي شعيب محمـد بن نصـير» في القـرن الثالث الهجري الذي شهـد حركـات باطنيـة عديـدة مارست نشـاطا سياسيا كانت له اثاره على مسرح دولة العرب .

وبحكم الطبيعـة المغلقـة للنصـير يـة ، تطورت اساليب نشاطهم ابان حقب التاريخ المتعاقبة ، وحيث ان المنطقة التي استقرت رحالهم بها في نهاية المطاف ، وهي سلسلة جبال البهراء ـ شمالي سوريا ـ والتي عرفت بأسمهم منـذ ذلـك الحـين ، قد وفـرت لهم مستلزمات العزلة التي يسعون اليها من اجـل المحـافظـة على وجودهم ، ومن ثم ممارسة الدور الذي يتطلعون اليه بالقـدر الـذي تسمـح به المتغـيرات في المنطقة . وقد تجلى ذلك في اعقاب الحـرب العـالميـة الأولى حين تداخلت المتغـيرات السيـاسيـة واهـدافهم بالشكـل الـذي اقتضى تسمية منطقتهم من قبل الفرنسيين في سنة ١٩١٩ «بـلاد العلويـين» ، فكـان هذا بداية الانتقال الى مرحلة اخرى أخذ فيها نشاطهم ابعاده الحقيقية .

ويمكن القـول ان السلوك السيـاسي للنصـير ية كان يقوم على الموازنة بين القـدرات الذاتية من جهة وامكانية تحقيق الاختراق للمجتمع العربي

من جهــة اخــرى . لذا اتخــذوا من التــدرج في الخطــوات سبيــلا لتحقيق اهــدافهم وهــذا ماتميــز به تأريخهم المعــاصر حتى تسلمهم السلطة ، حيث بدأت الممارسة الفعلية ضمن الأطار المرسوم .

لقــد قسمنــا دراستنــا هذه الى ستــة فصــول ، تنــاولنا في الفصل الأول التــوزيــع الجغــرافي للطائفة النصيرية ومناطق تمركزها الرئيسة وعلاقة ذلك بفعالياتها وتفكيرها السياسي .

وفي الفصــل الثــاني ، عالجنــا التركيب الاجتماعي النصيري وما يتصل بذلــك من قوى اجتــماعيــة محلية تتمثــل بأحــلافهم وتقسيماتهم العشائرية بالاضافة الى اسس حياتهم الاقتصادية .

وخصص الفصــل الثــالث للجــانب التــاريخي ، حيث تنــاولنا فيه نشأة الطــائفــة والحــركــات البــاطنيــة التي عاصــرتهــا في المشــرق العربي وكيفية استقــرارهــا في منطقــة جبــال سوريــا الســاحليــة ثم الدور السياسي الذي مارسته عبر العصور المختلفة ، وتأثيراته على تطور الأحداث التي اقترنت بأندفاع قوى عديدة بأتجاه المنطقة .

امــا الفصــل الــرابــع ، فقــد تنــاولنــا فيه معتقدات النصيرية وافكارها وطقوسها من خلال التحقق من منابعها الأولى التي صدرت عنها ، وما طرأ عليها من تغير وصور متجددة ، وبيان اوجه التماثل بينها وبين بعض المعتقدات .

وفي الفصل الخامس ، اوضحنا مدى التغلغل الذي حققته النصيرية في المؤسستين العسكرية والسياسية وعبر قنوات عدة ، ومن ثم الأستحواذ على السلطة .

وتناولنا في الفصل السادس التحرك السياسي للنصيرية ضمن محاوره العربية والدولية ، ومدى تأثيره وانعكاسه على مجمل الاوضاع في المنطقة ، وماتواجهه من تحديات خطيرة .

لقد اعتمدنا في هذه المقدمة الايجاز في الحديث عن عراقة سلوك النصيرية في معاداة الامة العربية عبر مسيرة التاريخ ، واكتفينا بالاشارة الى صور ومواقف منها في تاريخ الامة المعاصر ، لأن فصول الكتاب اللاحقة قد اغنت ذلك الى حد بعيد .

قد لا نغالي اذا اكدنا ـ بتواضع ـ ان القارئ سيجد في هذا الكتاب مادة ثرة قد استقيت من منابعها الاصيلة ومن اهم المصادر والمراجع التي تحدثت عن النصيرية من قريب او بعيد ، املين ان يأخذ الكتاب مكانه المناسب في المكتبة العربية التي تفتقر الى الدراسات المعمقة عن هذه الطائفة واهدافها .

والله من وراء القصد .

المؤلف

الفصل الأول

التوزيع الجغرافي



ان دراسة التوزيع الجغرافي للطائفة النصيرية في سوريا تشير الى تمركز اغلبيـة الطـائفـة في المناطق الآتية «لاحظ الخارطتين رقم ١ ، ٢» : محافظة اللاذقيـة بأقضيتهـا الأربعة اللاذقية والحفة «صهيون» وجبلة والقرداحة ، ومحـافظـة طرطوس بأقضيتها الخمسة ، طرطوس وبانياس «مرقب» والشيخ بدر «قـدمـوس» ودريكيش وصـافيتـا «الحصن» ، كما يتمـركزون في بعض الأقضيـة المجـاورة لهاتـين المحافظتين ، ففي محافظة حماة ، قضاء مصياف «العمرانية» وبعض القرى في قضاء حماه ، وفي محافظة حمص ، قضاء تل كلخ .

ان هذه الأقضيـة جميعهـا تشكـل منطقـة جغرافية متصلة ، ثلثا سكانها تقـريبـا من النصـيرية وهذا يزيد على ثلثي عدد النصيرية في سوريا ، في حين يوجـد بقيـة النصـيريـة بأعداد قليلة في مناطق متفرقة من سوريا مثل القنيطـرة وبعض المـدن الكبيرة مثل دمشق في محلة الميدان ، وحمص وقليل في حلب .(١)

والمستقـرئ للاحصـاءات السكـانيـة التي اجـريت في سوريـا اوائـل السبعينيـات يلاحـظ انهـا لاتضم سوى اربعـة حقـول هي ، المسلمـون والمسيحيون واليهود وديانات اخرى.(٢)

---

(١) محمـد امـين غالب الطويل ، تاريخ العلويين ، دار الأندلس للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٦٦ ، ص ٤٦٨ ، مصطفى الشكعـة ، اسلام بلا مذاهب ، الدار المصرية للطباعة والنشر ، ط٢، بيروت ١٩٧١ ، ص ٣٠٣ .

(٢) الجمهـوريـة العـربيـة السـورية ، سجلات الأحوال المدنية للسنوات ١٩٧٠ - ١٩٧٣ . ويبـدوا ان الحقـل الأخـير يعني اليزيدية لأن الرقم الذي يذكر فيه هو «٥٤٢٩» نسمة لسنة ١٩٧٣ وهو يمثل حجم اليزيدية في سوريا .

ومعنى هذا ان هذه الاحصاءات اعتبرت النصيرية وبقية الطوائف غير المسيحية واليهودية ضمن حقل المسلمين في حين كانت الاحصاءات السكانية في الخمسينات تتضمن حقلا خاصا لكل طائفة ومنها النصيرية ، ففي سنة ١٩٥٢ كان عددهم ٣٧٤٨٥٠ نسمة يشكلون مايقرب من ١١٪ من سكان سوريا البالغ عددهم زهاء ٣ر٣ مليون نسمة .[٣] واذا ماافترضنا ان نسبتهم بقيت كما هي حتى الان ، وان سكان سوريا يقدرون اليوم بـ ١٠ ملايين نسمة فأن عدد النصيرية منهم يبلغ زهاء ١ر١ مليون نسمة ، ورغم كون النصيرية اقلية ، الا انهم اكبر الاقليات عددا فهم يشكلون اكثر من ثلث الاقليات الدينية في سوريا .

وتبين صورة التوزيع الجغرافي للنصيرية في سورية ان هذه الطائفة كانت منعزلة جغرافيا ، اوكما يسميها بعض الباحثين «الاقلية المغلقة[٤]» ، وهي الاقلية التي تتركز بشكل رئيس في منطقة معينة وتشكل فيها اغلبية محلية . ويمكن تحليل العوامل التي تفسر صورة التوزيع الجغرافي للطائفة بالشكل الاتي :-

أ ـ العوامل الجغرافية الطبيعية :

تمتاز منطقة العزلة النصيرية في كونها اكثر مناطق سورية وعورة

---

(٣) للمزيد من التفاصيل ، انظر : عبد الرحمن حميده ، جغرافية سورية البشرية ، مطبعة الجيلاوي ، القاهرة ١٩٧١ ، ص ٥٢١ ، عبد العزيز عثمان ومحمد التقي عبد الرحمن ، سورية ولبنان ، مكتبة ربيع ، حلب ١٩٥٤ ، ص ١١٨

(4) Van Dam, Nikolas "The Struggle for Power in Syria," Croom Helm, London, 1979,P.21.

وارتفـاعـا ، حيث تمثل جبال النصيرية العمود الفقري للمنطقة [٥] ، وكما هو واضـح في الخـارطـة «٣» تمتد هذه السلسلة الجبلية من منابع نهر الكبير الشمالي،الـذي يفصلهـا عن جبـال الاقرع في لواء الاسكندرونه ، الى نهر الكبير الجنوبي الذي يفصلها عن جبال لبنان الغربية . وهي جبال التوائية يبلغ اعلى ارتفـاع لها في الشـمال عند صلنفة «١٥٦٢ق» ، كما انها عريضة نسبيـا اذ يتراوح عرضهـا مابـين ٢٥ ـ ٣٠ كم ، ويبلغ طول السلسلة من الشـمال الى الجنـوب ١٣٠ كم ومن اشهـر جبـالهـا القـدمـوس والشعـره والكلبيـه ، وتنحـدر سفـوح جبـال النصـيرية غربـا بصـورة تدريجية نحو البحـر ، امـا من الشـرق فأنهـا تنحـدر انحـدارا عمـوديـا نحـو الأخـدود الأنكسـاري وخـاصـة عنـد سهـل الغـاب الذي يجري فيه نهر العاصي ، وتصـل شدة الأنحـدار احيـانـا الى ١ كم في مسافة ٨٠ كم ، اي انها تبدو كجـدار شاهق ، ولا تخترقهـا الممـرات من وسطهـا سوى طريق حماه ـ مصيـاف ـ بانيـاس في الجنـوب ، ولكنهـا تلتف حول اطـرافهـا ، كطريق حلب ـ جسـر الشغـور ـ الـلاذقيـة في الشـمال ، وطريق حمص ـ تل كلخ ـ طرابلس في اقصى الجنـوب ، وتـوجـد في جبـال النصيرية صدوع وشقوق عميقـة وقمم مسننـة ، ونظرا لمناعتها ووعورة مسالكـها ، فقد اقيمت فيها القلاع التاريخية الحصينة للسيطرة على طرق النقل الساحلية او المنافذ التي تربطها بالداخل ، كقلعة صهيون بالقرب من الحفة ، وحصن المرقب قرب

---

(٥) كانت جبـال النصـيرية تسمى بأسماء عديدة عبر العصور التاريخية ، ومن اسـمائهـا «بـرجيلوس» و«البهراء» طه باقر : مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة جـ ٢ ـ شركة التجارة والطباعة المحدد ـ بغداد ١٩٥٦م ، ص ٢١٤ .

بانيـاس ، وبـرج صافيتـا ، وقلعة الحصن المسماة «حصن الاكراد» بالقرب من تل كلخ .[٦]

امـا من ناحيـة المنـاخ فتمتاز جبال النصيرية بالبرودة الشديدة شتاءاً ، والاعتدال صيفاً ، وامطارها شتوية غزيرة تتراوح بين ١٠٠ ـ ١٥٠ سم ، وتدوم مدة ستة اشهر[٧] . ومعنى هذا انها كافية للزراعة المطرية اضافة الى خصـوبـة التربة وبخاصة في السفوح الغربية ، حيث تزرع الحبوب والتبغ والكـروم ، «الشجـرة المقـدسة عند النصيرية» ، وينابيع الجبال قليلة لأن الطبقـة الكتيمـة من الصخور تقع على عمق كبير ، فتتسرب مياه الأمطار الى اعماق الأرض ، واهم الينابيع نبع السن ونبع بانياس ونبع الأبرش[٨] .

نستنتـج مما سبق ان المنطقـة حصينـة وصعبـة الاجتياح اضافة الى توفر امكانات الزراعة اللازمة لأعالة سكانها ، كل هذا جعل الطائفة النصيرية تتخذ منها ملاذاً وملجأ . ولقد كانت المناعة الطبيعية لجبال النصيرية سبباً في المحـافظـة على المـوجودين فيها من النصيرية [٩] . وتزداد اهمية المنطقة اليـوم بأعتبـارهـا المنفذ البحري الوحيد الذي بقي لسوريه بعد فقدان لواء الاسكندرونه واستقلال لبنان .

---

(٦) عبد العزيز عثمان واخر : المصدر السابق ص ٥٦ ـ ٥٧ .

(٧) نفس المصدر السابق ، ص ٩٠ .

(٨) نفس المصدر ، ص ٣٠٧ ـ ٣٠٨ .

(٩) ابوموسى الحريري : العلوين النصيريون ـ بيروت ١٩٨٠ ، ص ٢١٤ .

ب ـ العوامل الجغرافية التاريخية والبشرية :ـ

كانت سورية محطاً لهجرات البدو من الجزيرة العربية منذ اقدم العهود كما كانت بودقة انصهار الحضارة والبداوة ، وان حصة بلاد الشام من هذه الهجرات كانت اعظم من حصة اي من اقطار الشرق الأدنىٰ التي هاجر اليها البدو من الجزيرة العربية ، ولا يعني هذا ان استيطاناً جماعياً للجبال قد تم من قبل هذه العشائر فجغرافية المنطقة لاتسمح بذلك . وفي كل مكان حول شبه الجزيرة العربية توقف بدو الصحراء توقفاً واضحاً امام الجبال وكانت سلسلة جبال البهراء مستعصية عليهم لنتوءاتها ولوعورة مسالكها وصعوبة اجتيازها ولطبيعة مناخها . وقد وجدت جماعات النصيرية في هذه المنطقة الوعرة مأوى لها فتوافدت اليها واتخذت منها مسكناً دائماً لها حتى يومنا هذا ، ومنذ ان استوطنوها اخذوا يفرضون عاداتهم وتقاليدهم وقيميهم عليها[١٠] . وبقيت عقائدهم وثنية متخفية وراء بعض الطقوس الاسلامية[١١] . حتى اخذت صورتها الأخيرة بتغذيتها من فارس في مراحل تأريخية مختلفة ، وهنالك الكثير من المؤشرات التي تثبت ذلك منها :ـ

١ـ ان مؤسسي العقيدة النصيرية من بلاد فارس ، فقد كان محمد بن نصير العبدي من فارس كما كان يمجد شخصيات فارسية مثل ازدشير وسابور اللذين يعدان تجسيداً للالوهية[١٢] ، وكان عبدالله الجنبلاني

---

(10) Weulersse Jaques, "Le Pays des Alaouites," Tours, 1940 Tome I,P.328.

(١١) ح . رشيد تانقوت : النصيريون والنصيرية ـ مطبعة ديفل اسطنبول ١٩٣٨ ، ص ١٣ .

(١٢) ابو موسى الحريري : المصدر السابق ، ص ٢٧

من مدينة جنبلا الفارسية ويلقب بـ «الفارسي» ، وكذلك كان خليفته الخصيبي الذي ترك جنبلا وساح بلاد خراسان ثم استقر في سوريا[١٣] .

٢- وجود فرق من النصيرية والعلي الهيه «اهل الحق» المشابهين لهم في العقيدة ، في بلاد فارس الى اليوم[١٤] ، وكذلك على الطريق بين فارس وسوريا عبر تركيا «الانضول»[١٥] . ذلك لأن رجال خراسان في وقت من الأوقات كانوا يطوفون الأنضول افراداً او جماعات في الاماكن التي يرون فيها افكاراً بعيدة عن الاسلام ويبنون فيها مراكز لنشر أفكارهم لأن أهل خراسان لم يقبلوا الاسلام بصدق وكانوا دائماً تحت تأثير النصيرية [١٦]

٣- يوجد النصيريون اليوم اضافة الى وجودهم في سوريا في لواء الاسكندرونه وفي منطقة كليكيا «قيليقيا» في تركيا بجوار منطقة وجودهم في سوريا . وقد كان كثير من قبائل النصيرية في ايام العباسيين يرحلون من خراسان ويأتون الى جوار نهر العاصي والى جبال اللاذقية ويستوطنون فيها ، وجاءت قبيلة عبدى من «ماوراء النهر» ، اي منطقة نهرى سيحون وجيحون في شمال بلاد فارس ، وهذه القبيلة الاعجمية ينتسب اليها مؤسس العقيدة النصيرية محمد بن نصير عبدى ، ويذكر الخصيبي في كتابه «الهداية» أن العبدين هم

---

(١٣) نفس المصدر ص ٣٠ ، محمد امين غالب الطويل : المصدر السابق ص٢٠٥

(١٤) المصدر السابق ص ٤٦٩ .

(15) Lammens, H., "Une Visite au Saih Supreme Des Nosairis Haïdaris" journal Asiatique, Onzieme Serie, Tome V.

(١٦) رشيد تانقوت : المصدر السابق ، ص ٣٢ .

قبيلة نصيرية من بلاد فارس[17] . ويتضح في الخارطة «رقم ٤» أن كليكيا ، التي سكنها النصيريون ، يجرى فيها نهرا سيحان وجيحان ، ويلاحظ هناك تشابه بين اسماء الأنهر في منطقتي النصيرية في فارس وكليكيا ، مما يوحي بوجود علاقة بين سكان المنطقتين .

يتضح من المؤشرات السابقة ان الامدادت العقائدية للنصيرية كانت تأتى من بلاد فارس .

وكان لابد لهذه المؤشرات ان تترك اثارا انثروبولوجية «سلالية» في الجماعة النصيرية فجعلت المجتمع النصيري مميزاً ، ولهذا السبب يستطيع عامة الشعب السوري تمييز النصيري في كثير من الأحيان من رأسه في كونه مستويا من الخلف .

جـ ـ الزحف الجغرافي للنصيرية :ـ

بعد ان ضاقت جبال النصيرية بسكانها ، بحيث اصبحت اعلى مناطق الكثافة السكانية في سوريا ، ولما كانت قابلية الجبال على الأعالة محدودة فقد رأى النصيريون ان مجالهم الحيوي للتوسع هو السهول المجاورة على جانبي جبال النصيرية فبدأوا بالزحف اليها . وقد احتل القرويون النصيريون ، بأنحدارهم من مرتفعاتهم ، السهول الخصبة المحيطة بهم شيئاً فشيئاً ، كسهل عكار في الجنوب «في لبنان» وسهل اللاذقية في

(١٧) المصدر السابق ، ص ٣٣ .

الغـرب ، وسهـل الغـاب في الشـرق ، وهكذا انتشروا فوق كل الاراضي التي كونوا فيها ، فيما بعد ، دولتهم النصيرية «دولة العلويين»(١٨) بعد ان اصبحوا اغلبية في المنطقة .

وقت تراجعت الاقليات الأخرى امام زحف النصيرية منذ مطلع القرن التاسع عشر ، فقد كان المسيحيون يشكلون الاغلبية في بعض القرى مثل ديـر شميـل وعلميـة فأصبحت هذه القـرى الآن نصيرية ، وفي **١٩٢١** ، بعـد غزوات النصـيريـة ، قرر نصف سكان قرية سرية المسيحيون الهجرة الى سكـالبيـة ، ثم تبعهم البقية فيما بعد ، وكذلك الحال بالنسبة لمسيحي المنطقـة الـداخليـة ولا سماعيـلي الجبـل ، فقـد تراجعت الاقليات المهددة وتوجهت الى المدن الكبيرة . لقد انحدر الفلاحون النصيريون من جبالهم واحتلوا الغـاب كله غرب نهر العـاصي ، امـا في السهل فقد استقروا على التـلال المهجـورة ، التي تحمـل آثـار اقـامـة بشرية قديمة وطويلة «مثل تل سلهب» كما انتشـروا في داخـل سوريـة ، ففي قضـاء حماه وحده هناك ٤٠ قرية لهم ، وقد ساعدهم على ذلك كون النصيري فلاحا مخادعاً لايتسنى للبـدوي ان ينـافسـه في هذا المضـمار ، وهذا ماجعل اغوات حماه يفضلونه على الثـاني ، حينـما يريـدون استثـمار اراضيهم ، كما يرون في الفـلاحـين النصـيريـين اكثـر ضمانـا وخضـوعا لأن هؤلاء الفلاحين الساكنين في بلاد غريبـة ومعـادية لايمكنهم الاستغناء عن وصاية اسيادهم وحمايتهم ، وهذا مايفسر الاستيطان الحديث للقرى الشمالية الشرقية لقضاء حماه(١٩) .

---

(18) Weulersse, op cit, p. 121.

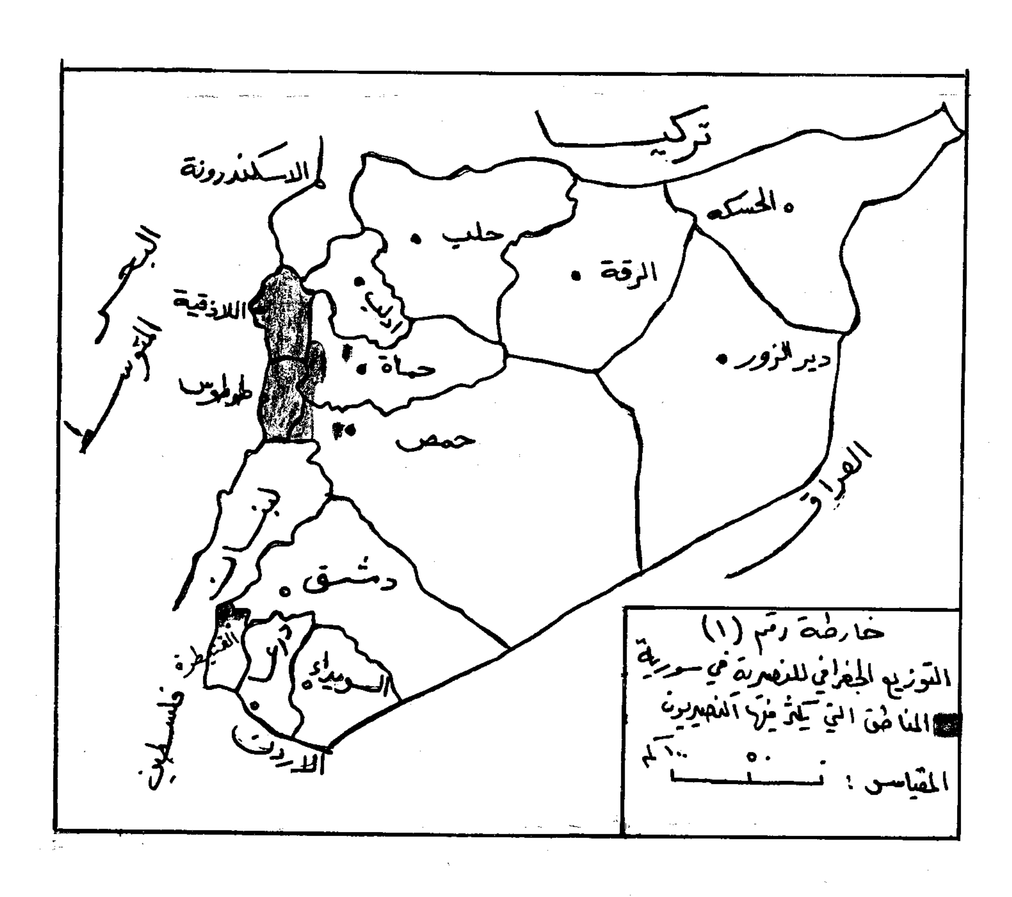
(١٩) المصدر السابق ، ص ٦٣ ـ ٦٤ .

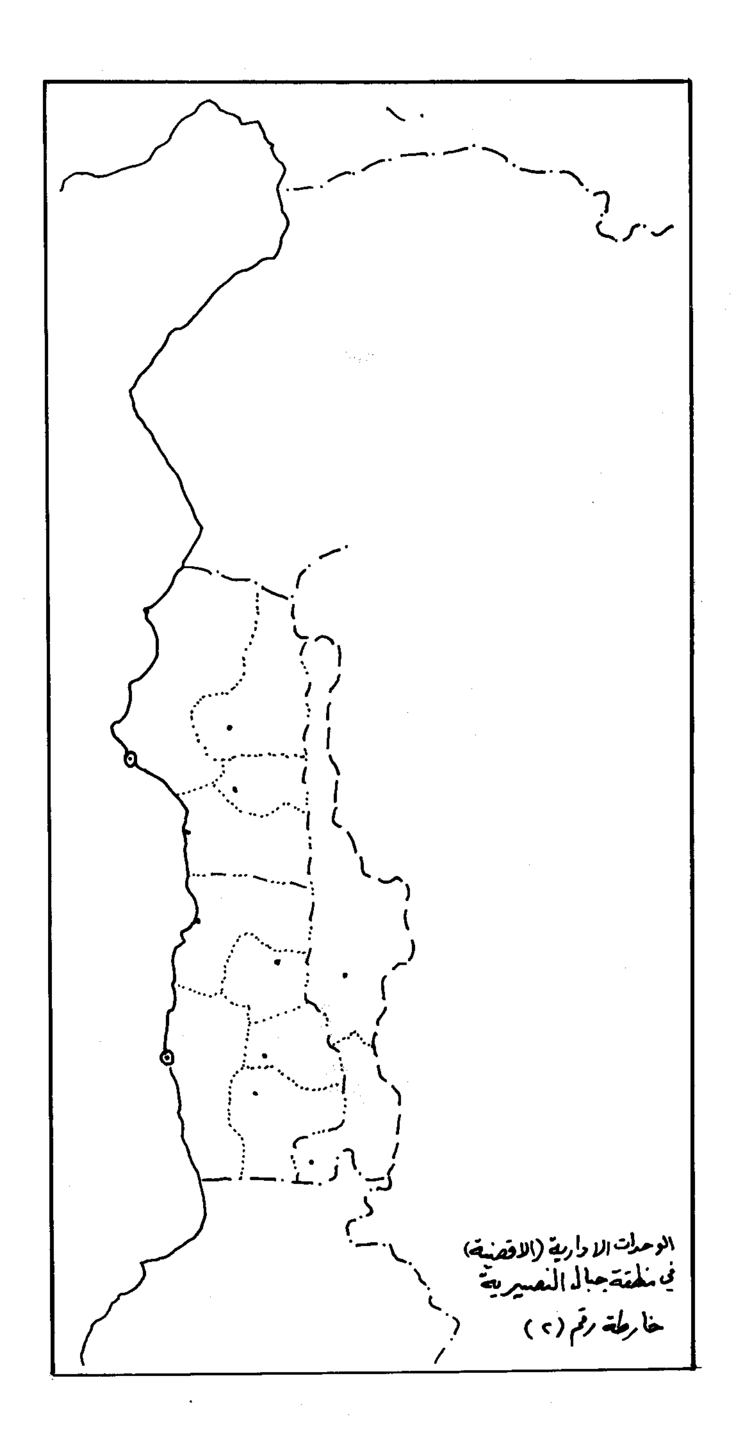
وهكذا غدا النصيريون يشكلون الأغلبية في محافظتي اللاذقية وطرطوس اضافة الى انسيابات فائضة منهم وجدت طريقها الى المحافظات المجاورة ، حمص وحماه[٢٠] . فأصبح الطريق ممهدا لقيام دولة النصيرية في عهد الاحتلال الفرنسي ، وفي سنة ١٩٢٠ تكونت الدولة المذكورة بمساحة قدرها ٦٥٠٠ كم٢ حدودها من الشمال لواء الاسكندرونه ومن الجنوب لبنان ومن الغرب البحر المتوسط ومن الشرق المحافظات السورية ادلب وحمص وحماه .

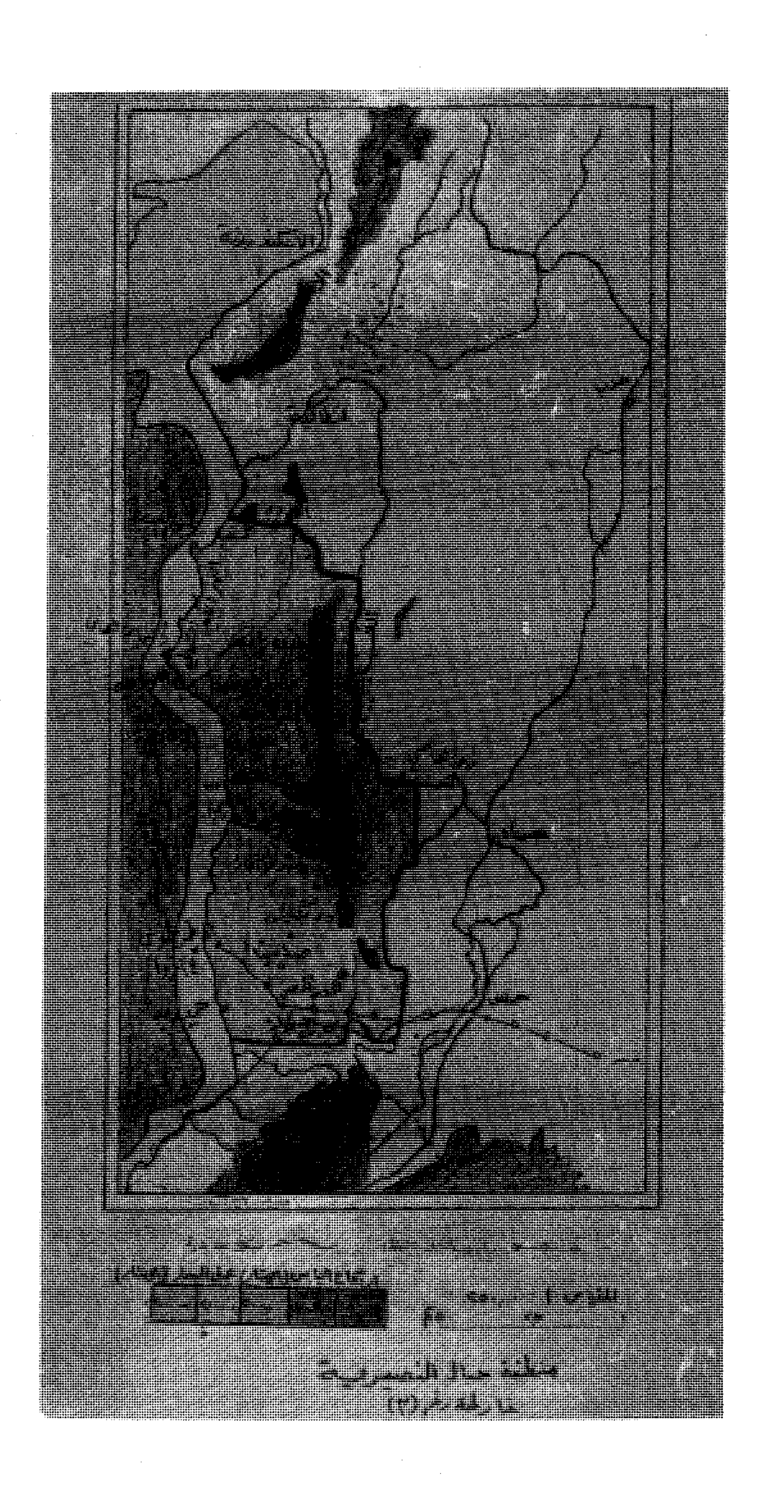
ولقد اعقب ذلك حدوث بعض المؤشرات على ان النصيرية غيروا تحركهم بعد ان وجدوا الانفصال لايرضي طموحهم . واتجهوا بعد عودة منطقتهم الى سوريا الى العمل من اجل السيطرة على سورية كلها ، فبدأوا اولاً بزحف جغرافي جديد .

---

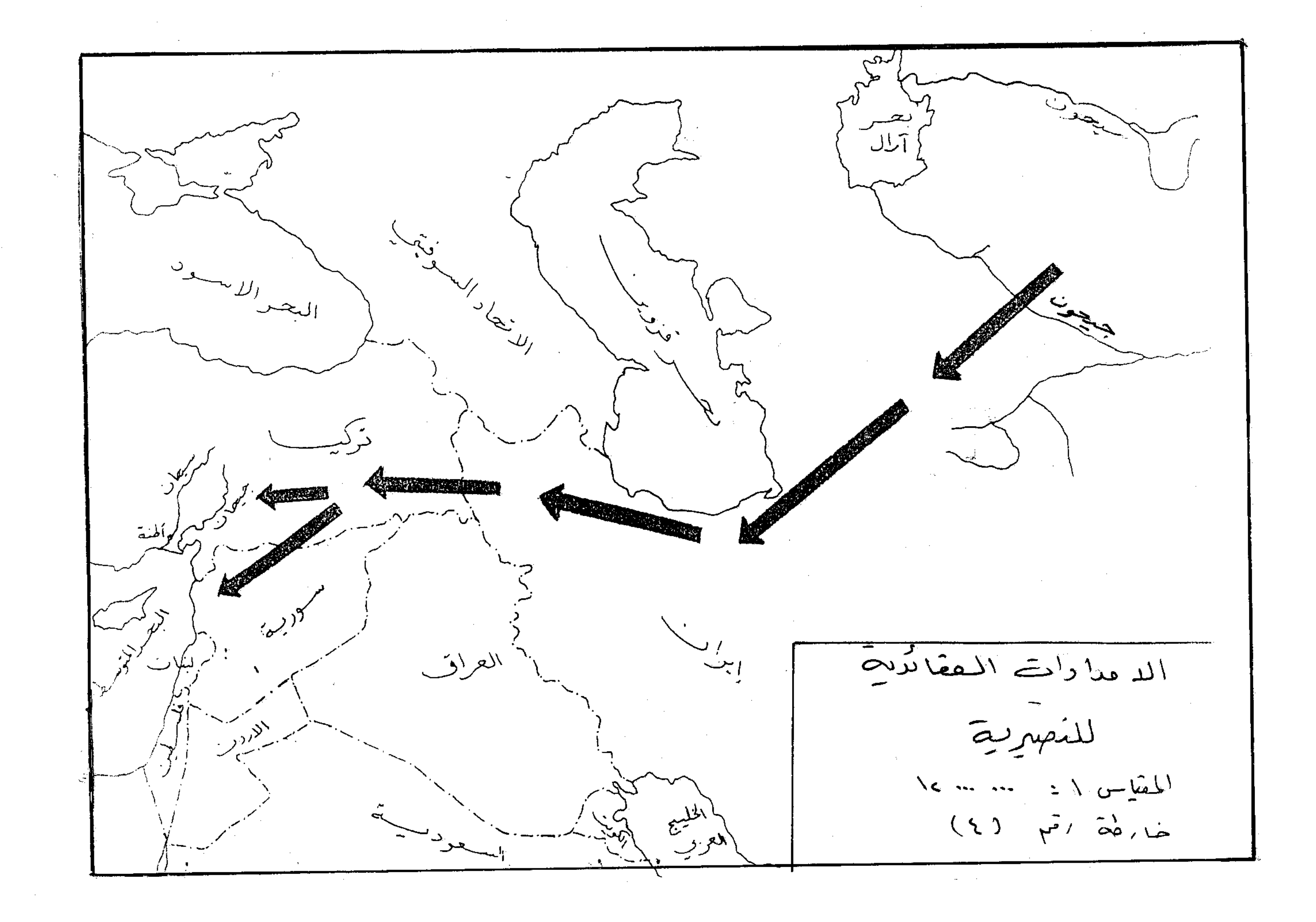
(20) Gubser, Peter, "Minorities in Power : The Alawites of Syria" in R.D.Mclaurin (E dit), "The Political Role of Minority Groups in the Middle East," Praeger, N.Y., 1979, P.17.


تركيا
الاسكندرونة
البحر المتوسط
حلب
الحسكة
الرقة
ادلب
اللاذقية
حماة
دير الزور
طرطوس
حمص
العراق
لبنان
دمشق
القنيطرة
درعا
السويداء
فلسطين
الاردن
خارطة رقم (١)
التوزيع الجغرافي للنصيرية في سورية
المناطق التي يكثر فيها النصيريون
المقياس : ٥٠ ١٠٠ كم


الوحدات الادارية (الاقضية)
في منطقة جبال النصيرية
خارطة رقم (٢)



منطقة جبال النصيرية
خارطة رقم (٣)



الامدادات العقائدية
للنصيرية
المقياس ١ : ١٠
خارطة رقم (٤)
بحر آرال
جيحون
البحر الاسود
الاتحاد السوفيتي
قزوين
تركيا
سيحان
جيحان
سورية
البحر المتوسط
لبنان
الاردن
العراق
ايران
السعودية
الخليج العربي



الفصل الثاني

التركيب الاجتماعي



يتميز التركيب الاجتماعي [٢١] النصيري بالولاء المطلق والثابت للطائفة ولمعتقداتها الدينية من جهة ، وللعائلة او العشيرة من جهة اخرى . ولقد حافظ هذا الولاء على استمراريته نتيجة للولاء الاقليمي الضيق الناجم عن العزلة الاجتماعية والجغرافية والسياسية للنصيرية .

ولقد عمد النصيرية لمواجهة تصاعد المد القومي العربي الناجم عن التغير الاجتماعي والسياسي الى تبريز النزعة الطائفية والعشائرية ، لذلك فأن التركيب الاجتماعي الحالي للنصيرية ، في السهل ، والجبل ، والمدينة هو امتداد للتركيب الاجتماعي التقليدي .

ولغرض وصف وتحليل التركيب الاجتماعي التقليدي للنصيرية ، وبيان مدى الأثر الذي تركته التطورات الاقتصادية والاجتماعية في سوريا على طبيعة هذا البناء الاجتماعي ، يمكن استعراض الموضوعات الآتية :-

١ - التنظيم الاقتصادي عند النصيرية .
٢ - التوزيع الاقليمي للطوائف الدينية .
٣ - الوظيفة الاجتماعية للمعتقدات الدينية .
٤ - العائلة والتنظيم القبلي .
٥ - التدرج الاجتماعي .

---

(٢١) يقصد بالتركيب الاجتماعي مجموعة العلاقات الاجتماعية التي تربط افراد الجماعة كافة خلال فترة زمنية معينة ، ويحدد البناء الاجتماعي الأشكال التي يتجمع بموجبها افراد الجماعة لتحقيق اهداف اجتماعية مشتركة من ناحية ، كما يحدد الروابط الاجتماعية ، المتمثلة بسلوك الأفراد بعضهم حيال بعض وحيال جماعاتهم الاجتماعية ، من ناحية اخرى .

(١) التنظيم الاقتصادي :ـ

كانت الصفة الغالبة على الاقتصاد السوري ، خلال فترة الانتداب الفرنسي ، هي خضوعه التام لمصالح الشركات الاجنبية التي كانت تحصل على مجمل الانتاج الوطني من المواد الاولية ، والمنتجات الزراعية والحيوانية . لذلك ظل الاقتصاد السوري ، وخصوصاً القطاع الزراعي ، متخلفاً ، يعمل حسب الاساليب الزراعية البدائية . وظل الفلاحون يعيشون حياة صعبة قاسية تحت نفوذ اصحاب الأراضي .

وفي ضوء هذه السمات نستطيع ان نتبين الملامح الاساسية للاقتصاد التقليدي عند النصيرية .

البيئة الطبيعية : تلعب البيئة الطبيعية التي عاش تحت تأثيرها النصيرية دوراً هاماً في التأثير على توزيعهم الجغرافي ، وحياتهم المادية والروحية .
ان المنطقة الرئيسة التي عاش فيها النصيرية في سوريا تتميز بوجود ثلاثة تضاريس ارضية متفاوته : السهل ، الجبال ، والسهول الداخلية ، يمتد السهل على طول ساحل البحر المتوسط وهو سهل ساحلي ضيق ، وفي اقصى الشمال تقع مدينة اللاذقية الكبيرة التي يحيط بها سهل زراعي واسع يدعى ، بالساحل . وفي قلب منطقة النصيرية توجد سلسلة جبلية تدعى «بجبل النصيرية» ، يعيش فيها اغلب النصيرية في كثير من القرى الصغيرة . ويدعى الجزء الشرقي من منطقة النصيرية ـ الذي يقع في اقليم حمص وحماه ـ بالسهول الداخلية .

تتميز جبال النصيرية بفقرها الشديد وتخلفها الواضح ، ولا توجد فيها سوى قطع من الارض الصخرية التي تصعب زراعتها ، وبأستثناء الساحل المحيط بمدينة اللاذقية ومدينة صافيتا في الجنوب ، لاتتوفر فيها امكانات كبيرة للتطور الزراعي ، فهي عديمة الانهار ، ومصادر المياه الدائمية فيها قليلة ، وتربتها عرضة للتأكل بفعل الامطار الغزيرة شتاء ، كما انها عديمة الخصوبة .

وعلى الرغم من الطبيعة الفقيرة للأرض ، ظل النصيرية يعيشون بصورة رئيسة في منطقتهم منذ فترة طويلة ، بأنسجام كبير بين الظروف الطبيعية والجيومورفولوجية ووسائل الاستثمار ، فالحكومات المختلفة التي تعاقبت على الحكم في سوريا لم تستطع ان تؤثر عليهم التأثير العميق الذي يقلب عاداتهم وتقاليدهم وقيمهم رأساً على عقب ، لأنهم ظلوا بمعزل عن التطورات التي اقتصرت في معظمها ، على المدن .

ومن ناحية اخرى ، يعيش النصيريون في نمطين ريفيين مستقلين ومتميزين : فالغالبية هم سكان الجبال ويستمدون منها معيشتهم . ويعيش الباقون بأستثناء قلة يسكنون المناطق الحضرية في السهول المحاذية لساحل البحر المتوسط ، وفي سهول حمص وحماه المجاورة لجبالهم .
والطبيعة الريفية للنصيرية مخالفة للنموذج السائد في اقطار الوطن العربي الذي يتميز دائماً بوجود عنصر حضري قوي . ففي سوريا ، لاتزيد نسبة سكان الريف على الثلثين ، بينما يعيش اكثر من ثلاثة ارباع السكان في محافظة اللاذقية في الريف ، بعيداً عن المدن . ورغم ذلك فقد

تغير هذا النمط في السبعينيات حيث هاجر الكثير من النصيرية الى المراكز الحضرية[٢٢]وقد اثر ذلك على حياتهم كما سنرى .

ويعكس اقتصاد الجبل طبيعة تربته الصخرية ، اذ لاتوجد فيه سوى قطع صغيرة من الاراضي الحجرية التي يصعب زراعتها ، اضافة الى موقعها في سفوح الجبال . ورغم ان جبال النصيرية كانت مأهولة دوما منذ زمن بعيد ، الا انها لم تحظ بأصلاح ساكنيها ، لأن الفلاح النصيري لايملك رغبة طبيعية في زيادة دخله ، ويحب المحافظة على حياته التقليدية ، والحصول على دخل كاف للمحافظة على هذا النمط من المعيشة . لذلك فقد كيف حياته تبعا لظروف الطبيعة الجبلية القاسية .

المستوطنات القروية :-

بالنظر لمعيشتهم في منطقة جبلية ذات كثافة سكانية عالية جداً فقد تجمعوا في عدد قليل من القرى الصغيرة[٢٣]المبعثرة في الجبل ولم تظهر مراكز

(A Committee of the Royal Anthropological Institute of Great Britain and Ireland, Notes and Queries on Anthropology, Sixth Edition, 1954 , P. 63)

(22) Gubser, op. cit., PP.18 - 19.

(٢٣) يقدر جاك فالبراس عدد القرى التي يزيد سكان كل منها عن (٥٠٠) نسمة بما لايزيد على خمس قرى من مجموع (٧٩) قرية . واحدة منها فقط تقع في قلب المنطقة اما الأربع الباقية فتطل على التلال المشرفة على السهول . وبين القرى الاخرى اثنتان فقط تضمان مابين «٢٥٠ - ٥٠٠»نسمة ، (٢٣)

سكـانيـة كبيرة عند النصيرية[٢٤] وبجانب صغر حجم القرى وانتشارها في الجبـل ، فأنهـا تمتـاز كذلـك ببعـدها عن المراكز الحضرية والمناطق المأهولة بالسكـان وبـوعـورة طرق المـواصـلات اليهـا مما يزيد من عزلتها عن العالم الخارجي وبخاصة ايام الشتاء .

ومن الملاحظ تجانس التركيب السكاني بين النصيرية فضلا عن تماثلهم في المهن ، والقيم والعادات والتقاليد والمفاهيم وانماط السلوك الاجتماعي . والقـرية بالنسبة للنصيري ، هي المكان الأساس لصلاته القرابية وعلاقاته الاجتماعية وعليها ترتكز اهم ثلاثة انظمة في حياته أولها «الارض» التي تمده بأسبـاب بقـائـه ، وثـانيهـا «العـائلة» وتتـولى تنشئتـه ورعـايتـه وتكـوين شخصيته ، اما آخرها «فالطائفة» التي تساعده على فهم الظواهر الطبيعية والغيبية التي تؤثر على حياته وعلى علاقاته الاجتماعية .

النظام الزراعي :-

يختلف نظام الزراعة في الجبل عنه في السهل . فالطابع الأساس فيه هو تقسيم الملكية الزراعية الى قطع صغيرة تتناسب مع البيئة الجبلية . لذلك

قريـة مابـين «١٠٠ ـ ٢٥٠» نسمـة ، لذا فان أغلبيـة القرى «٤٩ من مجموع ٧٩» تضم أقـل من ١٠٠ نسمـة او اقـل من (٢٠) عائلة . وبـين هذا العـدد (١٦) قريـة فيهـا اقـل من (٥٠) نسمـة والبعض الآخـر تضم اقـل من (٢٠) نسمة ، اي مايقارب اربعة الى خمسة دور .

(Weulersse, op.cit., pp. 318 - 319)

(24) Ibid .p. 318.

فأن الحقـول القـريبـة من القـريـة كانت غير قادرة على تأمـين المتطلبـات المعيشيـة لسكـان القرية ، فلجأت كل عائلة الى احتلال جزء من الارض القـابلة للحـراثـة ، واستصلحت بعض الاجـزاء المتنـاثـرة التي تقـل فيها الاحجار . ولهذا فقد ظهر عدد من القطع الزراعية الصغيرة المنتشرة ذات الاشكال المتباينة ، وهي تتناسب مع اقصى استخدام للامكانات الزراعية في المنطقة .

في ظل هذه الظـروف ، لامجـال لظهـور الملكيـات الـزراعية الكبيرة . لذلـك اصبحت الملكيـات المتـوسطـة والصغـيرة هي السـائـد في الجبل . والفـلاح هنا ، على العموم ، هو صاحب الارض التي يزرعها ، واسباب ذلـك واضحـة ، فحقـل الجبل هو في الغالب من عمل الفلاح نفسه ، فلا مبر ر لنقـل ملكيتـه ، ثم ان الحاصلات الزراعية من القلة بحيث لاتحتمل الارض ان يكـون لها مالكـان : المـزارع والمـلاك . وتملك الارض من قبل الفـلاح الـذي يزرعهـا امـر طبيعي في الجبـل بحيث اذا كان هنـاك تأجـير للمـزارع ـ وهـو امـر وارد احيـانـا ـ فان العـلاقـات بين المزارعين والملاكين تختلف تمامـاً عما هو سائـد في البلاد الداخلية والسهل . ففي السهل يخضع الفـلاح الى اسيـاده امـا في الجبل فيتمتع بأستقلال أكبر . فأشراف الجبل هم من الشيوخ ورؤساء القبائل ، اما اصحاب الاراضي في السهول فهم من سكان المدن ومن طوائف دينية مختلفة[٢٥] .

ولقـد كانت الملكيـة الكبيرة سائدة في كافة المناطق الداخلية ، وطابعها الأسـاسي هو انهـا بقيت عائلية وغير مجزأة الأمر الذي يضمن لها الاستقرار

(25) Ibid,p. 322

والاستمرار في مختلف العهود السياسية المتبدلة .

يتميز الاقتصاد الزراعي للنصيرية بأنعدام الموارد والتكنلوجيا المتطورة وبشيوع روح الرتابة الأمر الذي قاد الى النتائج الأتية :-

اولاً- اعتمادهم الكلي على قوى الطبيعة وعلى الظروف المناخية ، فالتوازن بين الموارد والحاجات تعتمد كلياً على قوى الطبيعة بدلاً من التغيرات في الأسواق العالمية .

ثانياً- التباين الكبير بين الانتاج من جهة واستثمار الجهد والوقت وعدد العاملين في الانتاج من جهة أخرى .

ثالثاً- التطور الكبير للعلاقات البشرية داخل الجماعة لتعويض النقص الذي تعاني منه في جوانب الحياة المختلفة ، وبسبب الروح التقليدية المميزة للاقتصاد الزراعي عند النصيرية ، فأنه يخلو من أي تخطيط اقتصادي عقلاني .

رابعاً- وجود صراع خفي ودائم بين الفلاحين واسيادهم ، يصحبه شعور بالحقد والكراهية وسلاحهم الوحيد في التعبير عن هذه المشاعر تجاه اسيادهم هو السرقة او الاختلاس ، فكل فلاح لايتردد في اختلاس الحاصلات الزراعية ، واذا ما تصاعد التذمرانقلب الى الشغب ، والاستيلاء على المحاصيل الزراعية . ويمتاز سكان الجبل بعادات السلب والنهب التي رافقت حياتهم طويلاً ، فقد كان النهب يبدو عنصراً مكملاً للاقتصاد الناقص . لذلك فقد كانوا دوماً يثيرون الرعب والخوف في نفوس الناس في السهل المجاور وينهبون اموالهم .

٢ - التوزيع الاقليمي للطوائف الدينية في سوريا :-

يتميز التركيب الديني في القطر العربي السوري ، بخاصيتين اساسيتين : كثرة التنوع الديني من جهة ، وتمركز بعض الاقليات الطائفية في منطقة دون غيرها من المناطق الاخرى ، من جهة ثانية .

يمثل المسلمون غالبية السكان العظمىٰ في سوريا ، اذ تصل نسبتهم الى حوالي ٨٨٪ من مجموع السكان في القطر ، وهم يمثلون اكثرية السكان في محافظات القطر كافة عدا اللاذقية والسويداء «جبل الدروز» . اما النصيرية فيقدر عددهم بحوالي المليون نسمة اومايعادل ١٢٪ من مجموع السكان تقريبا ، وهم يعيشون بصورة رئيسة في محافظة اللاذقية ، ويتوزع الباقون في حمص وحماة ودمشق ومعرة النعمان ، واما الدروز فيقدر عددهم بحوالي (٢٤) الف شخص ، اومايعادل ٣٪ تقريبا ، ويتركز اغلبهم «٨٧٫٦٪» في جبل الدروز ، ويعيش البعض منهم في دمشق وحلب والقنيطرة . ويقدر عدد الاسماعيلية بحوالي (٧٠) الف نسمة يعيش اغلبهم في السلميه وحول حماة والباقون في جبال النصيرية . كما يقدر عدد اليزيدية بحوالي (١٥) الف نسمة .

ويقدر عدد المسيحين في سوريا بحوالي (٨٢٥) الف نسمة ، اومايعادل ٩٫٧ بالمائة من مجموع السكان في سوريا ، ينتمون الى احدى عشرة طائفة ، اكبرها عدداً طائفة المسيحيين الارثوذكس اليونان ويمثلون حوالي ٤١٪ من مجموع الطوائف المسيحية في سوريا ويتركزون في محافظة اللاذقية حيث يمثلون حوالي ١٣٪ من مجموع السكان في المحافظة . ويقدر عدد

اليهود بحوالي (٤) الآف نسمة[٢٦] .

ان اسباب تعدد الطوائف الدينية في سوريا كثيرة ، احدها ، واكثرها اهمية هو التسامح الديني الذي أظهره المسلمون تجاه الأديان السماوية الاخرى ، ان هذا التسامح لم يساعد فقط على احتفاظ الديانات السماوية بهويتها وانما لعب دوراً في بقاء الجماعة الدينية وحدة اجتماعية متميزة . ان القيمة الاجتماعية والسياسية للوحدة الدينية استمرت حتى بعد الغزو الثقافي الغربي للقطر السوري .

وفي القرن التاسع عشر زاد الوعي الجماعي للمواطنين السوريين قوة ، لأن القوى الاستعمارية تولت حماية مختلف الاقليات الدينية خاصة النصيرية والدروز او وقفت الى جانبهم في خصوصياتهم مع الجماعات الاخرى ، اومع الحكومة العثمانية ، حتى كانت احياناً تثير الخصومات فيما بينهم لأغراض سياسية الأمر الذي عزز من ثقة الاقليات الدينية بنفسها[٢٧].

ولقد احتفظت الطائفة الدينية بوظائفها الاجتماعية والسياسية لدرجة كبيرة حتى بعد استقلال الحكم في سوريا . وبقيت الجماعة الدينية تلعب دوراً كبيرا في مجال الحياة الاجتماعية كالجمعيات الخيرية ، ومنظمات الشباب ، والمنظمات النسوية ، وبعض المنظمات الاخرى ، غير السياسية ، القائمة عموما على اساس جماعي .

---

(26) The New Encyclopedia Britannica,vol.17, 15 th edition, 1974, p. 922, Mclaurin, op.cit., Table B - 15,p.282, Baer Gabriel, population and Society in the Arab East, 1964, p. 111.

(27) Baer, op.cit.,pp.76 - 77 .

يظهر اذن ان الجماعة الدينية في سوريا مازالت تشكل الاطار الاجتماعي الحقيقي ، وذلك لأن الديانة ليست موقعاً روحياً مجرداً حسب ، او اقرار ايمان داخلي ، وانما هي اساس السلطة الاجتماعية التي تنظم معظم افعال الحياة الاجتماعية . او المحور الذي تدور حوله معظم الانشطة السلوكية والمعتقدات في المجتمع السوري .

ولعل اهم مايميز الروابط القائمة بين مختلف الطوائف الدينية في سوريا انها لاتقتصر على عدم الثقة والريبة والشك ، وانما تتجاوز هذه الحدود الى صراع بين جماعات سياسية حقيقية ، وليست مذاهب تتصارع على الميدان الروحي ، والغريب في الأمر ان معارضة كل منها للأخرى لاتضعف وذلك لأن كلاً منها تحتفظ بقوة واصرار على نمط عيشها وتنبذ نمط جارتها .

لذا فأن الروابط الاجتماعية بين ابناء الطوائف المختلفة كانت ضعيفة جداً ، والزيجات المختلطة نادرة ، ورغم تعايش الديانات جنباً الى جنب منذ الآف السنين ، فأن احترامها وتفاهمها المتبادلين اضعف من اي وقت مضى ، فلا توافق اجتماعي ، بل بالعكس اتخذت المذاهب كافة مواقف صلبة من بعضها البعض ، وكل منها يظهر عداء سافراً ، في حين يزداد التضامن وثوقا بين اعضاء الجماعة الواحدة وبخاصة عندما تواجه تحديات من قبل الطوائف الاخرى .

ان اخطر نتيجة للتنظيم الاجتماعي للطوائف الدينية هو الجهل الذي يسود بين المذاهب المتجاورة ، مع الحذر والخوف ، ومجموعة من المشاعر المشوبة بالحسد والحقد وحتى الاحتقار احياناً .

ظل نظـام الطـوائف المغلقـة سائـداً في سوريا خلال النصف الاول من القـرن العشـرين ، وقـد لاحـظ ذلـك جاك لبيسريا في الاربعينات واسماه بعقدة الاقلية ووصفه بالآتي :-

« الريبة المرضية والجماعية التي تجعل الاشارة من قبل الجماعة المجاورة تبـدو وكأنهـا خطـر او تحد لمجتمع المرء ذاته والتي توحد كافة اعضاء الجماعة ازاء اقل سخط يرتكب ضد اي شخص من اعضائها » (٢٨) .

وعلى الـرغم من وجـود النصـير يـة في سوريـا منـذ وقت طويـل الا ان المصادر التاريخية لم تذكر شيئاً عن خصائصهم السكانية ، من حيث الحجم والنمـو والـتركيب ، الا النزر القليل ، فقد اهتمت بدراسة جوانب اخرى من حيـاتهم السيـاسيـة والـدينيـة والاقتصادية والاجتماعية . ان اول تقدير سكـاني لأعـدادهم قام به الكـولونيل الفرنسي جاكوسنة ١٩٢٧ حيث قدر عددهم بحوالي «١٧٦٫٢٨٥» نسمة ، جميعهم تقريباً من سكان الريف «١٧٥٫٥١٤»(٢٩) ويـذكر جاك فاليراس ان جماعة النصيرية بلغ مجموعهم «٢٢٤٫٠٠٠» شخص في الاربعينـات(٣٠) . وفي سنـة ١٩٥٥ قدر مصدر آخـر عددهم بحـوالي «٤١٠٫٠٠٠» شخص ، اي اكثـر من ١٠ بالمائة من مجمـوع السكـان في سوريـا(٣١) وفي سنـة ١٩٦٤ قدر عددهم بحـوالي

---

(28) Weulersse, Jacques, Paysans de Syrie er du Proche Orient, Paris 1946, p.77.

(29) Jacquot, Col. Poul, L Etat des Alaouites, Beyrouth,1929 ,p.10.

(30) Weulersse, Le Pays des Alaouites, op.cit.,p.51.

(31) Baer, op. cit., p.82 .

«٦٠٠،٠٠٠» نسمة.[٣٢] وتشير آخر التقديرات الى ان عددهم قد جاوز المليون نسمة سنة ١٩٧٩[٣٣] .

رغم ان المصادر الأخيرة لم تذكر شيئاً عن توزيع النصيرية حسب البيئة «ريف وحضر» الا ان نسبة سكان الحضر بينهم ظلت قليلة جدا حتى بداية السبعينات حين بدأت الهجرة المنظمة الى المدن المجاورة لمنطقتهم والى مدينة دمشق بالذات .

٣ - الوظيفة الاجتماعية لمعتقداتهم الدينية :-

تعتبر المعتقدات الدينية عاملاً اساسياً في التمييز بين النصيرية وبين بقية الطوائف والجماعات الدينية في سوريا . فالمعتقدات الدينية ، بما تتضمنه من طوطميه ، وسحر ، وخرافات ، ومزارات ، تلعب دوراً اساسياً في تكوين شخصية النصيري وفي تحديد نظرته للحياة ومواقفه من جماعته وبقية الجماعات الاخرى . ونحن هنا لانريد الخوض في المواضيع الاساسية المكونة لمعتقداتهم ، التي سيرد ذكرها في مكان آخر من هذا الكتاب ، وانما الذي يهمنا ان نعرف الدور الذي تمارسه في التأثير على حياتهم اليومية .

« يرى فاليراس أن النصيري يحمل في عمق ذاته وعياً غامضاً بأنتمائه الى شعب محتقر ولكنه مختار ، واليه يعود المستقبل حتماً ، على هذه الأرض وفي السماوات ، ففي اساس مركب الاقلية يوجد مركب عميق للعظمه».[٣٤] وان

---

(32) the New Encyclopedia Britannica, op.cit., p. 922.

(33) Mclaurin, op. cit., p. 282.

(34) Weulersse, Le Pays des Alaouites, op. cit., pp. 56 - 57 .

هذا الاعتقاد الخفي وهذا الاحتقار الضمني لجميع الكفار «غير المؤمنين» يتجلى على درجات متفاوته بين الاشخاص وذلك حسب درجة ثقافة كل واحد منهم ومعرفته ، اوجهله بالعالم الخارجي . الا ان هذا اليقين وهذه القيم والمفاهيم والمواقف موجودة لدى الجميع ، وتوجد لدى النصيرية مجموعة كبيرة من الاساطير الشعبية التي تربط هذه الطائفة بأكبر الأسماء من الماضي ، فهم يعتقدون بوجود فرق مماثلة في جميع البلدان ، حتى في اوربا ، تناضل وتتألم في سبيل المثل التي يتمسكون بها.[٣٥]

يرى الدارسون لمعتقدات النصيرية انها مرتبطة اشد الارتباط بواقعهم الاجتماعي ، فهي متصلة بالتركيب الاجتماعي وبالانشطة الاقتصادية التقليدية . فبالنسبة لنصيرية الجبل ، حيث الملكية الزراعية صغيرة والانتاج قليل ، تكون صلتهم بالارض دينية ، تتم وفق طقوس معينة ترتبط بالمعتقدات النصيرية التي تدور حول الارض وزراعتها وصلتها بالمياه وبالمجتمع . والرابطة التي تشد الفلاح الى ارضه روحية وليست نفعية .

مادام العامة ، وبخاصة الاميون منهم ليست لديهم معرفة بالعقيدة وباللاهوت ، فقد انصرفوا الى المعتقدات الشعبية ، والطلاسم ، والسحر ، والمزارات[٣٦] والاعتقاد بكائنات خفية توجد في كل مكان وتتمتع

---

(35) Ibid., p. 58.

(٣٦) المزار : بناء على اسم ولي اونبي او احد الرجال الصالحين ، يقع اكثرها في اعالي الجبال والروابي ، تكتنفها اشجار مقدسة ، ولكل مزار خادم ، لايحلف على المزار ايمان كاذب لأنه يؤدي الى البلاء والرزايا وهلاك الاسرة بكاملها ، والنذور للمزارات كثيرة جدا تنفق على رجال الدين←

بنـوع من الـبركـة ، فصـاروا يعتمـدون كثيرا على قوى الطبيعة في تحقيق متطلبات الحياة اليومية وما يتطلعون اليه في المستقبل .

ويبقى الـه العقيـدة بالنسبـة لهم بعيداً ، يتعذر الوصول اليه ، لاسبيل الى فهمه ، لذلك يشعرون بحاجة ماسة الى الوسطاء والشفعاء في سبيل التقرب اليه . فالفلاحون والنساء الذين يجهلون الدين الحقيقي تماماً غالباً مايلجأون الى الأوليـاء والـرجـال الصالحين المعروفين بأعمالهم الخارقة التي يتنـاقلهـا الآبـاء والأجـداد ، يستعينـون بهم على معـالجة المرضى وزيادة خصوبة الارض والنسل ومتطلبات الحياة الأخرى .

ومما يزيـد من احـترام وتقـديـر عامـة النـاس للائمة هو اعتقادهم بأن مشايخهم يعلمون المستقبل ، فلابد لكل فرد منهم ان يستشير الشيخ في كل عمل يقوم به ، ويعمل بنصيحته .

ان السلطــة الــروحيـة هذه هي احـدى الخصـائص البـارزة التي تميـز النصـيريـة عن غيرهم وهـذه السلطة لاتستطيع التكيف مع ظروف الحياة المتطـورة في المجتمـع السوري وذلك لأن سلطة الشيوخ ، مرتبطة بتراثهم القـديم وهم يحرصـون عليـه اشد الحرص . وبأختصار فأن السلطة العليا

←
والفقراء ، وينسب النصيريون الى مزاراتهم المعجزات ، فهي كما يعتقدون ، تصـد الأعـداء من دخـول قراهم ، ولا يؤثـر فيها الرصاص وينبع الماء منها ، والمـزارات تجعـل الـبركـة في البنين وفي الزرع وفي مؤونة البيت ، وبواسطتها يعـرف الشـاب قبـل زواجـه من ستكـون زوجته ، واذا كانت بكراً آم زانيه .
وبعض المـزارات ذات اختصـاص بشفـاء امـراض معينـة كأمـراض العيـون وبعض الامراض المستعصية . ابو موسى الحريري ، المصدر السابق ، ص ٢٠٦ .

التي تمارسها معتقداتهم وطقوسهم الدينية قوية جداً وهي ترتبط في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، بكافة افراد الطائفة ، وهي في نفس الوقت اطار للحياة ومجموعة من العادات التي ترتبط بقراهم وبزياراتهم وبعالمهم الصغير المألوف ، وانها اخيراً آطار من المعتقدات ومن المفاهيم والقيم مرتبطة بالماضي الذي يتجسد في شخصية الشيوخ ، انه عالم مغلق لايستطيع الفرد التهرب منه (٣٧) .

وتدل الوقائع والأحداث التاريخية على ان النصيرية كان يصعب عليهم التعايش السلمي مع جيرانهم ، على اختلاف طوائفهم ، ولم يخطر ببالهم الاندماج مع بقية الجماعات في المجتمع السوري ، وانما كانوا يطمحون الى الاستقلال وتكوين دولتهم المنشودة ، فما هي اسباب ذلك ياترى ؟ هناك نوعان من الأسباب ، منها مايتعلق بخصائص الطائفة ومنها مايرتبط بظروفها الموضوعية . اما بالنسبة للعامل الاول ، فيرجع الى شعورهم بمركب القلة المحتقرة من جهة ، وتصورهم الوهمي بالتعالي والعظمة والكبرياء وادعاء الخصوصية من جهة اخرى .«فموقف النصيرية من الاديان والشرائع السابقة هو موقف عداء ومناصبة ، وموقف نسخ لها والغاء(٣٨) .»

اما بخصوص الظروف الموضوعية ، فقد لعبت عزلتهم الجغرافية والاجتماعية ، وخلفيتهم الريفية المحافظة دوراً كبيراً في تقوقع هذه الطائفة وانطوائها على نفسها وما يترتب على ذلك من تعصب لأفراد الجماعة من

---

(37) Weulersse, Le Poys des Alaouites, op. cit., p.32.

(٣٨) كتاب المناظرة ، نقلا عن ابوموسى الحريري ، العلويون النصيريون ، بيروت ١٩٨٠ ، ص ١٦٣ .

جهـة ، ونظـرة استغـراب وحذر وخوف من الجماعات الاخرى ، ويضاف الى ذلك ماكانوا يلقونه من دعم من قبل السلطات الفرنسية وتشجيع على الانفصـال الأمـر الـذي عزز من اعتـداد الطـائفـة بنفسها وزاد من عدائها للجماعات الاخرى .

ولقـد اشـار جبسـر الى الجهـود التي يبـذلهـا النظـام الحالي في سوريا في التقليل من دور الاسلام ومكانة زعماء الدين المسلمين في الحكومة والمجتمع السـوري . كما اكـد على الجهـود التي يبـذلها حافظ الاسد من اجل تقوية الهـويـة العـربيـة ـ الاسلامية للنصيرية في نظر اغلبية السكان في سوريا ، وتتضمن هذه الجهود الحصول على تأييد علماء الدين المسلمين في كل من سوريا ولبنان بأن النصيرية مسلمون كغيرهم من ابناء الطوائف الاسـلاميـة[٣٩] الأمر الذي يدعم شرعيتهم في الحكم . الا ان سياسته من ناحيـة اخـرى ، قائمة على اضطهاد المسلمين لأنهم الكتلة السياسية التي تهدد نظامه بالسقوط والانهيار .

٤ - العائلة والتنظيم القبلي :-

يتمثل التنظيم الاجتماعي عند النصيرية بالعائلة او العشيرة حيث تعتبر العـائلة اصغـر وحـدة اجتـماعيـة في الـتركيب الاجتـماعي للنصيرية فمنذ وجودهم في منطقتهم الحالية حتى الوقت الحاضر ظلت العائلة محافظة على تركيبهـا وتقـوم بوظائفها الاجتماعية والاقتصادية التقليدية ومتمسكة بقيمها الدينية والاجتماعية .

والعـائلة المتحـدة هي النمط السائد بين النصيرية ، وهي تشمل رئيس الاسـرة وزوجتـه «أو زوجـاتـه» وبناته غير المتزوجات وابناءه غير المتزوجين

(39) Gubser, op. cit., p. 41.

اضافة الى ابنائه المتزوجين وزوجاتهم وابنائهم ، ويعيش افراد الاسرة كافة في نفس الدار أو في عدد من الدور المتجاورة ، ويشتركون في وسائل المعيشة الضرورية ، وينحدرون جميعا من سلف مشترك ، ويرأس العائلة النصيرية رئيس الاسرة ، الأب او اكبر الذكور سنا ، وهو يتمتع بسلطة مطلقة ، وتقضي الأعراف المحلية بلزوم التزاوج بين الاقرباء ، خصوصا ابناء وبنات العمومة ، ويحق للرجل ان يتزوج بأكثر من امرأة واحدة في آن واحد «ثلاث او اربع زوجات احيانا» وذلك رغبة منه في زيادة النسل ، وقد يلجأ بعض رؤساء العشائر الى تقوية الروابط العشائرية عن طريق التزاوج مع اسر العشائر الأخرى .

والعائلة وحدة اقتصادية للانتاج والاستهلاك ، ووحدة سياسية ضمن اتحاد العوائل التي تكون العشيرة واخيرا فهي وحدة دينية ، تجمع اعضاءها عقيدة مشتركة .

ومما يزيد من شدة التماسك بين افراد العائلة انهم يعيشون في نفس الدار ويشتركون في المتطلبات الضرورية للمعيشة . كما ان العائلة وحدة ذات مصالح ومهن مشتركة ، فالأعمال خارج المنزل يشترك فيها كافة القادرين على العمل من الذكور والاناث على حد سواء ، ويتمتع الفلاحون بفصول راحة طويلة يقل فيها نشاطهم الاقتصادي تعقبها فصول عمل متواصل في الحقول ، وعلى العكس من ذلك ، فالمرأة ترزح تحت حمل ثقيل من الاعمال الشاقة فهي ، كما وصفها احد النصيرية ، تعمل في البيت وفي الحقل.[٤٠]

---

(٤٠) منير الشريف ، المسلمون العلويين من هم ؟ واين هم ؟ دمشق ، الطبعة الثالثة ١٩٦١ ، ص ١٨٦ ـ ١٨٧ .

والعـوائـل تمتلك البيـوت وتشترك في ملكية الارض الزراعية «ان كانت لديها ملكية» . ويضمن القانون التقليدي حقوق الافراد في الميراث ، ومع ذلـك ، فأن المـرأة النصـير يـة محرومـة من المـيراث وذلك بسبب انحطاط مكـانتهـا الاجتماعية ، وتتركز عملية التنشئة الاجتماعية ، بالنسبة للفتاة ، حول نقطة اساسية هي اقناعها بتفوق الذكور عليها ، لذلك تلازمها عقدة النقص «او الـدونيـة» مدى الحياة . ولعل من اهم العوامل التي ساهمت في تعميق عقدة النقص عند المرأة النصيرية هو اعتقادهم الديني بأنها لاتملك روحا كما هو الحال بالنسبة لبقية الحيوانات الاخرى(٤١) ، وهذا يجردها من كثير من الحقوق التي يتمتع بها الرجال خصوصاً في المجال الديني .

مادام افـراد العـائلة يدركـون هذه الوظائف الهامة للعائلة فقد بات من الضـروري ان يبـذلـوا كل مافي سعيهم لحمايتهـا والمحافظة على القيم التي تقـوم عليهـا ، خاصـة فضـائـل التعاون والتراحم والتعاطف والمساعدات المتبـادلـة والتي يؤدي أي تهاون فيهـا اوفي البعض منهـا الى تهديـد حيـاة الكـائن الاجتـماعي بكـامله والقضـاء على ذلك التوازن بين افراد الجماعة وبيئتهم ، ذلـك التـوازن الـذي لايتحقق الا عن طريق تضـافـر الجهـود المشتركة وتنسيقها .

وبـالنظـر لأرتباط غالبية النصيرية بالارض فقد ظلوا يعيشون في الريف وحـافظـوا على تنظيـماتهم العشائرية والقبلية(٤٢) ، وهذا مايفسر لنا جزئيا

---

(٤١) سليمان الادني ، كتاب الباكورة السليمانية في كشف اسرار الديانة النصيرية ، بيروت ١٨٦٣ ، ص ٦١ ، نقلا عن ابو موسى الحريري .

(42) Baer, op. cit., p. III.

تمسكهم القوى بقيمهم العشائرية حتى بعد انتقال الكثير منهم مؤخراً الى المدن واختلاطهم مع سكانها .

تتجزأ النصيرية الى عشائر وقبائل متعددة اهمها : عشائر الخياطين وبني علي ، والمهالبة ، والحدادون ، والمتاوره ، والدراوسه ، والمحارزه ، والكلبية[٤٣] .

ويقوم التنظيم الاجتماعي للعشيرة والقبيلة النصيرية على نمط التنظيم العائلي ، اذ يكون عدد من العوائل الكبيرة (الفخذ) اومايدعي بالعشيرة وهي تقوم على علاقة الاقرباء وانتسابهم الى سلف واحد مشترك، ويعتبر اعضاؤها من الرجال انفسهم ابناء عمومة من دون تحديد درجة علاقتهم بصورة دقيقة ، ويرأس العشيرة رئيس يدعى بشيخ العشيرة .

اما القبيلة فتضم مجموعة عشائر يدعي افرادها الانحدار من سلف واحد مشترك ويرأسها زعيم ، وهو عادة رئيس اقوى العشائر .

واخيرا يوجد اتحاد القبائل الذي يضم عدة قبائل متحالفة [٤٤] ، فقد يتم عقد معاهدة بين رؤساء القبائل عند تعرضها لخطر مشترك ، اوقد تطلب احدى القبائل الضعيفة الحماية من قبيلة اخرى اقوى منها لقاء خضوعها لتلك القبيلة . الا ان معالم هذا التجمع النفعي قد تزول مع مرور الزمن ، فمعظم القبائل هي في الواقع اتحادات مجهولة الهوية . والمهم هو ان يجهل اعضاء القبيلة هذه الحقيقة اوعليهم ان ينسوها بصورة مقصودة وان ينسبوا للروابط التي توحد بينهم نفس القيمة التي يعطونها للروابط القرابية الطبيعية .

---

(٤٣) ابو موسى الحريري ، العلوين النصيريون ، بيروت ١٩٨٠ ، ص ١٩١ .

(٤٤) ينقسم النصيرية الى اربعة احلاف رئيسة هي : الخياطون ، والحدادون ، والمتاوره والكلبيه ، وهم يعيشون في كافة انحاء اللاذقية والمناطق المحيطة بها .

مرة اخـرى ، ان تجانس البنـاءات الاجتماعية والعائلية هو الذي يجعلنا ندرك ان هذه الجماعة منظمة حول العشيرة ، لذلك فأن رابطة الوحدة بعد العشـيرة تصبـح وهميـة ، فالقبيلة لها شخصية اقل تطورا ترتبط وظائفها ، بصـورة خاصـة ، بما يسمى بالشـؤون الخـارجيـة ، العـلاقـات مع بقيـة القبائل ، قضايا الاحلاف ، القرارات التي تمس شرف القبيلة وحدودها ، والقضايا المتعلقة بالدفاع والهجوم .

واخـيراً يجب ان نذكـر ان حقيقة الأمر اكثر بساطة مما قد يوحيه التحليل السـابق . في الـواقـع ترافق ظاهـرة الانـدمـاج بين القبائل النصيرية دائما ظاهرة معاكسة لها تماما وهي ظاهرة الانقسام ، فالقبيلة النصيرية ، بسبب طبيعتهـا الانقسـاميـة ، تنقسم الى وحـدات اصغـر تدعى بالعشائر وهذه بدورهـا تنقسم الى وحـدات فرعية اصغر تعيش كل وحدة في اقليم خاص بها وتمـارس انشطتهـا الاقتصادية بمعزل عن بقية الوحدات الاخرى ، ولا تخضع الا لسلطة رئيسها المباشر [٤٥] .

٥ - التدرج الاجتماعي عند النصيرية :-

يتميـز الـتركيب الاجتـماعي عنـد النصـيرية بوجود نوعين من التدرج الاجتـماعي ، تتحـدد مكـانـة الفـرد ، في الاول ، على اسـاس معتقداته الـدينيـة او الاسطورية ، اما الثاني ، فيقوم على اساس المكانة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للفرد . ورغم التداخل الذي يحدث احيانا في مكانة الفـرد في النظـامـين ، فأننـا سنقـوم بعـرض كل منهـما على انفـراد وذلـك لأغراض تحليلية .

---

(45) Gubser, op. cit., p.26.

أ - النظام الطائفي :-

يحتفل النصيريون برتبة تسليم الدين لمن بلغ منهم الثامنة عشرة ، وكان مؤهلاً لذلك ومعداً له اعداداً مناسباً ، وغالباً مايتسلم الدين شيخ عن شيخ فتبقى تعليمات الديانة محصورة في عائلات دون سواها ، ومنزلة الشيخ هذه وراثية[٤٦] .

ينقسم النصيرية ، بموجب هذه التعاليم ، الى خاصة وعامة او عقال وجهال . والطبقة الخاصة على درجات هم : الامام والنقيب والنجيب ، ويدعون كذلك برجال الدين عند النصيرية .

وتقتصر معرفة الدين عند النصيرية على الرجال دون النساء ، وعلى من يتسلم الدين ان يولد من اب نصيري وام نصيرية ، والرجال الذين يتزوجون نساء غير نصيريات لايستطيعون ان يسلموا الدين لاولأدهم[٤٧] .

يرأس الجماعة المؤمنة امام ، يتصف بمزايا روحية وخلقية وعقلية هامة . وتقع على عاتقه مسؤولية تعليم الدين وفروضه ، وهو القيم على امور الدين ، وكاتم سر الديانة ومعلم فروضها وواجباتها .

ويعتقد النصيريون ان الامام كامل الخلقة والخلق والدين ، لذلك يحترمه رؤساء القبائل والفلاحون احتراما بالغاً ويؤدون له حقوقه كاملة غير منقوصة ، فهو يحصل على دخله من الحقوق الشرعية والهدايا ، واجور الطلاسم والصلوات اضافة الى ملكيته الخاصة .

---

(٤٦) ابو موسى الحريري ، نفس المصدر السابق ، ص ٨٨ .

(٤٧) المصدر السابق ، ص ٩٨ .

وربما يحصل بعض الشيوخ على شهرة واسعة في حسم المنازعات ، واذا ماعرف الشيخ بتقواه وبفعالية الطلاسم والادعية فأن الناس يقومون بزيارة قبره بعد وفاته ويقدمون له النذور والهدايا .

والمعروف ان العامة عند النصيرية يمثلون غالبية السكان العظمى ، بضمنهم النساء كافة وذلك لحرمانهن من الدخول في الدين وتعلم الصلوات ، لذلك تنحدر مكانة المرأة النصيرية الى ادنى الدرجات بالمقارنة مع مكانة المرأة السورية .

ب - التدرج الطبقي :-

يمكن تصنيف النصيرية ، حسب معايير التدرج الطبقي الى ثلاث طبقات اجتماعية متمايزة : طبقة رؤساء العشائر والقبائل اومايدعون بالوجهاء ، وطبقة الفلاحين واخيراً الطبقة الوسطى التي ظهرت الى الوجود مؤخراً .

تمثل عوائل رؤساء العشائر والقبائل النصيرية الطبقة العليا ، وهذه المكانة موروثة بالنسبة لأغلب العوائل الغنية . ورغم ذلك استطاع بعض الفلاحين الفقراء امثال سليمان المرشد ، الوصول الى زعامة احدى القبائل[٤٨]

ان حياة رؤساء العشائر تختلف عن حياة عامة الفلاحين فملكياتهم الزراعية اوسع ، على الاغلب ، ويحصلون على بعض المنافع الاقتصادية من اتباعهم ، فهم يجمعون منهم الضرائب ، ويتلقون الهدايا ، واجور

---

(48) Gubser, op. cit., p 24

الزواج . وقد يخضعون بعض اتباعهم احيانا الى عمل السخرة .

كانت لدى معظم الفلاحين النصيريين في الجبال ملكيات زراعية صغيرة يعيشون عليها ، بأستثناء عدد قليل منهم كانوا يشتغلون عند اصحاب الاراضي من اخوانهم النصيريين لقاء حصة معينة . اما في السهول ، فقد كان عدد الذين يملكون اراضي زراعية منهم قليلا جدا ، لذلك فقد كانوا يخضعون الى نظام المحاصصة الذي يحصل الفلاح بموجبه على ربع المحصول ، اما صاحب الارض الذي يوفر البذور والحيوانات ، فيتسلم ثلاثة ارباع الباقي(٤٩) .

ومن المهم ان نذكر ان قسما من الفلاحين النصيريين استطاعوا الحصول على ملكيات زراعية بعد الاستيلاء عليها من قبل الحكومة السورية واعادة توزيعها عليهم في السهول .

اما الطبقة الوسطى فأنها تنحدر من ثلاثة مصادر رئيسة هي: العوائل الفلاحية الغنية التي كانت لديها القدرة على تعليم ابنائها في المدن ، وابناء الفلاحين الذين تلقوا تعليمهم الاولي في قراهم وواصلوا دراستهم في مختلف الاختصاصات في المدن ، وابناء العوائل التي هاجرت الى المدن وعاشت فيها فتهيأت لأبنائها فرص متعددة في التعليم والعمل .

ولا توجد طريقة لتحديد حجم هذه الطبقة الا انها ، بدون شك ، في تزايد مستمر ، وهذه الطبقة تتكون من مختلف الفروع المهنية كالموظفين الكبار والصغار والمدرسين ، وضباط الجيش من مختلف الرتب ، والقادة الحكوميين ، والقادة السياسيين ، واصحاب المهن العملية المختلفة ، وهم يتركزون عموماً في المدن الكبيرة والصغيرة(٥٠) .

---

(49) Baer, op. cit.,·148

(50) Gubser, op. cit., p.25

وبتطـور الاتصـال والتعليم بين النصـير يـة ودخـولهم مختلف الـوظائف الحكـوميـة ومسـاهمتهم في الشـؤون السيـاسية والعسكرية ، زاد التماسك الاجتـماعي الافقي بينهم في الستينيـات ، وسـاهمت عوامـل اخـرى الى جانب العـوامـل المـذكورة في تصعيد عملية التماسك الافقي بين النصير ية كالتحضر وزيادة الانتقال المكاني او الهجرة اوغير ذلك ، وادى انتشار ابناء الطائفة النصير ية على مساحة اوسع على نطاق القطر ، الى قلة اهتمامهم بخـلافـاتهم المـاضية التي كانت قائمة بين اقسامها المختلفة ، والى تناسي خصـومـاتهم المحليـة . وبعبـارة اخـرى زادت عملية الاختلاط والتكامل الافقي لذلـك فمعظم النصـير ية يؤازرون بعضهم البعض ضد بقية ابناء الطوائف الاخرى بغض النظر عن كثير من الاعتبارات الاخرى (٥١)

---

(51) Hourani, Albert, Syria and Lebanon, London, 1946, p. 144, Van Dausen, Michael,"Political Integration and Regionalism in Syria", MEJ, vol. 26, No. 2, Spring 1972 pp. 127, 134 and passim .

الفصل الثالث

الوضع التاريخي



من النشأة وحتى الانتداب

تنتسب الطائفة النصيرية الى ابي شعيب محمد بن نصير الذي عاش في القرن الثالث الهجري ، وبذلك تكون قد عاصرت في ظهورها ونشأتها حركة «القرامطة الباطنية» في المشرق العربي الذين بدأ نشاطهم السياسي والديني سنة ٢٧١ هـ من جهة ، وزحف ابي عبد الله ـ داعي دعاة الفاطميين في المغرب العربي بأتجاه مصر ، حيث تمكنت الدعوة من اقامة الدولة فيها سنة ٣٤١ للهجرة من جهة اخرى(٥٢) .

والمعروف تأريخيا ان التشيع في هذه الفترة كان ينقصه التقييد والصياغة «المذهبية» المحددة ، اذ كان المصطلح يستغرق «خليطا متنافراً من الناس ومتناقضاً لعله لم يجتمع له مثيل في اية طائفة اخرى في الدنيا (٥٣) . وهكذا لم يكن بالامكان الفصل والتمييز بين التشيع العربي الاسلامي وبين مدعيه ومنتحليه من الغلاة الزنادقة ، وبقى الأسم يطلق على جماعات اختلفت وتناقضت في افكارها ومعتقداتها وقواعد سلوكها العام ، فكان«هذا المدى

---

(٥٢) الخضري : «محاضرات في تأريخ الأمم الاسلامية» الدولة العباسية ص ٣٠٢ ـ ٣١٨ ، الدكتور حسن ابراهيم حسن : «تأريخ الدولة الفاطمية» الطبعة الثانية «١٩٥٨» ص ٣٦ .

(٥٣) الشيبي :ـ «الدكتور كامل مصطفى» :ـ «الفكر الشيعي والنزعات الصوفية» ص ٥٣ وقارن ايضاً :ـ الموسوي «الامام عبد الحسين شرف الدين» ، الفصول المهمة في تأليف الامة ، ص ١٥٥ ، الطبعه الرابعة ـ دار النعمان في النجف ، حيث يقول «لأن اسم الشيعة غير خاص بالأمامية بل مشترك بينها وبين فرق كثيرة . . . فربما وجدوا اقوالا منكرة ومذاهب مكفره لأحدى تلك الفرق الضالة التي يطلق عليها لفظ الشيعة فظنوا انه مذهب الجميع» .

لواسع من الاختلاف في الطابع والمورد والمصدر حافزا الى دخول قوم كان هدفهم من الانضمام الى التشيع تحقيق مطامحهم وبث افكارهم عن طريق هذه العقيدة[٥٤] .

وشهد القرن الرابع الهجري تطورات سياسية ودينية بالغة الأهمية كان لها أثرها الفعال في تحديد هوية المذهب «الاثنا عشري» وتقرير صورته المذهبية الثابتة . فقد تمكن «البوهيون» من التسلط على مركز الخلافة العباسية سنة ٣٣٤ للهجرة ، وكانوا كسائر مواطنيهم من الديالمة يعتنقون المذهب الزيدي الا انهم ولأسباب سياسية واستجابة لظروف الواقع ومقتضياته قرروا التزامهم بالتشيع «الاثنا عشري» فأعلنوه مذهبا رسميا لهم[٥٥] .

وقد رافق هذا الحدث تحول فكري في بنية المذهب نفسه جاء نتيجة الاتصال بينه وبين مدرسة المعتزلة بمنهجها العقلي الصارم ، على مابين المذهبين من التنافر الواضح . وبلغ هذا التواصل والتفاعل بينهما ذروته وغايته على عهد وزارة الصاحب بن عباد «٣٦٧ ـ ٣٨٥» على وجه

---

(٥٤) الشيبي :ـ المصدر السابق ـ ص ٦٣ .

(٥٥) بنوبوية من بلاد الديلم ، التي تقع بين طبرستان وجيلان وبحر الخزر . والديلم الذين ينتسب بنوبويه اليهم ، هم سكان تلك المناطق ، وهم قبائل فارسية . وكانت اصولهم مجوسية ثم اسلموا على المذهب الزيدي اسوة بالديلم ، وقد ابقى البويهيون على الخلافة العباسية « لأعتبارات سياسية محضة » والا فأنهم كانوا يعتقدون ان العباسيين قد غصبوا الخلافة واخذوها من مستحقيها ، فلم يكن لهم «باعث ديني على طاعتهم » انظر : ابن الاثير : الكامل في التاريخ ٣١٥/٦ ، المسعودي : « مروج الذهب » ٥١١/٢ ، ابن طباطبا : « في الآداب السلطانية » ص ٢٠٤ وقارن : الدوري : « دراسات في العصور العباسية المتأخرة » ص ٢٤٨ .

التخصيص اذ المعروف عن الصاحب أنه كان يجمع بين «التشيع والاعتزال»[٥٦] وانه ورث الاعتزال عن أبيه الذي الف كتابا في «احكام القران» سلك فيه منهج المعتزلة . وهكذا شهد العصر البويهي «٣٣٣ ـ ٤٤٧ هـ» اتصالا فكريا واسعا بين المذهبين «فتصادقا وتآخيا»[٥٧] . مما نتج عنه نشاط علمي متين قام به صفوة علماء الاثنا عشرية من امثال : ابن بابويه القمي« ت/ ٣٨١هـ"والشيخ المفيد «ت/٤١٣ هـ» والشريف الرضي «ت/٤٠٦ هـ» والشريف المرتضى علم الهدى «ت/٤٣٦ هـ»[٥٨] .

فبدأوا بتدوين اصول المذهب وتحديد اركانه وتثبيت مفرداته في صيغة منهجية صارمة ترفع التداخل والاشتباه وتمنع الخلط والتشويه بين التشيع ومنتحلي المذهب وادعيائه ، كذلك شهد العصر عملية التدوين النهائي لكتب الحديث المعتبرة عند رجال المذهب والتي صارت تعرف عندهم بـ «الاصول الاربعة»[٥٩] . وازاء هذا التطور السياسي والفكري اضطرت

---

(٥٦) الحموي : معجم الادباء ١٢٧/٦ ، بن حجر : لسان الميزان : ٤١٣/١ .

(٥٧) انظر عن هذه الصلة الفكرية بين المذهبين في العصر البويهي : المقدسي : احسن تقاسيم ص/٤٣٩ ، الذهبي « ميزان الاعتدال » ٢٣٥/٢ ، ابن تيميه : الفتاوي ٣٩/٥ ، المقريزي : الخطط ، ١٨٤/٤ .

(٥٨) من اهم كتب ابن بابويه القمي « عقائد الشيعة الامامية»ومن لايحضره الفقيه «وعلل الشرائع » واشهر كتب الشيخ المفيد « تصحيح عقائد الشيعة الامامية» «واوائل المقالات»« وعرف الشريف الرضي»بكتابه«حقائق التأويل في متشابه التنزيل»واشهر كتب الشريف علم الهدى :«الامالي»المعروفة بـ : غرر الفوائد ودرر القلائد .

(٥٩) الكتب الاربعة هي : الكافي ، للكليني و « من لايحضره الفقيه»، لأبن بابويه ←

الجماعات الغالية التي كانت تنتحل التشيع وتدعيه زورا وبهتانا اما الى حياة التسـر والكتـان واخفـاء المعتقـد او الى نقلة «مكانية جغرافية» تذهب بها بعيدا عن هيمنة السلطة المركزية وسلطانها ، ورقابة فقهاء الدين وعلمائه ، وهكـذا اضطـرت الطائفة النصيرية بعد ان فقدت احد اعمدتها السياسية ممثلة في الـوزيـر ابن الفـرات الـذي عرف بنـزعـاتـه الباطنية وانتماءاته الى القـرامطـة والتي سوغت له ادعـاء الوحي والنبوة(٦٠) ، الى الهجرة الى بلاد الشام رجاء ان تجد لنفسها ملجأ عند امراء حلب من الحمدانيين «**٣٣٣ هـ - ٣٩٩**»(٦١) الا ان النصيرية بما في معتقداتها الدينية من عناصر غريبة تجمع بين الالحاد والزندقة عجزت عن ان تجد لنفسها متنفسا في كنف الحمدانيين الذين عرفوا بأصولهم العربية الخالصة وبلائهم الحسن في الذود عن الـدولـة العـربية وتخومها ضد البيزنطيه ، فأضطرت الطائفة بسبب من

القمي ،«والتهذيب و ، الاستبصار»للشيخ محمد بن الحسن الطوسي شيخ الطائفة .

(٦٠) ابو الحسن الصابي : «الوزراء» ص ٣١٣ ، ٣٢٢ « تحقيق عبد الستار فراج» مطبعة الحلبي ١٩٥٨ . وقارن :

Heinz Halm, Die Islamische Gnosis, Artems Verlag, Zuerich und Muenchen, 1982, P. 172.

حيث يعقـد صلة بين النصـيرية وابن الفـرات ، وكـان لأبن الفـرات صلة بالشلمغاني الذي ادعى الربوبية ، انظر : ابن الأثير «الكامل» ص ٢٩٠ «ذكـر قتـل الشلمغاني وحكاية مذهبه» اذ يقول : «وما اشبه هذه المقالة بمقالة النصـيرية ، ولعلهـا هي هي ، فأن النصـيرية يعتقـدون في ابن الفرات ، ويجعلونه رأسا في مذهبهم » .

(٦١) ابن الاثير : «الكامل» ٨/١٦٤ ، ابو الفدا المختصر ، حوادث سنة ٣٠١ ، وقارن : حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام ، ٣/١٢٠ .

غربتها الفكرية الى الهجرة مجددا وللجوء الى المنطقة الجبلية الوعرة(٦٢)التي صارت تعرف باسمهم،ومنذ ذلك الوقت كتبت على نفسها ان تعيش «حياة العزلة والانكماش(٦٣)

وصارت بتقادم القرون والازمان تتشكل في صورة ديانة متميزة اضافت الى مفردات معتقداتها الاولى التي استقتها من «الخطابية»(٦٤) عناصر اخرى من الاديان القديمة التي عرفتها بلاد الشام بخاصة «الوثنيات الفينيقية» كما سرت الى بنيتها الطائفية فيما بعد عناصر اضافية استمدتها من المسيحية ابان الحروب الصليبية ، ومانتج عنها من تماس فكري واجتماعي بين النصيرية والصليبيين . لقد وجدت الطائفة النصيرية نفسها في هذه «المنطقة الفكرية الرخوة» والتي تمثل ساحة مثلى للعمل للخارجين عن الاسلام محصورة بين الممالك الاسلامية من جهة والامبراطورية البيزنطيه والدويلات الصليبية ابان القرنين السادس والسابع للهجرة من جهة اخرى . وتدلنا القراءة النقدية لتأريخ الطائفة منذ ان استقر بها الرحال في هذه المنطقة الجبلية الوعرة على غلبة صفتين عليها لازمتا تطورها التأريخي ، هما :-

---

(٦٢) وكانت المنطقة الجبلية هذه تعرف من قبل بحبل «بهراء ونتوخ» انظر : الفصل الخاص بالتوزيع الجغرافي للنصيرية .

(63) Weulersse, «Le Pays des Alaouies,» op.cit p.54

ويقول هانز هالم «يعيش انصار هذه الطائفة ضمن تجمعات مغلقة» .

Heinz Halm, op. cit, p. 11. انظر

(٦٤) عن الخطابية ، انظر : فصل المعتقدات الدينية .

(١) تأكيد غربتها الفكرية والعقيدية عن الجماعة الاسلامية التي كانت تحيط بها مما حمل السلطات على اختلاف صورها وعهودها على محاربها ونصب القتال معها ، بأعتبارها طائفة خرقت تعاليم الدين وخرجت عن اطاره ، وما نتج عن هذا على وجه الالزام من ميل النصيرية الى التدين بالغلو والاسراف في الحفيظة وكتمان السر وانتشار الشعبذة والخرافات في صفوفها مع جدب فكري وانتشار للأميه وعجمة في اللغة واسلوب التعبير صارت سمة مميزة لآثارها ومدوناتها كما هو بين مؤلفاتهم المتفرقة[٦٥] .

(٢) ان الطائفة ـ وقد حبست نفسها في هذه العزلة الدينية ـ قد اصابتها عقدة «مركب النقص» : شعب محتقر ولكنه مختار ، ففي اساس مركب النقص توجد رغبة قوية للتعويض ، وبدون هذا ماكان يتسنى للطائفة ان تستمر في وجودها « كجماعة مغلقة»[٦٦] . وقد حملها هذا الشعور على ان تكون اداة طيعة بيد الغريب والاجنبي مهما تباينت دوافعه وطموحاته ، تقف الى صفه وتعينه في صراعه العسكري ونزاعه الحضاري مع الامة العربية .

لقد بدأت حركة مناهضة الطائفة النصيرية للسلطة العربية الاسلامية في عصر الدولة الايوبية التي تصدت للصليبيين ، اذ الثابت ان «السواحل

---

(٦٥) ابن كثير : البداية والنهاية ٢٢١/١٣ ، الحموي : «معجم البلدان» ـ ٣٤١/٣ وقارن : الشيبي : المصدر السابق ص ١٤٩ .

(66) Weulersee, «Le Pays des Alauouites,» op. cit., pp.49,73, 288; Weulersse, Paysans de Syrie et du proche Orient, op. cit., p.77.

الشـامية انما استولى عليها الصليبيون من جهتهم»[٦٧] ولهذا ايضا ولتأكيد صلتهم بالغـزاة دبـروا محاولـة مزدوجـة لأغتيـال الفاتح صلاح الدين وانهاء حيـاتـه ، ولـو وفقـوا ـ كما يقـول محمد كرد علي ـ «الى قتله ، لقتلوا به امة بأسـرهـا حتى يعيشوا سنين في دعه ومجد ، وما اكثر الادعياء في كل زمن في حب دينهم وقـوميتهم ، فاذا لم ينـالـوا رغبـاتهم ساروا على العميـاء لحظ انفسهم فقط»[٦٨] وعندما تصدى الحاكم المملوكي الظاهر بيبرس لحملات التتـار المغـول وافلح في صد اجتيـاحهم الاسـود للبـلاد العـربية ، ايدهم النصيريون فكانوا عونا لهم «فما دخل التتار بلاد الاسلام وتمكنوا من حلب ودمشق وغيرهما من الحواضر الاسلامية الا بمعاونتهم ومؤازرتهم لهم»[٦٩] ولهـذا ما ان انتهى الظـاهـر بيـبرس «سنة ٦٧٦ هـ» من التتار وقضى على جموعهم الكاسرة في واقعة عين جالوت ، «١٢٦٨م» ودفع عن الشام عادية

(٦٧) ابن تيميه : رسائل ابن تيميه ، ص ٩٤ وما بعدها «جاء في المذكرة التي رفعهـا اعيـان النصـيريـة الى الحكـومـة الفرنسية والمؤرخة في ١٩٣٦/٧/٣ قولهم : هل ان فرنسيي اليـوم يجهلون بأن حملات الصليبيـين ماكـان لها ان تنجح وما كان لحصونها ان تبقى الا في القسم الشمالي الشرقي من سوريا اي في بلاد النصـيرية . . . اننا اكثر الشعوب اخلاصا لفرنسا» انظر الفصل الخاص بـ النصيرية وعهد الانتداب ، ، .

(٦٨) خطـط الشـام ٥٣/٢ وراجـع ابـو الفـدا المختصـر في تأريخ البشر ٥٧/٣ ، «احـداث سنـة ٥٧١ » وثب احـد المستأجرين على صلاح الدين في حصاره عزاز فضـربـه بسكين في رأسه فجرحه فأمسك صلاح الدين يدى الجاني وبقى يضرب بالسكين فلا يؤثر حتى قتله على تلك الحال ، ووثب آخر عليه فقتله ايضا .

(٦٩) ابن تيمية : المصدر السابق .

المغـول ، حتى توجـه الى حصـون النصـير يـة وقلاعهم فعمل فيها الهدم والتخـريب ، يقـول ابن تغـري بردى : «ثم خرج الظـاهـر من دمشق يوم السبت عاشـره وتـوجـه بطـائفـة من العسكـر الى جهـة ، وولـده وبيليك الخازندار بطائفة اخرى الى جهة ، وتواعدوا الاجتماع في يوم واحد وبمكان معين ليشنوا الغارة على : جبلة واللاذقية والمرقب وعزفه ومرقيه والقليعات وصافيتا والمجدل والطرطوس»(٧٠) ثم الزمهم ببناء المساجد وتعميرها علهم يعـودون الى دين الاسـلام ثم لم يلبثـوا ان تركـوهـا خربـة لايـدخلونها ولا يعمـرونهـا ، وربـما اوت اليها مواشيهم وربما اوى اليها مستطرق فأذن فيها فيقـولـون له : لاتنهق علفـك يأتيـك(٧١) ثم اعـادوا الكرة ثانية ايام الملك المنصـور سيف الـدين قلاوون «١٢٧٩ ـ ١٢٩٠ م» ، الـذي حمل عليهم حملة شديـدة وحظـر عليهم كل نشـاط وكـرر الأمر بتشييد المساجد وحملهم مهمة القيام بالانفاق عليها(٧٢) .

وفي مطـالـع القـرن الثـامن للهجرة : خرجت النصيرية عن الطاعة وكان بينهم رجل اسمه محمد بن الحسن المهدي القائم بامر الله ، وتارة يدعي انه علي بن ابي طالب فاطـر السمـوات والارض ، تعـالى الله عما يقولون علوا كبـيرا ، وتـارة يدعي انـه محمد بن عبدالله ، صاحب البلاد ، خرج يكفر

---

(٧٠) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة : ٧/ ١٥٠ ، وانظر : تأريخ ابو الفدا ٤/ ١١ ، وراجع :

Brockleman, «History of the Islamic Peoples,» London,1959,p.251.

(٧١) مختصـر رحلة ابن جبـير : تحفـة النظـار ، ص ٦٥ وراجـع : تغري بردي : النجوم الزاهرة : ٧/ ١٥٠ .

(72) Hitti, Philip, «History of the Arabs,» London, 1961.pp.657 - 677 .

المسلمين ، وان النصيرية على الحق . . . واحتوى هذا الرجل على عقول كثير من كبار النصيرية الضلال . . وحملوا على مدينة جبلة فدخلوها وقتلوا خلقا من اهلها وخرجوا منها يقولون لاآله الا علي ، ولا حجاب الا محمد ، ولا باب الا سلمان ، وسبوا الشيخين وصاح اهل البلد:واسلاماه واسلطاناه واميراه ، فلم يكن لهم يومئذ ناصر ولا منجد وقال المهدي ، لم يبق للمسلمين ذكر ولا دولة ، ولو لم يبق معي سوى عشرة نفر لملكنا البلاد كلها . . وامر اصحابه بخراب المساجد واتخاذها خمارات ، وكانوا يقولون لمن اسروه من المسلمين قل لااله الا علي ، واسجد لالهك المهدي ، الذي يحيي ويميت حتى يحقن دمك.(٧٣) ومع هجوم المغول في مطالع القرن التاسع الهجري بزعامة تيمورلنك الاعرج الذي عصف بالحياة المدنية والفكرية في بلاد الشام وستر نزعاته الشعوبية الحاقدة بغطاء قشري من دعوى موالاة آل البيت ومناصرتهم والثآر لهم من قاتليهم وخاذليهم من أبناء الشام ، وقفت الطائفة النصيرية من جديد الى جانب الغزاة يغرونهم بالعداوة وشن حملة ابادة ضد العرب والمسلمين ، وفي هذا الصدد يذكر صاحب كتاب «تأريخ العلويين» وهو نصيري مانصه : ثم سافر تيمور الى الشام وهو كمصيبة سماوية ، وقبل سفره جاءت هذه العلوية «درة الصدف» بنت سعد الانصار ومعها اربعون بنتا باكرة من النصيريين ، وهي تنوح وتبكي وتطلب الانتقام لأهل البيت . . وسعد الانصار هذا هو من رجال الملك الظاهر . . . فوعدها تيمور بأخذ الثأر ، ومشت معه الى الشام ، والبنات النصيرية معها تنوح وتبكي وينشدن الاناشيد المتضمنة

---

(٧٣) ابن كثير : "البداية والنهاية" احداث سنة (٧٠٧) ، ابو الفدا ٤/ ٥٣ .

التحريض لأخذ الثأر فكان ذلك سيجئ للشام بمصائب لم يسمع بمثلها[٧٤]ومع هيمنة العثمانيين في القرن السادس عشر للميلاد على البلاد العربية ثم ادعائهم الخلافة لأنفسهم قام صراع سياسي اصطبغ بالطائفية[٧٥]بينهم وبين الدولة الفارسية الصفوية «١٥٠٢م» والتي كانت ترتبط بوشائح الصلة الفكرية والمادية والعنصرية مع الطائفة النصيرية ، ذلك ان الشيخ جنيد الجد الاعلى للشاه اسماعيل الصفوي كان قد اقام ردحاً من الزمن بين ظهراني النصيرية في احدى القلاع القريبة من جبل ارسوس بخليج الاسكندرونة كذلك دخل في علاقات زواج ومصاهرة معهم[٧٦] ، ولهذا كانت الدولة العثمانية ترى في طائفة النصيرية رديفا يعين الصفويين في حربهم معها مما حملها على ان تتوجس من النصيرية الشر وممالئة الصفويين ، ولهذا ارسلت اكثر من حملة عسكرية ضدهم بخاصة قبل معركة جالديران الفاصلة«١٥١٤ م» التي انتصر فيها العثمانيون بقيادة سلطانهم ياووز سليم الجيش الفارسي الذي كان يقوده الشاه اسماعيل الصفوي ، وتشير ملفات الشؤون السياسية[٧٧] ، للدولة العثمانية الى ان التدابير الوقائية التي تعتمدها السلطة ضد النصيرية كان دافعها وبأستمرار تحقق العثمانيين من وقوف النصيرية الى جانب الفرس .

---

(٧٤) الطويل ، مصدر سابق ، ص ٣٢٨ ، وراجع خطط الشام ٢ / ١٧٢ .

(٧٥) ساطع الحصري : «البلاد العربية والدولة العثمانية» دار العلم للملايين - بيروت ١٩٦٠ ، ص ٣٩ وما بعدها .

(٧٦) Brockleman, op cit., p.319 وراجع : مقالة : كليمان هوار عن جنيد ، دائرة المعارف الاسلامية .

(٧٧) انظر : باش وكالة ارشيفي ، مهمة دفتري (٧) ، (٨٠) « الاحكام المرقمة » ١٨٣٥ / ١٩٨٤ / ٢٠٢١ وراجع ايضا : احمد رفيق ، «الروافض والبكتاشية» في القرن ١٦ اسطنبول ٣٢ .

النصيرية وعهد الانتداب :-

شهد الوطن العربي منذ مطلع العصر الحديث تفاعلات سياسية دولية دخلت في تخمراتها قوى اوربية عديدة ، حملت معها مشاريع سيطرة وتقسيم واقامة دويلات وكيانات تابعة ، ليس ضمن الصيغة السياسية التقليدية فحسب ، بل يقوم بعدها الحقيقي على خلق التجزئة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية . فكانت المشاريع «الحاسمة» ابان الحرب العالمية الاولى وبعدها «كأتفاقية سايكس بيكو ووعد بلفور ومؤتمر سان ريمو» .

وبقدر تعلق الأمر بفرنسا ، فأن سياسة التجزئة التي اعتمدتها في بلاد الشام ، لم تكن مجرد انتصار آلة عسكرية متطورة اونتيجة مناورات دبلوماسية ، وانما ثمة خلفية تخطيطية لهذه السياسة اعتمدت فيها على مرتكزات رئيسة لتحقيقها ، وتعد «النصيرية» احدى ابرز تلك المرتكزات ، حيث شغلت في السياسة الفرنسية حيزا كبيرا وبخاصة من ناحية مراهنة فرنسا على خصوصيتهم المذهبية والاجتماعية ، ومحاولتها ان تجعل من هذه الخصوصية ركيزة انشاء دولة او حكومة مستقلة في اطار تجزئة سورية .

من وجهة تاريخية عاش النصيرية في عزلة مغلقة ، في ظل علاقاتهم العصبية الداخلية ، وذلك في «سلسلة الجبال» التي عرفت تاريخيا بأسمهم . . ولما كانت هذه السلسلة منيعة ومسالكها وعرة ، فقد اقيمت فيها بعض القلاع الحصينة ، للسيطرة على طرق المواصلات الساحلية او المنافذ التي تربطها بالداخل كقلعة صهيون بالقرب من الحفة[٧٨] وقلعة

---

(٧٨) الحفة : مدينة في القسم الشمالي من محافظة اللاذقية ، عند سفوح جبال النصيرية ، وتوجد بالقرب منها قلعة صهيون الاثرية ، وهي من القلاع الحربية التي بناها الصليبيون . «عبد العزيز عثمان ، سوريا ولبنان ، دراسة

المرقب قرب بانياس[٧٩]وبرج صافيتا[٨٠]وقلعة الحصن المسمى حصن الاكراد بالقرب من تلكلخ[٨١] .

وكانت اراضي النصيرية في مطلع العصر الحديث ، تتاخم اراضي الدروز والموارنة جنوبا ، وتمتد شمالا حتى سهل انطاكيه[٨٢] . غير ان الجبل ظل يشكل مركزهم الرئيس حيث توجد الكتلة الاكثر تجانسا والوحيدة التي احتفظت بعزلتها ، ذلك ان مجموعات من القرويين النصيرية انحدروا من مرتفعاتهم واحتلوا شيئا فشيئا السهول الخصبة المحيطة بهم : سهل عكار في الجنوب ، وسهل اللاذقية في الغرب ، وسهل الغاب في الشرق[٨٣] .

وقد شكلت خصوصية النصيرية المغلقة وغيرها من الخصوصيات المحلية في العهد العثماني ، منفذا للدول الاوربية لتعميقها وتلقيحها

← شاملة للجغرافية الطبيعية والحياة البشرية والاقتصادية ، ط١ ، حلب ١٩٥٤ ، ص ٥٦ ـ ٥٧ ، ٢٩٦» .

(٧٩) بانياس : مدينة ساحلية جنوب جبله ، ويحيط بها سهل يسمى بأسمها ، ويوجد بالقرب منها قلعة حصينة تدعى «قلعة المرقب» بناها الصليبيون ثم رممها العرب . «عثمان ، المصدر السابق ، ص ٢٩٥» .

(٨٠) تقع صافيتا في القسم الجنوبي من محافظة اللاذقية ، عند منابع نهر الابرش ، وهي تطل على البحر من جهة وتكتنفها جبال النصيرية من جهة اخرى ، وفي صافيتا برج اثري يسمى بأسمها كان يستخدم للمراقبة اثناء الحروب الصليبية ، «عثمان ، المصدر السابق ، ص ٢٩٦» .

(٨١) تلكلخ : مدينة صغيرة ومركز قضاء بحمص .

(٨٢) عبد العزيز محمد عوض ، «الادارة العثمانية في ولاية سورية» ، القاهرة ، ١٩٦٩ ، ص ٢٩٤ .

(83)Weulersse, «Le Pays des Alaouites,» op. cit.p.59

بمفاهيم انفصالية ، حتى اصبحت تلك «الخصوصية» ترادف في قاموس السياسة الاستعمارية في القرن التاسع عشر ، مفاهيم «امة» اوشعب[٨٤] وهذا مانبه اليه مدحت باشا الذي خدم في سوريا بضع سنين بوظيفة «كاتب تحريرات» ، وتولى حكمها مدة عام كامل «١٧٨٩ ـ ١٨٨٠» حيث اشار في تقرير بعثه الى السلطان عبد الحميد الثاني ، بتاريخ ١٧ اذار ١٨٧٩ ، الى خطورة التغلغل الأجنبي من خلال الخصوصيات المحلية[٨٥] .

ولما كان النصيرية ليسوا من «ملة المسلمين» ولا من «اهل الذمة» ، فأن الدولة العثمانية لم تدخلهم في اطار نظام «الملل» الذي شرعته[٨٦] . غير ان بعض رجال الدولة كان يرى ضرورة ادخالهم في الدين الاسلامي لأخراجهم من عزلتهم التي يحرصون عليها لانها تخدم ادعائهم بأنهم« اقلية مظلومة ومبغضة ومضطهدة» .

فقد كتب ضياء بك الذي تولى متصرفيه اللاذقية مدة تقرب من ثمان سنوات «١٨٨٥ ـ ١٨٩٢» ، ودرس احوالها عن كثب ، تقريرا[٨٧] الى السلطان عبد الحميد ، يقول فيه ، ان النصيرية اداة بيد ايران فهم

---

(٨٤) وجيه كوثراني ، الاتجاهات الاجتماعية ـ السياسية في جبل لبنان والمشرق العربي ١٩٢٠ ـ ١٩٦٠» ، بيروت ١٩٧٦ ، ص ٣٩ .

(٨٥) نص التقرير في : نادر العطار «تاريخ سورية في العصور الحديثة» ، جـ ١ ، الوثيقة رقم (٣٥) .

(٨٦) وجيه كوثراني « بلاد الشام » بيروت ١٩٨٠ ، ص ٧٩ .

(٨٧) محتوى التقرير موزع في عدة مصادر . «انظر هامش ٣٦»

«يميلون بعـواطفهم اليهـا» ، كما ان وجـود مدارس الامـيركـان في بعض انحـاء الجبـال مضـر بسياسة الدولة ، ولابد من اغلاقها والاستعاضة عنها بمـدارس للحكـومـة . وخلص الى القـول ، ان من الضـرورة ادخـال النصـيريـة في الـدين الاسـلامي . وقـد اخـذ السلطـان برأيه ، وعند ئذ استـدعى المتصـرف رؤساء النصيرية وكتب بحضورهم مضبطة في مجلس ادارة اللواء بأن جميـع الطـوائف النصـيرية دخلت عن رضا وطيبة خاطر في الـدين الاسـلامي ، وانهم لهذا القصـد ارسلوا رؤساءهم ومشايخهم لكي ينـوبـوا عنهم بالاقرار والاعتراف بأسلامهم لدى الحكومة وبعد ذلك شرع بتشييـد المـدارس والمسـاجد في مناطقهم واقنع الدولة بأنهم مسلمون ولكن ماان توفى حتى قام النصيرية بحرق المساجد وهدمها [٨٨] وتحويل المدارس الى مساكن [٨٩].

---

(٨٨) تجدر الاشـارة هنـا ، الى ان الحـاكم المملوكي بيبرس كان قد اجبر النصيرية على بنـاء المسـاجـد في قراهم ، لكنـه لم يتمكن من حملهم على تأدية الصلاة فيها ، فبدلا من ان تكون معابد للصلاة جعلوها زرائب للمواشي والدواب ، «ابن بطـوطـه،جـ١، ص ١٧٧» ، فيليب حتى « تاريـخ سوريـة ولبنـان وفلسطين » جـ ٢ ، ترجمة كمال اليازجي ، بيروت ١٩٥٩ ، ص ٢٥٩ - ٢٦٠ .

(٨٩) محمـد كرد علي « خطـط الشـام » جـ٣ ، دمشق ١٩٢٥ ، ص ١٠٨ ، يوسـف الحـكيم « سوريـة والعهـد العثـماني» ط ٢ بيروت ١٩٨٠ ، ص ٧٠ ـ ٧١ ، عبـد الـرحمن بدوي « مذاهب الاسلاميين » جـ ٢ ، بيروت ، ص ٤٩٩ .
وانظر : محمد فريد وجدي ، دائرة معارف القرن العشرين ، جـ ١ ، ط ٢ ، القـاهـرة ١٩٢٥ ، ص ٢٤٩ ، ٢٥٢ حيث يقتبس فقـرات من مقـال عن

وقد استمرت المحاولات الرامية لأدخال النصيرية في الاسلام وجعلهم في اطار سيادة الدولة حتى اواخر العهد العثماني ، غير انها لم تؤد الى نتيجة ، وظل النصيرية حريصين في الابقاء على حالة الانطواء والانكفاء التي تشكل نهجهم طوال العمر الحديث(٩٠) .

واتخذت تطلعات النصيرية ابعادها الحقيقية في مطلع القرن الحالي بأحتواء القوى الاستعمارية لها ، والنجاح في استثمار الشعور «الاقلي» لدى هذه الطائفة وغيرها في سوريا لضرب الحركة القومية العربية وضمان مصالحها المتعددة في المنطقة .

وفي اطار مرحلة الاستقطاب للنصيرية والقوى المحلية ، دأبت فرنسا بحكم مشاريعها الرامية الى تجزئة بلاد الشام الى كيانات طائفية ومذهبية ، على تهيئة الوضع الداخلي في سوريا بهذا الاتجاه ، وعن طريق عشرات المؤسسات التي اقامتها تحت ستار تقديم الخدمات الاجتماعية والتعليمية . حتى اصبحت فرنسا قبل الحرب العالمية الاولى ، تحتل مركزا مهيمنا في سوريا وبدت بوادر التدخل المباشر منذ سنة ١٩١٢ ، حين القى

← النصيرية كتبه في جريدة الاهرام شخص من اللاذقية ، وفيه ماشرنا اليه اعلاه ، كما جاء فيه : «بنت الحكومة في سواحل الجبال نحو اربعين مدرسة صغيرة ولكن بعد وفاة المتصرف ضياء بك اصبحت تلك المدارس زرائب للماعز ، ومازال النصيرية على مذهبهم الاصلي لايعرفون شيئا عن الدين الاسلامي» .

(٩٠) عن علاقة النصيرية بالسلطة العثمانية ، انظر :
محمد كرد علي ، المصدر السابق ، جـ٣ ص ٧٧ ـ ٧٨ ، ٨٠ ، ١٠٧ ، العطار ، المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٢٣٧ ـ ٢٣٨ ، محمد عوض ، المصدر السابق ، ص ٢٩٤ ـ ٢٩٥ .

رئيس الـوزراء ووزيـر الخـارجية الفرنسي «بوانكاريه» خطابا في البرلمان في الحـادي والعشـرين من كانـون الاول ، جاء فيـه «لست بحـاجة ان اقول للمجلس ان لنا في لبنان وسورية مصالح تقليدية واننا لعازمون على جعلها موضوع احترام . . . »[٩١] .

ولكي لاتتداخل خارطة التجزئة الفرنسية مع الخارطة البريطانية ضمن حصتهـا في المشـرق العـربي ، فأن الاتفـاقـات التي عقـدت بعـد اندلاع الحـرب ، كانت ضمن هذا الاتجـاه الـذي اخـذ صيغتـه العمليـة ، فلقد استثنت بريطـانيـا في مراسلاتها مع الشريف حسين بعض المناطق الداخلة في الحـدود التي كانت تشعـر بأنهـا ليست حرة التصـرف فيها «دون ان تمس مصالح حليفتها فرنسا»[٩٢] . وتحددت الصورة بأبعادها الكاملة في اتفاقية سايكس ـ بيكـو ، بمـؤشـراتها الزرقاء والحمراء والسمراء ، حيث قسمت المشـرق العـربي الى منطقتي ادارة مبـاشرة ، زرقاء لفرنسا وتضم الساحل السـوري ـ اللبنـاني دون فلسطـين «المنطقـة السمراء» ، مجتازة سيواس في قلب الاناضول ، بالاضافة الى نفوذها الكامل على منطقة حوران ودمشق الى حدود حلب شمالا والمـوصـل شرقـا ، وخصصت الحمراء لبريطانيا ، وهي العـــراق الاسفـــل ابتـداء من شمال بغـداد ، محتفظـة من السـاحـل الفلسطيني بمينـائي عكـا وحيفا ، ومع نفوذها الكامل على المنطقة الممتدة

---

(٩١) كوثـراني ، مصـدرسابق ، ص ١٩٠ . وانظـر ذوقـان قرقـوط « تطور الحركة الوطنية في سوريا » بيروت ١٩٧٥ ، ص ١٧ ـ ١٨

(٩٢) قرقوط ، المصدر السابق ، ص ١٩ .

من العقبة الى جنوب غزة محاذية في الشمال منطقة النفوذ الفرنسية[٩٣] .
وبأنتهاء الحرب ، كانت سوريا قد قسمت الى ثلاث مناطق رئيسة ، المنطقة الشرقية[٩٤] وضعت تحت حكم الأمير فيصل بن الحسين،والمنطقة الغربية[٩٥] احتلها الجيش الفرنسي وانشأ فيها ثلاث حكومات مراكزها

---

(٩٣) للاطلاع على الاتفاقية راجع : حسن الحكيم ، . «الوثائق التاريخية المتعلقة بالقضية السورية» ، بيروت ١٩٧٤ ، ص ٢٤ ـ ٢٩ ، سلامة عبيد «الثورة السورية الكبرى على ضوء وثائق لم تنشر» ، بيروت ، ص ٧ ، قرقوط ، المصدر السابق ، ص ٢١ ـ ٢٢ .

(٩٤) اقتصرت المنطقة الشرقية على ولايتي دمشق وحلب والوية حماه وحوران والكرك بما فيه المنطقة التي سميت بعدئذ شرقي الاردن ، وتحولت حمص التي كانت مركز قضاء تابع لمتصرفية حماه ، الى متصرفية ، كما تحول جبل العرب الى متصرفية مركزها بلدة السويداء . فكانت المنطقة الشرقية من سوريا حسب التقسيم المنوه عنه اعلاه ، عبارة عن ولاية سوريا بكاملها ، وحلب مع القسم الجنوبي من ولايتها ، وكامل لواء دير الزور ، وقد احتله الجيش البريطاني في مطلع عام ١٩١٩ ليضمه الى العراق ثم اعيد الى سوريا بسعي من الأمير فيصل لدى الجنرال اللنبي القائد العام للقوات البريطانية .
يوسف الحكيم ، «سورية والعهد الفيصلي» بيروت ١٩٨٠ ، ص ٣٣ وانظر : زين نور الدين زين « الصراع الدولي في الشرق الاوسط وولادة دولتي سوريا ولبنان » بيروت ١٩٧١ ، ص ٨٥ .

(٩٥) شملت المنطقة الغربية جبل لبنان وكامل القسم الغربي الساحلي من رأس الناقورة جنوبي بلدة صور حتى مابعد مرفأ الاسكندرونة شمالاً ، بما في ذلك مدينة بيروت مركز الولاية ، ولوائي طرابلس واللاذقية ، واقضية جسر الشغور وانطاكية واسكندرونة وكل أطلق عليه بعدئذ لواء اسكندرونة . وقد كان سابقا من ملحقات ولاية حلب ، وقضاء العمرانية «مصياف» الذي كان ملحقا بلواء حماه . الحكيم ، المصدر السابق ص ٣٤ .

بير وت والـلاذقيـة والاسكندرونة ، وذلك في بدء مرحلة جديدة من مخطط التجـزئـة والتفتيت الاستعماري لأجهاض اي نضال تحرري مستقبلي . اما المنطقة الجنوبية وهي فلسطين ، فأنها وضعت تحت ادارة بريطانيا . وبشأن النصـير يـة فأن فرنسـا ارادت جمع شملهم في منطقـة محددة ضمت اقضية جبله والمـرقب «بـانيـاس» وصهيـون «الحفـة» والمـديـريـات المرتبطة بها ، بالاضـافـة الى ما كان تابعـا لمتصـرفيـه طرابلس ـ قضاء الحصن «تلكلخ» وصـافيتـا ومـديـريتي طرطوس وجزيرة ارواد ـ وقضاء مصياف من الاقضية التي كانت ملحقة بحماه وقضاء الشغور من اقضية مركز ولاية حلب . وبعد هذا الفصل والوصل اطلقت على المنطقة سنة ١٩١٩ تسمية «بلاد العلويـين»[٩٦] ويظهـر انهـا ارادت بذلك تغطية واقع هذه الطائفة الغريبة عن المجتمـع السوري ، وفي الوقت نفسه استجابة لرغبة النصير ية[٩٧] ، حيث تتيح لهم هذه التسمية ضرب العروبة وتمزيق الاسلام من الداخل .

وفي هذا الصـدد نشـير الى مايـذكره يوسف الحكيم الذي كان معاصرا للاحـداث انـذاك ، وشغـل مناصب وزارية في بدء عهد الامير فيصل وفي عهـد الانتـداب الفـرنسي حيث يقول في معرض حديثه من اوضاع سوريا عقب انتهـاء الحـرب الاولى وانعقـاد مؤتمـر الصلح في باريس «١٧ كانون الثاني ١٩١٩» ، ان النصير ية اخلصوا للانتداب الفرنسي ولم يبعثوا بنائب

---

(٩٦) الحكيم « سوريـة والعهـد الفيصـلي » ص ٥٢ ـ ٥٣ وانظر : فيليب حتى ، « سوريه ولبنان وفلسطين » ج٢ ، ص ٢٢٠ .

(٩٧) الحكيم « سورية والعهد العثماني » ص ٦٨ .

عنهم الى المؤتمر السوري(٩٨) ، ويبرر موقفهم هذا بأنه «كان متفقا مع مزية عرفان الجميل حيث شملهم الفرنسيون بالعناية والعدالة والعطف البارز . . . »(٩٩) .

وما يقوله الحكيم عن طبيعة العلاقة التي قامت بين فرنسا والنصيرية ، له دلالته المهمة في تأكيد معاداة النصيرية لحركة التحرر العربية واتخاذهم موقف المناوئ للشعب السوري في تطلعاته الوطنية والقومية ، ذلك ان المؤتمر السوري الذي التأم في تموز ١٩١٩ (١٠٠) ، جاء تعبيرا عن تلك التطلعات ، فلقد ادرك زعماء الحركة الوطنية ضرورة تصعيد المقاومة وتنظيمها من اجل وحدة سوريا واستقلالها ، بعد ان عاد الأمير فيصل من مؤتمر الصلح دون ان يحقق شيئا . (١٠١)لذلك كانت الدعوة لتشكيل مجلس وطني يضم ممثلين عن سوريا بمناطقها الثلاث . ولم تقتصر الانتخابات التي اجريت لهذا الغرض على الجزء الواقع تحت الادارة العربية «اي المنطقة الشرقية» ، بل تجاوزته الى المنطقة الغربية التي يديرها الفرنسيون والمنطقة الجنوبية التي يديرها البريطانيون(١٠٢) . وقد قاطع

---

(٩٨) كان الامير فيصل قد اشار على رجال الحركة الوطنية بضرورة عقد مؤتمر يضم ممثلين عن سوريا بمناطقها الثلاث ، بهدف اثبات رغبة الشعب في الوحدة والاستقلال بطريقة شرعية ، وكانت هذه الاشارة تتوافق اصلا مع ماكان يدور انذاك في ذهن العديد من العاملين في الحقل الوطني .

(٩٩) يوسف الحكيم « سوريه والعهد الفيصلي » ص ٩٤ .

(١٠٠) قرقوط ، المصدر السابق ، ص ٣٢ .

(١٠١) للتفاصيل ، انظر زين الزين ، المصدر السابق ، ص ١٠١ ، ١٢٩ .

(١٠٢) قرقوط المصدر السابق ، ص ٣٢ .

النصيرية هذه الانتخابات ولذلك لم يبعثوا بنائب عنهم الى المؤتمر السوري كما اشرنا ، وفي هذا الصدد يقول الحكيم : «فأكتفي بأنتخابات خاصة قام بها انصار الوحدة السورية في كل بلدة اوقرية او مجتمع على حدة»[١٠٣] .

وفي الوقت الذي كانت فيه سوريا تشهد بداية مرحلة جديدة من التصدي للمحتلين ، على اثر صدور مقررات[١٠٤] المؤتمر السوري التي كانت برنامج عمل للحركة الوطنية وتحديدا لأهدافها ، اتفقت بريطانيا وفرنسا في **١٣** ايلول **١٩١٩** «على ان ينتهي جلاء القوات البريطانية عن سوريا في اليوم الاول من شهر تشرين الثاني ، سنة **١٩١٩** . .» .

وقد كتب وليم يايل عضو الوفد الامريكي لمفاوضات الصلح في باريس يقول : «ان الاتفاق الذي تم بين لويد جورج وكليمنصو على ان يتم انسحاب الجيش البريطاني من كيليكية وسوريا وجبل لبنان في اليوم الاول من شهر تشرين الثاني ليحل محله الجيش الفرنسي في كيليكية وعلى الشاطي السوري ، والجيش العربي في المدن الأربع دمشق وحمص وحماه وحلب ، كان من ادهى الأمور واخبثها . .»[١٠٥] .

---

(١٠٣) يوسف الحكيم « سوريا والعهد الفيصلي » ، ص ٩١ .

(١٠٤) صدرت المقررات في عشر مواد اهمها الاعتراف بسورية ، وفي ذلك فلسطين ، دولة ذات سيادة والغاء اتفاقية سايكس ـ بيكو ووعد بلفور واي مشروع لتقسيم سورية او انشاء دولة يهودية في فلسطين .

(١٠٥) زين الزين ، المصدر السابق ، ص **١٣٠** ويراجع ايضا بشأن تفاصيل الاتفاق : سليمان موسى ، «الحركة العربية المرحلة الاولى للنهضة العربية الحديثة ١٩٠٨ ـ ١٩٢٤» ، ط٢ ، بيروت ١٩٧٧ ، ص ٤٩٩ .

وقد اثار الاتفاق البريطاني ـ الفرنسي ، مشاعر الغضب في سوريا ، وقدم الأمير فيصل الذي كان في زيارة لبريطانيا ، احتجاجا شديد اللهجة ، وقال ان العرب يعارضون بشدة اي تقسيم يتناول الأرض العربية مهما يكن شكل التقسيم ، وان السوريين لايقبلون بتجزئة بلادهم ، كما انهم لايعترفون لفرنسا بأية حقوق في سوريا تخولهم حق الانتداب عليها ، وطلب الغاء الاتفاق الغاء تاما . وعقب هذا الاحتجاج جرت مراسلات عديدة بهذا الشأن بين الأمير فيصل والحكومة البريطانية طيلة الفترة «٢١ ايلول ـ ١٠ تشرين الاول ١٩١٩» ولكن دون جدوى . كما ان قيام الامير فيصل بزيارة باريس في ٢٠ تشرين الأول ١٩١٩ ، ومكوثه فيها اكثر من شهرين ونصف الشهر لأجراء المزيد من المباحثات حول الموضوع وعرضه على المجلس الاعلى لمؤتمر الصلح ، لم يسفر عن نتيجة[١٠٦] .

ومما تجدر الاشارة اليه ، ان الجنرال غورو احد كبار قادة فرنسا العسكريين ، الذي عين مفوضا ساميا في بيروت وقائدا للقوات المحتلة في سوريا وكيليكية ، بعث برقية سرية ، بينما كان الامير فيصل في باريس ، الى رئيس مجلس الوزراء ووزير الخارجية مؤرخة في ٢٩ كانون الاول ١٩١٩ ، يعرض فيها الموقف الذي ينبغي اتخاذه من حكومة فيصل ، فيرى ان ثمة ضرورة لتصفيتها ، كي تتأمن السيطرة الفرنسية على سوريا ، بعد الاتفاق الانكليزي ـ الفرنسي ، بشكل كامل[١٠٧] .

---

(١٠٦) للتفاصيل ، انظر : زين الزين ، المصدر السابق ، ص ١٣٢ ـ ١٣٤ ، ١٣٧ ـ ١٣٨ .

(١٠٧) ارشيف وزارة الخارجية الفرنسية :

Serie E-Levant, Syrie - Liban, Vol. 20,p.226.

«نقلا عن كوثراني ، بلاد الشام ، ص ٢٠٩» .

ويـركـز الجنـرال غورو في تقـريـر بعثـة للحكومة الفرنسية ، على اهمية «الخصوصيات» الاقليمية والطائفية في ضرب «الوحدة القومية» ، ومما جاء في التقرير :ـ

«وافيدكم بهذا الصدد ان النصيريين ، الذين يستيقظ حسهم «الاقليمي - الذاتي» منذ لم يعد الاتراك هنا لتذويبهم مع المسلمين ، قد ساعدوني كثيرا في قمـع الفتنـة التي اثـارهـا الشـريف في منطقـة تلكخ . فقد تلقيت برقية تفيـدني بأن (٧٣) زعيـما نصيرا ، يتحدثون بأسم جميع القبائل ، يطالبون بأنشاء اتحاد نصيري مستقل تحت حمايتنا المطلقة . وكما هو حاصل بالنسبة لحوران ، يقتضي تأمـين الاستقـلال الـذاتي والعـلاقـات المبـاشرة للدولة النصيرية مع فرنسا» .

ويضيف غورو قائـلا : «ان انقسـامـات سوريـا ، التي ينبغي ان تساعدنا على تنظيم البـلاد بشكـل عمـلي ومـلائم لسلطتنـا ، هي الان ذات فائدة كبيرة لنا من اجل احتواء الحركة المنظمة ضدنا . . » .

وطلب غورو اخـيراً من الحكـومـة الفـرنسية الا تتساهل في التعامل مع فيصـل لان من شأن ذلـك انقـاذه : «انني اشدد على هذه الوقائع . . كي لايمنحوا الامير فيصل شيئا لاتكون المصالح الدولية قد املته بشكل صارم . . . »[١٠٨] .

وفي ضوء تقـريـر غورو ومـا تقـدم من احـداث كان فيها النصيرية ضد امـاني الشعب السـوري في وحـدة البـلاد واستقلالها ، لابد من وقفة بشأن «الثورة» التي كانت ماتزال مستمرة وهي (ثورة) الشيخ صالح العلي،منذ ان

---

(١٠٨) انظر : كوثراني « بلاد الشام » ص ٢١١ .

انـدلعت في منطقتـه بقـريـة الشيخ بدر «احدى نواحي طرطوس» ، في ١٥ كانـون الاول ١٩١٨[١٠٩] ، فهي ـ كما تصفهـا المصادر ـ الصرخة الاولى في وجه الاستعمار الفرنسي .

وحين نستقرئ تلك الثورة التي قد يحاول النصيرية ان يتجاوزوا بها كل تاريخهم المعاصر الحافل بمعاداة الحركة القومية العربية ، نجد انها لم تكن ـ في حقيقة الأمر ـ رد فعل لأحتلال الفرنسيين اجزاء من المنطقة الساحلية ، ولكن تداخلهـا مع ثورات اخـرى انـدلعت في العـديـد من مدن الساحل السـوري لمقـاومـة الاحتلال ، اعطاها تلك الصورة ، هذا من ناحية ومن ناحيـة اخـرى فأن النصـيريـة لم يكـونوا مادة الثورة ، حيث يذكر غورو في تقرير ، ان (٧٣) زعيما نصيريا يتحدثون بأسم جميع القبائل كانوا يطالبون بالانفصال تحت الحماية الفرنسية المطلقة . ويلاحظ مما جاء في كتاب «قصة الكفـاح الـوطني في سوريـة» ، ان فرنسـا كانت تستعين بهم كوسطاء بينهم وبـين الشيـخ صالـح العلي ، حيث ورد ، انه على اثر مهاجمته قلعة المرقب قرب بانياس في ٢١ تموز ١٩١٩ ، واضطرار القوة المحتلة على الانسحاب منهـا ، طلب الفـرنسيـون من احـد زعـماء الجبـل النصـيري ، وهو «احمد الحامد» ان يعرض على الشيخ صالح رغبتهم في انهاء الحرب والدخول في مفاوضات[١١٠]

اما مبعث الثورة ، فأن الدراسة التحليلية لها ، قادتنا الى القول ، بأنها

---

(١٠٩) علي رضـا «قصـة الكفـاح الوطني في سورية عسكريا وسياسيا حتى الجلاء» حلب ، ١٩٧٩ ، ص ٢٣ .

(١١٠) علي رضا ، ص ٣٤ .

ترتبط اساسا بالصراع الذي كان قائما بين النصيرية والاسماعيلية [١١١] ، وهو صراع قديم منذ ايام الدولة الفاطمية ، واشتد في الحقب التالية حين استولى الاسماعيلية على بلدة «قدموس» التي كانت تعد من اهم مراكز النصيرية[١١٢] . وفي مطالع القرن العشرين كان الشيخ صالح العلي يشن هجماته عليهم بهدف طردهم من هذه البلدة . ولما جاء الفرنسيون وتحالف الاسماعيلية معهم[١١٣] ، توسعت دائرة الصراع ، بدفع من بعض الاطراف المحلية والدولية التي كانت تعمل بهذا الاتجاه ، وان اختلفت الاهداف التي ترمي اليها . وتلك الاطراف هي الحكومة العربية في دمشق برئاسة الامير فيصل التي كانت تنطلق من مبدأ مقارعة المحتل ، فساهم في الثورة رجال من جيشها[١١٤] ، والحركة الكمالية التي اخذت على عاتقها اخراج جيوش الحلفاء من الاراضي التركية ، ومنها جيش فرنسي يحتل منطقة كيليكية ، عملت منذ بدء تنظيمها للمقاومة عام **١٩١٩** تحت زعامة مصطفى كمال ، على دفع الصراعات المحلية بهذا الاتجاه ، فكانت على صلة بالشيخ صالح العلي وامدته بالسلاح[١١٥] ، وبهذا نجحت في ايجاد

---

(١١١) عن صراع النصيرية والاسماعيلية ، انظر : محمد كرد علي ، «خطط الشام» جـ٣ ، ص ١٧٤ - ١٧٥ .

(١١٢) حسن رشيد تانقوت ، مصدر سابق ، ص ٢٣ - ٢٤ .

(١١٣) عبد الرحمن بدوي ، ، «مذاهب الاسلاميين» ، جـ٢ ، ص ٥٠٠ .

(١١٤) علي رضا ، المصدر السابق ، ص ٢٥ .

(١١٥) انظر : كوثراني ، بلاد الشام ، ص ٣٧٢ - ٣٧٣ «الملحق ١٩ وثائق مختارة عن بلاد النصيرية بقلم الكولونيل نيجر نشرت في مجلة العالم الاسلامي ، آذار ١٩٢٢ ، العدد ٤٩» ، علي رضا ، المصدر السابق ، ص ٣٢ :
Weulersse, 'Le Pays des Alaouites'', op.cit., p. 118.

عامل ضغط على الفرنسيين اثمر في انسحابهم من كيليكية عام ١٩٢١ ، وعقد اتفاق بينهم والاتراك الذين تخلوا عند ئذ عن الشيخ صالح العلي ، «عقب كارثة ميسلون وعقد اتفاق بين الفرنسيين والاتراك ، نضب السلاح في ايدي الثوار ، وتوجهت جيوش فرنسية بكاملها للقضاء عليهم . . .»[١١٦] .

على اية حال ، انتهت الثورة بأستسلام الشيخ صالح العلي في تشرين الأول ١٩٢١[١١٧] ولاستكمال الصورة عنها ، نشير الى جانب آخر هو ان اقتران الثورة به كقائد لها لايعني صلتها بالنصيرية[١١٨] ، فالشيخ صالح كانت قد اوكلت اليه من قبل الامير فيصل ، نيابته على بلاد النصيرية ، حيث كانت له صلة بالحكومة العربية في دمشق[١١٩] ، كما ان نهجه مختلف كليا عن تطلعات النصيرية . والواقع لم تشهد منطقتهم بعده ، غير هدوء كامل ومستقر ، حتى اثناء الثورة السورية الكبرى سنة ١٩٢٥[١٢٠] ، وهو ماستتحدث عنه فيما بعد .

---

(١١٦) علي رضا ، المصدر السابق ، ص ٣٢ .

(117) Weulersse, ''Le Pays des Aiaouites,'' op cit., p. 119.

(١١٨) في ٣١ اب ١٩٢٠ اصدرت السلطات الفرنسية قرارا بمنح بلاد النصيرية ادارة مستقلة . «حسن الحكيم ، الوثائق التاريخية » ص ٢٥٤ .

(١١٩) كوثراني ، بلاد الشام ، ص ٣٧٢ «الملحق ١٩ وثائق مختارة عن بلاد النصيرية» .

(120) Weulersse, ''Le Pays des Alaouites,'' op. cit., p. 119.

لقد شهدت سوريا تطورات عديدة وخطيرة ارتبطت بتصاعد حركة المقاومة وبأعطاء الاحتلال صفة الانتداب . ففي الوقت الذي عقد فيه المؤتمر السوري اجتماعا في «٧ آذار ١٩٢٠» ، واتخذ قرارا[١٢١] بأعلان استقلال سوريا بحدودها الطبيعية «اي سوريا ولبنان وفلسطين والاردن» دولة ذات سيادة وملكية دستورية على رأسها الأمير فيصل ، واصدر بيانا فضح فيه المؤامرات الاوربية والصهيونية ، اسرعت دوائر الحلفاء الى تدارس الموقف ودعت لعقد اجتماع عاجل ، وفي الفترة «١٩ ـ ٢٦ نيسان» اجتمع مجلس الحلفاء الاعلى في سان ريمو بأيطاليا ، وتقرر الأخذ بمبدأ الانتداب الذي تم توزيعه بين فرنسا وبريطانيا على العراق وفلسطين وسوريا «بما في ذلك لبنان»[١٢٢] . وما أن اطل شهر تموز ، حتى كانت القوات الفرنسية تتمركز على طول حدود المنطقة الشرقية ، وارسل الجنرال غورو انذارا الى الأمير فيصل ضمنه خمسة شروط[١٢٣] ان لم يستجب اليها خلال اربعة ايام ، فأن الجيش الفرنسي يحتل دمشق ، الأمر الذي اثار

---

(١٢١) نص قرار المؤتمر السوري في :ـ احمد قدري « مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى » دمشق ١٩٥٦ ، ص٦ ـ ٧ ، حسن الحكيم ، الوثائق التاريخية ، ص ١٤٠ ـ ١٤٣ ، وثيقة رقم (٢٥) .

(١٢٢) زين الزين ، مصدر سابق ، ص ١٤٣ ، ١٥٨ ـ ١٥٩ ، سليمان موسى ، « الحركة العربية » ص ٥٣٩ ، ٥٤٥ ـ ٥٤٦ .

(١٢٣) نصت الشروط على قبول الانتداب الفرنسي قبولا غير مشروط ، والغاء التجنيد الاجباري وتسريح المجندين ، والتعامل بالنقد الورقي الذي اصدرته الأدارة الفرنسية ، ووضع سكة حديد رياق ـ حلب تحت تصرف الجيش الفرنسي ، ومعاقبة الثائرين على فرنسا والذين قاموا بأعمال عدائية ضدها .

الجماهير العربية السورية التي عدته ذروة الاستخفاف بكرامة البلاد[124].

وكان الموقف بالغ التعقيد فالأنذار الفرنسي رفضه المؤتمر السوري وقرر المجابهة العسكرية ، في حين رأت الحكومة ان الاستجابة للانذار تجنب البلاد الكوارث ، فأصدرت في آخر يوم من مدة الانذار المحددة «١٨ تموز» قرارها بقبول الانذار ، على ان تجري بين الجانبين مفاوضات تحفظ فيها كرامة السوريين وحقهم في الاستقلال ، وارسل فيصل برقية الى غورو يعلمه بذلك . غير ان الحكومة تعرضت لانتقادات الرأي العام على اختلاف احزابه وجمعياته الوطنية . ومما اثار السخط انباء زحف القوات الفرنسية بأتجاه دمشق ، خلافا لما سبق ان وعد به الجنرال غورو ، فنادى الشعب بسقوط الحكومة . وفي فجر ٢٤ تموز ١٩٢٠ جرت في ربا ميسلون معركة عنيفة غير متكافئة مع القوات الفرنسية التي تمكنت من اختراق المواقع العربية ، وفي اليوم التالي دخلت هذه القوات دمشق ، فكانت نهاية الحكم الفيصلي[125].

---

(١٢٤) زين الزين ، المصدر السابق ، ص ١٦٤ ـ ١٦٥ ، سليمان موسى ، المصدر السابق ، ص ٥٥٨ ، ساطع الحصري « يوم ميسلون » بيروت ص ١١٨ .

(١٢٥) للتفاصيل ، انظر : الحصري المصدر السابق ، محمد علي العجلوني ، «ذكرياتي عن الثورة العربية الكبرى » عمان ١٩٥٦ ، ص ٩٩ ـ ١٠٣ ، سليمان موسى ، المصدر السابق ، ٥٥٩ ـ ٥٦٨ ، زين الزين ، المصدر السابق ، ص ١٧٢ ـ ١٧٩ ، محمد كرد علي ، المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ١٨٠ ـ ١٨٣ .

وتكشف البرقيات السرية المتبادلة بين رئيس الوزراء الفرنسي مليران والجنرال غورو بعد احتلال دمشق مباشرة ، عن اشكال التعامل الاستعماري مع البنى الاجتماعية والسكانية لسوريا ، وكيفية استخدام الخصوصيات المحلية بما يمنع بروز اي تحرك قومي معاد لذلك وموحد للبلاد .

يذكر ميلران في برقية طويلة مؤرخة في ٦ آب ١٩٢٠ ، تحمل عنوان «مخطط لتنظيم الانتداب الفرنسي في سوريا» ، ان بالامكان تصور ثماني مجموعات مستقلة هي من الشمال الى الجنوب : سنجق ، الاسكندرون ، مستلحقة حلب ، مجموعة النصيرية ، مستلحقة حمص ، مستلحقة طرابلس ، مستلحقة دمشق ، واخيرا حوران ، وتتضمن الاخيرة مجموعتين : الدروز والمسلمون . ويرى ميلران ، ان تنظيم هذه المجموعات يختلف بأختلاف اوجه عديدة «ناتجة بالنسبة للبعض عن الموقع الجغرافي ، وبالنسبة للبعض الآخر عن تمركز المصالح ، وبالنسبة للآخرين عن كونهم تجمع ديني متماسك» .

وعند استعراض ميلران الخطوط العامة لتنظيم المجموعات المشار اليها ، يقول عن النصيرية «وبالنسبة لهؤلاء المقيمين في المنطقة الساحلية والذين يتكلمون جميعا اللغة العربية ، فيشكلون جماعة دينية مرتبطة نظريا بالاسلام ، لكنها في الواقع منفصلة عنه تماما ، ويجب الا تدمج بالمسلمين» .

ان الافكار التي عرضها مليران ، كان للجنرال غورو وجهة نظر بشأنها فهو يرى ان تقسيم سوريا الى الكيانات السياسية او المجموعات التي

يقترحها مليران ، يترتب عليه نتائج خطيرة ، اذ قد يخدم هذا الاجراء فكرة الوحدة بدل ان يقضي عليها ، وذلك أن انشاء مجموعات صغيرة لاتستطيع تأمين وجودها بنفسها ، يجعلها تتكاتف وتتقارب بدافع الاحساس المشترك بوحدة المصالح . ويقترح غورو بالمقابل ان تنحصر التجزئة في ثلاث او اربع دول ، حيث ان من السهل في هذه الحالة الابقاء على التوازن بين ثلاث او اربع دول كبيرة ، يتيح لها وضعها ان تكفي نفسها بنفسها ، ويساعدنا عند الحاجة على تاليب بعضها على بعضها الاخر . ولقد اقتنع مليران بوجهة نظر الجنرال غورو ، وترك له امر تحديد عدد الدويلات المقترح انشاؤها[١٢٦] .

وفي الاول من ايلول ١٩٢٠ ، اصدر الجنرال غورو عدة قرارات تقضي بتقسيم سوريا الى دويلات ، فأعلنت دولة لبنان ودولة حلب ، ومنحت بلاد النصيرية ادارة مستقلة ، وجاء في القرار الذي صدر بشأنها :ـ

« انه لما كان «النصيرية» قد صرحوا جليا ومراراً بآمالهم بأن يكون لهم ادارة قائمة بذاتها تحت رعاية فرنسية ، لأجل ذلك يجب ان تنشأ مقاطعة تجمع اكثرية هؤلاء ليتيح لهم ان يواصلوا السعي في سبيل مصالحهم السياسية والاقتصادية تحقيقاللاماني التي صرحوا بها[١٢٧] »

---

(١٢٦) انظر :ـ كوثراني « بلاد الشام » ص ٢١٧ ، ٢٢٠ ـ ٢٢١ ، ٢٢٩ .
«ارشيف وزارة الخارجية
Serie E- Levant, Syrie - Liban, Vol.125»

(١٢٧) حسن الحكيم « الوثائق التاريخية » ص ٢٥٤ ، «وثيقة رقم ٤٣» .

وتتابعت قرارات التقسيم فأنشئت دولة دمشق «٣ كانون الأول ١٩٢٠» ودولة في جبل حوران« ٢٠ نيسان ١٩٢١ »[١٢٨] الذي اصر الفرنسيون على تسميته بجبل الدروز بأضفاء الصفة الطائفية عليه [١٢٩] .

وفي الوقت الذي تصاعدت فيه حركة المقاومة للانتداب الفرنسي ، وشهدت دمشق وحلب وحوران ثورات متواصلة من اجل وحدة سوريا واستقلالها[١٣٠] ، كان النصيرية يباركون عملية تجزئة البلاد الى دويلات صغيرة ، ولم تشر المصادر التي تناولت تاريخ الكفاح الوطني في سوريا بما في ذلك كتب التاريخ المقررة[١٣١] في المدارس السورية ، الى اية بوادر للاستنكار بهذا الشأن في مناطقهم .

ولقد اصدرت فرنسا في محاولة لمواجهة تلك الثورات ، تعديلا لمشروع التجزئة في ٢٨ حزيران ١٩٢٢ ، يقضي بأنشاء اتحاد بين دولتي دمشق وحلب واراضي النصيرية المستقلة . ونصت المادة السابعة من نظام الاتحاد على تشكيل مجلس من خمسة ممثلين عن كل من الكيانات الثلاثة ، وقررت المادة الثانية ان يلتئم المجلس الاتحادي بالمناوبة تارة في دمشق وتارة في حلب من كل سنة ، ثم صدر تعديل جعل دمشق مركزا دائماً للمجلس[١٣٢] .

---

(١٢٨) كوثراني ، بلاد الشام ، ص ٢٣٦ - ٢٣٧ .

(١٢٩) قرقوط ، مصدر سابق ، ص ٦١ .

(١٣٠) في تصريح للجنرال ساراي ذكران سوريا شهدت سنة ١٩٢٢ وحدها خمس وثلاثين ثورة دفع فيها من الجيش الفرنسي خمسة الاف جندي . «قرقوط ، المصدر السابق ، ص ٥١» .

(١٣١) انظر : تاريخ العرب الحديث والمعاصر بجزئية الاول والثاني للصف الثالث الثانوي ، وزارة التربية السورية ١٩٧٧ - ١٩٧٨ .

(١٣٢) حسن الحكيم « الوثائق التاريخية » ص ٢٦١ - ٢٦٢ «وثيقة رقم ٤٧» .

وبغيـة اعطـاء النصيرية حجما يوازي حجم دمشق وحلب ، اعلن في اول تموز ١٩٢٢ قيـام دولتهم المستقلة . وقـد تألفت من لواء الـلاذقيـة بما فيـه اقضيـة صهيون وجبلة وبانياس وحي الاكراد وصافيتا ولواء طرابلس الشام القديم ، وناحية طرطوس وقضاء مصياف من اعمال حماه ، وقدرت مساحة الدولة بين ٦٥٠٠و٧٠٠٠كم٢(١٣٣) .

وبالرغم من حملة الدعاية الفرنسية التي صاحبت تنفيذ قرار انشاء اتحاد بين «الـدول السـوريـة» بأعتبـاره صورة عن امـاني البـلاد ، وقيام الجنرال ويغـان (Weygand) الـذي خلف غورو في منصبـه ، بجولة في انحاء سوريا لهذا الغـرض ، فأن الجماهـير كانت تقابله مطالبة بالوحدة ، ولدى زيارته دمشق صدرت الصحف مجلله بالسواد ، ولتهـدئـة الاوضـاع ، اصدر في ايلول ١٩٢٣ ، قراراً بتـزويـد دولتي دمشق وحلب بمجلسـين تمثليـين منتخبـين لهما صفـة استشـارية ، الا ان دمشق وحلب قاطعت الانتخابات التي لم يشـترك فيهـا الا ناخبـو الـدرجـة الثـانية تحت ضغط رجال الشرطة والدرك للادلاء بأصواتهم . وبلغ من سخط الناس على الانتخابات انهم قاطعوا الاشخاص الذين ضمنت لهم السلطة نجاحهم(١٣٤) .

وفي اطـار اهـداف النصـيريـة لضـرب الحركة الوطنية وتمزيق سوريا ، رفض مجلسهم ايـة فكـرة للوحـدة مع دمشق وحلب ، وجـاء في خطـاب للجنـرال ويغـان"ان مجلسي دمشق وحلب قد طلبـا الوحدة ورفضها مجلس النصـيريين مما دفعه لوضع برنامج وافقت عليه الحكومة الفرنسية ، يقضي

---

(١٣٣) كوثراني ، بلاد الشام ، ص ٣٥ ـ ٢٣٦ .

(١٣٤) قرقوط ، المصدر السابق ، ص ٥٦ .

باقامة الوحدة بين دمشق وحلب وابقاء دولة النصيرية خارجة عنها[١٣٥]»
وفي ٥ كانون الاول ١٩٢٤ صدر قرار بالغاء الاتحاد السوري وانشاء وحدة بين دولتي دمشق وحلب بأسم «الدولة السورية» تكون عاصمتها دمشق . وعين صبحي بركات رئيس الاتحاد واحد مندوبي حلب ، رئيسا للوحدة ، ومسؤولا امام مندوب المفوض السامي بدمشق[١٣٦] .

ويؤشر القرار الفرنسي ، تطورا في اساليب التعامل السياسي يتلائم والمتغيرات المتوقعة في ضوء تصاعد حركة مقاومة التجزئة بشكل فاعل ولكن دون ان يسقط استمرارية دعم المرتكزات في البلاد .

وقد قامت السلطات الفرنسية بتعيين مفوض سام جديد هو الجنرال ساراى ، يبدو ان المرحلة الجديدة اقتضت اختياره لهذا المنصب . وامت بيروت وفود سورية عديدة لاستقباله وتقديم «لوائح مفصلة عن الوحدة السورية وعن سيئات التجزئة المبنية على التفرقة الطائفية والاساليب الاستعمارية المتبعة في التعليم وخاصة في بلاد النصيرية».[١٣٧] وكانت المضبطة التي سلمها وفد دمشق تتضمن ثلاثة عشر بندا في مقدمتها وحدة سوريا بما في ذلك بلاد النصيرية وجبل حوران «الدروز» ولواء الاسكندرونة ودعوة جمعية تأسيسية تنتخب انتخابا حرا ، ولم تختلف عنها

---

(١٣٥) المصدر السابق ، ص ٥٧ ـ ٥٨ .
(١٣٦) للاطلاع على نص قرار الغاء الاتحاد السوري ، راجع : حسن الحكيم « الوثائق التاريخية » ص ٦٣ ـ ٢٦٦ «وثيقة رقم ٤٨» .
(١٣٧) المقطم في ٢٢ كانون الثاني ١٩٢٥ ، «نقلا عن : قرقوط ، المصدر السابق ، ص ٥٨» .

مطالب وفد حلب[١٣٨] .

اتخذت دعوة الوحدة الصيغة البرلمانية ، بأجتماع مجلس سوريا التمثيلي لاول مرة في عهد ساراى ، واتخاذه قرارا يطلب منه توحيد البلاد وضم منطقة النصيرية اليه[١٣٩]ولم يكن ثمة خلاف على الوحدة بين مختلف الاتجاهات السياسية «بأستثناء قلة ضئيلة جدا من الطائفيين الحاقدين»[١٤٠] .

ان تأكيد الحركة الوطنية على منطقة النصيرية في مطاليبها لسلطات الانتداب الفرنسي ، كجزء من الارض العربية السورية ، وجعل النضال من اجلها هدفا رئيساً ، ينطلق من ادراك للافكار التي تنطوي عليها تطلعات النصيرية ، خاصة وانها طائفة غريبة في معتقداتها وبعيدة عن الديانة السماوية ، ويمكن ان تكون دوما ـ وهذا ماحصل ـ اداة فاعلة لكل مخطط استعماري .

ولقد جاءت التطورات اللاحقة لتقرر جملة ماأشرنا اليه ، ولتؤكد بشكل واضح معاداة النصيرية لحركة التحرر العربية في سوريا ، حيث اندلعت ثورة كبرى ضد الاحتلال الفرنسي في سنة ١٩٢٥ ، واستمرت مايقرب من عامين ، شملت البلاد كلها بأستثناء الجزء الذي يقطنه النصيرية الذين كان من الطبيعي ان يتخذوا هذا الموقف فبلاغ الثورة يدعو لحمل السلاح من اجل وحدة البلاد ،«ساحلها وداخلها ، والاعتراف

---

(١٣٨) قرقوط ، ص ٥٨ ، امين سعيد « الثورة العربية الكبرى»جـ ٣ ، ص ٢٨٩ .

(١٣٩) قرقوط ، المصدر السابق ، ص ٥٨ .

(١٤٠) نفس المصدر السابق ، ص ٦٦ .

بدولـة سوريـة عربيـة واحـدة مستقلة استقلالا تاما[١٤١].والمستقرئ لمصادر تاريخ سوريا المعاصر بها في ذلك مذكرات بعض قادة الثورة ، لا يجد مايشير الى مساهمة النصيرية في تلك الثورة التي تعد علامة بارزة في النضال القومي من اجل التحرر والاستقلال .

وبدخول سوريا في مرحلة حاسمة من نضالها في اعقاب الثورة الكبرى التي هزت فرنسا وجعلتها تتخذ سلسلة من الاجراءات تمهيدا للاعتراف بأستقلال البلاد ووحدتها[١٤٢] ، سارع النصيرية لمواجهة هذه المتغيرات وكسر حدة المد الوطني ، فقدم زعماؤهم الى سلطات الاحتلال العديد من المذكرات التي تطالب بالابقاء على انفصال منطقتهم . وذكر المفوض السامي هنري بونسوفي خطاب بعثه الى وزير الشؤون الخارجية الفرنسية

---

(١٤١) نص البلاغ في : محي الدين السفرجلاني « تاريخ الثورة السورية » دمشق ١٩٦١ ، ص ١٥٣ - ١٥٥ .

(١٤٢) انظر : قرقوط ، المصدر السابق ، ص ٩٩ - ١٠١ . ان اول تنازل قدم للقوميين العرب كان تغييرا في الأسم ، اذ استعيض عن اسم «دولة العلويين» المثير بأسم «حكومة اللاذقية» المحايد بموجب القانون التنظيمي الذي اصدرته السلطات الفرنسية في ١٤ آيار ١٩٣٠ . وازاء ذلك «ابدى الزعماء النصيريون قلقهم من الغاء صيغة كان يبدو لهم انها تحترم حقوق طائفتهم والاستقلال الذاتي لبلادهم ، كما استنكروا حذف اية اشارة للعلم النصيري في القانون» ، كما ورد في تقرير رفعه المفوض السامي الى وزير خارجيته واضاف : «وقد وجدت هذه المخاوف صدى لها في البرقيتين اللتين وجهوهما من اللاذقية بتاريخ ٢٤و٢٦ آيار ١٩٣٠ ، يبدون فيهما اعتراضهم على التحوير الذي اجرى على الدستور» . المصدر السابق « الملف ٤٧٩ ، الوثيقة رقم ٤١٢ ، ص ٨٨ بتاريخ ١٩٣٠/٥/٢٩» .

بتاريخ ٢٨ نيسان ١٩٣٣ ، ان وفدا من وجهاء النصيرية يترأسه رئيس المجلس التمثيلي في اللاذقية ، وصل بيروت ليعرض وجهة نظرهم بشأن ، مسألة وحدة البلاد السورية ، وقد حدد رئيس المجلس الموقف منها بقوله : « اننا لانريدها ، بل على العكس نحن نعارضها ، فالسوريون يعادوننا من الوجهة الدينية ، ومن جهة اخرى فهم شديدو الانعزال عنا ، وبهذا فلا يمكن لنا التعاون معهم » . واكد بأن النصيرية يعارضون اي ارتباط بسوريا حتى ولو كان ذلك على شكل اتحاد كونفدرالي[١٤٣] .

وفي خطاب آخر للمفوض السامي مؤرخ في ١٦ حزيران ١٩٣٣ الى وزير الشؤون الخارجية الفرنسية ، يؤكد ان المطالبة الشعبية بالوحدة اثارت موجة من الغضب لدى الاوساط النصيرية ، ويرفق مع خطابه مذكرة مؤرخة في ١٢ مايس ١٩٣٣ ، بعنوان «النصيرية قبل وبعد الانتداب» تحمل اسم احد اعضاء المجلس التمثيلي لحكومة اللاذقية ، وهو محمد سليمان الابن الاكبر للشيخ سليمان الاحمد احد زعماء النصيرية البارزين .

وجاء في المذكرة ، ان النصيرية ليسوا بمسلمين ، والعالم الشهرستاني الذي يشكل اكبر موسوعة اسلامية تبحث في الاديان ، يذكر في كتابه «الملل والنحل» ان المذهب النصيري من المذاهب الالحادية ولا صلة له بالدين الاسلامي . وتشير المذكرة الى ان كتب التاريخ والشريعة الاسلامية تعتبر ادعاء النصيرية بأن القرآن كتاب مقدس بالنسبة اليهم وتسمية انفسهم مسلمين محض افتراء لجأوا اليه لتغطية زندقتهم .

---

(١٤٣) سجلات وزارة الخارجية الفرنسية ، سوريا ولبنان ، الملف رقم ٥١٠ ، وثيقة ١٢٤ ، ص ١١٤ .

وعن الاحتلال الفرنسي وثورة صالح العلي ، تقول المذكرة ، ان النصيريين ، رحبوا بأحتلال سوريا وان كان هناك في بادئ الأمر عدم تفاهم بينهم وسلطات الانتداب ، ولم تكن ثورة الشيخ صالح الا نتيجة حتمية لذلك ، لكن الفرنسيين استثمروا هذه الثورة استثمارا نبيلا ، حيث شملوا زعيمها بالعفو وعاملوه معاملة نبيلة وتخلص المذكرة الى تأكيد تمسك النصيرية بالأستقلال وانهم يرون في فرنسا منقذهم في هذا المجال[١٤٤] .

ان المفوض السامي الفرنسي بأرساله تلك المذكرة ، لعله اراد ان يوضح لحكومته ان الاستجابة لرغبات الشعب السوري بالاعتراف بأستقلال البلاد ووحدتها ، يعني التفريط بأقلية ارتبطت بفرنسا واصبحت لديها فكرة اوضح عن تطلعاتها الانفصالية .

وعلى اية حال ، فأن تصاعد النضال العربي السوري ، ارغم فرنسا على الدخول في مفاوضات مع الكتلة الوطنية التي كانت تتزعم حركة المقاومة ، وقد اصدر المفوض السامي الكونت دومارتيل في **٢٥** شباط **١٩٣٦** ، بيانا اعلن فيه الاستعداد للدخول في مفاوضات لعقد معاهدة على اساس الاعتراف بأستقلال سوريا ووحدتها . وعلى اثر ذلك اجتمع رجال الكتلة الوطنية في دمشق وانتخبوا اعضاء الوفد المفاوض الذي غادر الى باريس في **٢١** آذار **١٩٣٦** .

وبينما كان الوفد السوري يتابع مفاوضاته مع الحكومة الفرنسية ، بأتجاه زوال الانتداب والغاء تجزئة البلاد ، وحصولها على الاستقلال ، تلقى المفوض السامي مذكرات متتالية من زعماء النصيرية ونوابهم في المجلس

---

(١٤٤) سجلات وزارة الخارجية الفرنسية ، سوريا ولبنان ، الملف رقم ٤٨٥ ، وثيقة ٢٠٥ ، ٤٦ .

التمثيلي لحكومة اللاذقية ، تعلن معارضتهم لتحقيق الوحدة السورية وتطالب بالابقاء على انفصال منطقتهم ، وعدم ادراجها موضوعا في جدول المفاوضات وخلال شهر واحد بعثوا بأربع مذكرات مؤرخة في ٨و١١و٢٤و٢٥ حزيران ١٩٣٦ .

ولأهمية تلك المذكرات التي لاتزال غير منشورة ، وما تكشفه من معاداة لحركة القومية العربية ، ندرج نصوصا منها ، ونقرأ المذكرة المؤرخة في ٨ حزيران فنقول :

«لقد جاءت حكومة الانتداب الى بلادنا ونحن مستقلون عن كل سلطة بقوة سلاحنا ومنعة جبالنا . وهذا الاستقلال الغريزي دفع فريقا منا في بادئ الأمر الى محاربة الجيش الفرنسي احتفاظا فيه ، ولكن الفريق الأكبر منا وثق بشرف فرنسا وتاريخها فوضعنا يدنا بيد الانتداب الذي قدر لنا هذه الثقة فحفظ لنا استقلالنا ونظمه ، ومنذ ذلك الحين اخلصنا لفرنسا اخلاصا لاحد له ، وزاد في هذا الاخلاص ان جميع المفوضين الساميين كانوا يصرحون ويعدون بأسم فرنسا بضمان هذا الاستقلال وحمايته . وكنا نتقبل هذه الوعود والتصريحات كما نتقبل كلام الله . اذ لم يخطر في بالنا قط انه يمكن لفرنسي يمثل حكومته ، ان يعد ثم يحنث في وعده . وكم كانت دهشتنا عظيمة حين رأينا الافرنسيين المسؤ ولين لأول صدمة صغيرة يتلقونها من السوريين ، يتناسون جميع وعودهم السابقة ويعدون السوريين بتصريح رسمي بأمكان الحاقنا بسوريا كأن استقلالنا هو هبة من فرنسا تعطيها حين تريد وتمنعها حين تريد . وزاد في دهشتنا ، ان قضيتنا مع الأسف لم تكن ـ اثناء المفاوضات الفرنسية السورية ـ موضع نظر وعطف ومحافظة الافرنسيين على شرف وعودهم بل كانت ـ كما كتبته جميع

الصحف ـ موضع مساومة ، وعملية بيع وشراء ، كأننا من عبيد افريقيا يباعون لأسيادهم دون اخذ موافقتهم وهذا امر لم يكن نتصوره ولا في الاحلام . تجاه ذلك رأينا ان نحدد موقفنا مع فخامتكم بصراحة متناهية لأننا امام كارثة عظمى وعلى وشك الاسشهاد في ميدان الشرف . اننا نطالب فرنسا العظيمة بالمحافظة على وعودها وشرف قراراتها ، ونزيد على ذلك ، اننا لانسمح حتى ولا لفرنسا الكريمة المحسنة ، ان تتصرف بأستقلالنا وتهبه هدية لمن تريد ، متناسية اخلاصنا وتضحيتنا وثقتنا من جهة ووعدوها وتأكيداتها من جهة اخرى غير مهتمة بحكم التاريخ . اننا لانزال على شئ من الثقة في فرنسا فأذا ارادت ان تحافظ على هذه الثقة فعليها ان تجينا الى احد هذين المطلبين ، الاول اصدار وثيقة رسمية تعلن فيها فرنسا احترامها وضمانها لأستقلال النصيرية تحت اشرافها ، والثاني ارسال وفد نصيري رسمي يمثل حكومة اللاذقية للدفاع عن الاستقلال النصيري تحت اشرافها ومعاضدته من الحكومة الافرنسية المسؤولة فأذا لم تتفضل الحكومة الافرنسية بقبول احد هذين المطلبين فأننا نصارحها القول ، اننا نحبها ولكننا نحبها لأنها تريد لنا الخير فاذا تلاشى هذا الأمل تماما فنحن احرار بأتخاذ الموقف الذي تقتضي به غريزة الاستقلال المتأصلة فينا ، مبتدئين في اعلان العصيان المدني في جميع المنطقة»(١٤٥) .

وجاء في المذكرة المؤرخة في ١١ حزيران ،«ان النصيرية الذين يشكلون الأكثرية الساحقة من سكان حكومة اللاذقية يرفضون الرفض الجازم رجوعهم الى الحكم الاسلامي ، وانه يستحيل على فرنسا الممثلة بأحزابها

---

(١٤٥) سجلات وزارة الخارجية الفرنسية ، سوريا ولبنان ، الملف رقم ٤٩٢ ، وثيقة ٤١٢ ، ص ١٩٣ ومايليها .

البرلمانية ان تقرر عبودية شعب صغير صديق لأعدائه التاريخيين الدينيين .»
وتضيف المذكرة قائلة :

«ولكي تتأكدوا من عمق الهوة التي تفصل بيننا وبين السوريين وتتصوروا الكارثة المفجعة التي نحن على ابوابها نرجوكم التفضل بأرسال لجنة نيابية لتطلع على الحالة كما هي ولترى هل في الامكان الحاق «النصيرية» بسوريا دون التعرض لمأساة دامية تكون لطخة سوداء في تاريخ فرنسا مع ايقاف المفاوضات الافرنسية السورية فيما يختص «بالنصيرية»[١٤٦] .

وجاء في مذكرة مؤرخة في ١٩٣٦/٧/٣ : « هل ان فرنسيي اليوم يجهلون بأن حملات الصليبيين لم تحقق بقاء طويل الأمد ولم تبن حصونها ولم تمتزج بالسكان الا في القسم الشمالي الشرقي من سوريا اي في بلاد «النصيرية» حيث دولة اللاذقية الحالية ، واننا اكثر الشعوب السورية اخلاصا لفرنسا ؟ . . . ان فرنسا لن تدنس ابدا تاريخها المشرف بجريمة اتحادنا مع سوريا»[١٤٧]. هذا اضافة الى عرائض محلية صادرة من القرى النصيرية المختلفة[١٤٨] .

---

(١٤٦) سجلات وزارة الخارجية الفرنسية ، سوريا ولبنان ، الملف ٤٩٢ ، وثيقة ٤١٢ ، ص ١٩٣ وما يليها .

(١٤٧) المصدر السابق ، الملف ٤٩٢ ، ص ٥٣ .

(١٤٨) انظر مثلا : سجلات وزارة الخارجية الفرنسية ، سوريا ولبنان ، الملف ٤٩٣ ، الوثيقة ٦٩٤ عريضة مؤرخة في ١٩٣٦/٦/٢٤ ، والوثيقة ٧٠٥ عريضة بتاريخ ١٩٣٦/٧/٧ والوثيقة ٧٧٣ عريضة بتاريخ ١٩٣٦/٧/٢٠ ، والوثيقة رقم ٨٢٨ عريضة بتاريخ ١٩٣٦/٧/٢٧ ، والوثيقة ٨٢٩ ، عريضة بتاريخ ١٩٣٦/٨/١٢ تطالب جميعها بالحفاظ على الاستقلال الذاتي للنصيرية في ظل الانتداب الفرنسي .

والحقيقـة ان سيـاسـة فرنسـا في سوريـا تميـزت بالمـراوغـة منـذ بدايـة الثلاثينات . فكما هو معروف كان لتوقيع المعاهدة العراقية البريطانية لعام ١٩٣٠ اثـر بالـغ في اجبار فرنسـا على ان تنحـو منحى مماثـلا مع سوريـا بأستبـدال الانتـداب بمعـاهدة تحالف ، هذا رغم محاولات فرنسا الضغط على بريطانيا لعرقلة تنفيذ سياستها هذه في العراق قبل دخوله عصبة الأمم واثـارتهـا للمشـاكـل على الحـدود العـراقيـة السـورية وتشجيعها لحركات العصيـان في منـاطق الحدود في السنوات التي تلت استقلال العراق ودخوله عصبة الأمم عام ١٩٣٢ . ولكن محاولاتها هذه لم تخفف من ضغوط الحركة الـوطنيـة السـوريـة التي كانت تطـالب بوحـدة سوريـا واستقلالها وضغوط السيـاسـة الـدولية في المنطقة التي كانت تدفع بأتجاه تغيير اسلوب السيطرة المبـاشـرة بصيغـة جديدة تعتمد النفوذ غير المباشر لذلك ففي الوقت الذي كانت فيـه فرنسـا تفـاوض الـوفد السوري للتوصل الى اتفاق حول شروط معـاهـدة التحـالف التي تتضمن توحيـد سوريـا ، كانت تحاول من جهـة اخـرى تطمـين النصـيرية خوفـا من تحولهم الى العصيـان المسلح . ففي مذكرة مؤرخة في ١٩٣٦/٥/١٢ بعث بها وزير خارجية فرنسا الى الجنرال ويغـان الحـاكم العسكـري الفـرنسي العـام لدولـة النصـيرية جوابا على استفسـار الأخـير منـه عما يمكن اعطـاؤه من تطمينـات لممثـلي النصـيرية قال : « ان من المستحسن جدا العمـل على تأكيـد ثقـة العنـاصـر غير المسلمـة بنـا . ويبـدو لي ان افضل حجة نوردها هي ابلاغهم بأن الحكومة الفـرنسيـة ليست لها النيـة في تغيـير صيغـة استقلالهم الذاتي كما وردت في النظام الخاص الملحق بالقرار المؤرخ في ١٩٣٠/٥/١٤ ، دون الرجوع اليهم»(١٤٩) .

---

(١٤٩) سجلات وزارة الخارجية الفرنسية ، سوريا ولبنان ، الملف رقم ٤٩٢ .

هذا اضافة الى ان النصيرية كأقلية ذات تركيب اجتماعي قليل التطور اصبحوا لا يستجيبون ضمن هذا التركيب للمخططات الفرنسية التي باتت بحاجة الى صيغة اكثر تطورا تسمح لها بالتحرك من خلال الاوضاع الجديدة على الصعيدين المحلي والدولي . والمنطلق الفرنسي هذا يجد تعبيرا واضحا في احد التقارير السرية المرفوعة للخارجية الفرنسية بتاريخ ١٩٣٦/٤/٢٥ ، اذ يقول :-

«ان التنظيمات السياسية العشائرية «التي تتألف من اربعة احلاف عشائرية : الحدادون والخياطون والكلبية والمتاورة» والتي كان اعتمادنا عليها لتشكيل العمود الفقري للاستقلال الذاتي ، والتي يشكل زعماؤها اعضاء المجلس التمثيلي ، بدأت الان تفقد قدرتها ، كما اخذت الدعاية الوحدوية الدمشقية تستقطب الزعماء العشائريين الثانويين الطموحين . هذا اضافة الى ان انتشار التعليم الابتدائي صار يهدد الرابطة الباطنية القديمة التي لم يعد جهازنا الوعظي الساذج يرضي الأجيال الجديدة(١٥٠)».

وهذا يفسر توجه الجيل الجديد من النصيرية نحو الوصول الى السلطة ليس تحت شعار الطائفة بل تحت الشعارات الوطنية والقومية .

كان موقف زعماء النصيرية من قبول فرنسا الدخول في مفاوضات مع الحركة الوطنية السورية الذي ينطوي ضمنا على قرب اعترافها بالوحدة السورية موقف الرفض الشديد لأي ارتباط مع سوريا والمطالبة بالحفاظ على الاستقلال الذاتي للنصيرية تحت الانتداب الفرنسي كما مر ذكره .

---

(١٥٠) سجلات وزارة الخارجية الفرنسية ، سوريا ولبنان ، رقم الملف ٥١٥ ، ص ٢٠٦ .

لكن استمرار المباحثات وادراك هؤلاء الزعماء لنية فرنسا في التوصل الى اتفاق مع الوفد السوري يترتب عليه ضم دولة النصيرية الى سوريا قبيل اعلان المعاهدة في ايلول من عام **١٩٣٦** جعلهم يضيفون الى عرائض الرفض الكثيرة التي مر ذكرها صيغة المطالبة بأرسال وفد ينوب عنهم للمشاركة في هذه المباحثات الى جانب الوفد السوري .

وكانت توجيهات وزير خارجية فرنسا الى المندوب السامي في بيروت : «ان من المهم في الواقع ، اننا ونحن نحافظ على ثقة النصيرية بنا ، ان لانشجعهم على ان يطلبوا منا ما لا نستطيع فذلك قد يؤدي الى حوادث تتمخض عن خيبة املهم[١٥١]وفي ذلك مايدل على ان السلطات الفرنسية كانت في اول الأمر تشجع مثل هذه الميول والاتجاهات . ويضيف وزير الخارجية فينو في توجيهاته للمفوض السامي : «ارجوكم ان تبلغوا رئيس المجلس التمثيلي بالنيابة عني بأن مذكراته المختلفة تحظى بكل اهتمامي وان الحكومة الفرنسية تسعى في مباحثاتها مع الوفد السوري الى ضمان الاستقلال الذاتي السائد حاليا . ويبقى معلوما ان هذا التبليغ يهدف الى تهدئة القلق المحتد وليس الى تشجيع آمال مبالغ فيها . . . »[١٥٢] .

وفي مكان اخر يشير وزير الخارجية الى «الكتب المختلفة التي وردته من رئيس المجلس التمثيلي والتي بينها مايطلب السماح بأرسال وفد من اللاذقية الى باريس» فيقول : «ان من المستحيل طبعا ان استجيب لهذا الطلب . وارجو منكم ابلاغ ابراهيم الكنج ان كل المسائل التي تخص اللاذقية

---

(١٥١) المصدر السابق ، الملف رقم ٤٩٣ ، البرقية المرقمة ٤٣٧ ـ ٤٣٩ ، بتاريخ ١٩٣٦/٧/٢ .

(١٥٢) المصدر السابق .

ستبحث في اوانها بين المفوض السامي والممثلين المؤهلين للسكان ذوي العلاقة . انني اذكركم بأن كل جهودنا يجب ان تتوجه نحو تجنب اي تعبير عن مطالب ليس لنا قدرة على الاستجابة لها»(١٥٣) .

كان لمجيء حكومة الجبهة الشعبية ذات الميول الاشتراكية الى السلطة في فرنسا عام ١٩٣٦ اثر كبير في دفع عجلة المفاوضات لعقد المعاهدة الى الأمام(١٥٤) . وجاءت تصريحات الحكومة الفرنسية في حزيران ١٩٣٦ . لتؤكد للنصيرية نية فرنسا الاعتراف بالوحدة السورية كأحد شروط معاهدة التحالف التي كانت تتباحث بشأنها مع الوفد السوري . لذا فأن عراض الرفض التي استمر زعماء النصيرية برفعها الى المندوب السامي والخارجية الفرنسية ، مع استمرار تأكيدها على المطالبة بأرسال وفد نصيري للمشاركة في المباحثات ، اخذت تلجأ الى صيغة جديدة مفادها ان استقلال النصيرية لو كان مسألة مستحيلة تماما من وجهة النظر الفرنسية فأن دمج دولة النصيرية بلبنان يكون افضل من دمجها بسوريا كما تبين المقتطفات التالية من عريضة رفعها رئيس واعضاء المجلس التمثيلي من النصيرية الى وزير خارجية فرنسا بتاريخ ٢٤/٦/١٩٣٦ :-

« نحن نرفض رفضا قاطعا اي اندماج بسوريا نحن نطالب بأستقلالنا تحت وصاية فرنسا . ان الوفد السوري الموجود في باريس حاليا لايملك حق تمثيلنا .

---

(١٥٣) المصدر السابق ، الملف رقم ٤٩٣ ، برقية من وزير الخارجية الى المفوض السامي في بيروت مرقمة ٥٥٧ في ٢٥/٨/١٩٣٦ .

(154) Ziadeh, N.A., "Syria and Lebanon," Librarie du Liban, Beyrouth, 1968,PP.54 - 55.

ان من غير المقبول ان تتخلى فرنسا الحرةعنا ، نحن الشعب الصغير الضعيف الوفي دون علمنا وخلافا لرغبتنا التي عبرنا عنها بوضوح . ان مايخيب املنا ان نرى حقوقنا تهضم وتداس من قبل فرنسا نفسها . ان كتبنا وبرقياتنا التي وجهناها الى هذه الوزارة بقيت تنتظر الرد .

ان الحاكم والموظفين الفرنسيين المحليين في حيادهم الصامت ومحاولتهم تهدئتنا يساومون على قضيتنا .

اننا نلتمس ارسال وفد يمثلنا الى باريس او ايقاف المباحثات التي تخصنا في باريس لحين قدوم لجنة برلمانية فرنسية غير منحازة الى هنا لدراسة الحالة اننا نتوجه للمرة الأخيرة الى وفاء فرنسا لأنسانيتها ولوعودها في الحفاظ على استقلالنا ، اننا متمسكون بشدة بقرارنا بمقاومة الهيمنة السورية بكل السبل وحتى بالقوة ، وستكون فرنسا مسؤولة عن الدماء التي ستسيل وان كان استقلالنا مستحيلا دوليا ، فأننا نوافق على التباحث مع لبنان حول اتحاد يضمن استقلالنا الذاتي الكامل تحت حماية فرنسا»[١٥٥] .

---

(١٥٥) سجلات الخارجية الفرنسية ، سوريا ولبنان ، « E.412.2 »الملف رقم ٤٩٣ ، ص ٨ .

وجـــاء في كتـــاب مؤرخ في ١٩٣٦/٦/٢٥ موجـــه من رئيس المجلس التمثيـلي لحكـومـة الـلاذقيـة ايراهيم الكنج الى وزير خارجية فرنسا ايفون ديلبوس تركزت المطالب فيه حول مسألة الاتحاد مع لبنان .

«كـانت فرنسـا في المـاضي قد وعـدتنـا بالاستقـلال تحت حمايتهـا وقـد حافظت على هذا الاستقـلال ونظمتـه خلال الستـة عشـر سنـة الماضية . ونحن لانرى الا انها تنسى التزاماتها ومهمتها التحريرية عندما توافق الآن على التضحيـة بنـا الى اعـدائنـا القـدمـاء خلافـا لمصلحتها ومصلحتنا . ولأجــل اثبـات حسن نوايـانـا واهتـمامنـا بالمصلحـة العـامـة ، وفي حالـة الاستحـالـة كليـا للابقـاء على استقلالنا من وجهة النظر الدولية ، فنحن نوافق على بحث مسألـة اتحـاد دولتنا بلبنان البلد الجار الذي يتألف ، مثل بلادنا ، من اقليات سنتوصل دون شك الى التفاهم معها»[١٥٦] .

امـا المـبررات التي استند اليها زعماء النصيرية بخصوص هذا الموضوع فقـد وردت لأول مرة بشيء من التفصيـل في تقـريـر وضعـه احـد الضبـاط الفـرنسيـين ورفعـه الى وزيـر خارجيـة فرنسـا احـد اعضاء مجلس النواب الفرنسي بكتاب مؤرخ في ١٩٣٦/٧/٢٨ جاء فيه :ـ

١- ان البـلاد التي تشكـل حكـومـة الـلاذقية الحالية اي سنجق اللاذقية وجـزء من سنجق طرابلس ، كانت في العهـد العثماني ترتبـط بولايـة بيروت ومركزها الاداري مدينة بيروت .

٢- كانت لهذه البـلاد حينـذاك وحـاليا صلات اقتصادية واسعة جدا مع

---

(١٥٦) الملف رقم ٤٩٣ ، ص ٧ ، سجلات وزارة الخارجية الفرنسية ، سوريا ولبنان .

بيروت وطرابلس فهي تشكل زبونا ممتازا للتجارة اللبنانية وهذه العلاقات ستتزايد بوجود روابط سياسية . وبالمقابل فأن الوحدة مع سوريا لن تلبث ان تجرد لبنان من هذه الفائدة .

٣- التقارب الموجود بين التشريعات السارية في حكومة اللاذقية والتشريعات اللبنانية بخلاف التشريعات السورية ، ورجوع قضاياها في التمييز الى محكمة التمييز اللبنانية .

٤- بالمقارنة مع سوريا ذات الاغلبية المسلمة يتألف لبنان من اقليات دينية «مسيحيون وغير مسيحيين» وهو في ذلك يشبه حكومة اللاذقية . وبذلك يكون طابع الاتحاد مع لبنان ضامنا للاقليات احترام تقاليدها ومعتقداتها وحقوقها المشروعة وليس كما هو الحال مع سوريا رغم جميع الضمانات التي يمكن ان تدرج حول هذا الموضوع في المعاهدة السورية الفرنسية .

٥- بأتحاده مع حكومة اللاذقية سيصبح لبنان الوطن الاوسع للاقليات في كل المشرق فيصبح عدد نفوسه مايقارب ١٫٣٠٠٫٠٠٠ نسمة «٩٥٠٫٠٠٠ اضافة الى ٣٥٠٫٠٠٠ هم سكان دولة اللاذقية» وسيكون بمقدور هذه الكتلة ان توازن اهمية سوريا التي يبلغ عدد سكانها حوالي ١٫٧٠٠٫٠٠٠ نسمة ضمن حدودها الحالية . . . »[١٥٧] .

اما تفاصيل مشروع اتحاد دولة اللاذقية بلبنان فقد عرضت في مذكرة رفعها النصيرية الى دائرة المفوض السامي بتاريخ ١٩٣٦/٨/٢٠ وقد ذكر

---

(١٥٧) المصدر السابق ، الملف رقم ٤٩٣ ، ص ١٨٠ ، ملحق بالكتاب رقم ٩٨٤٩ .

المفوض السامي في كتابه الذي ارفق به المذكرة التي رفعها بدوره الى وزير الخارجية ، بأن المذكرة سبق وان عرضت على البطريك الماروني وعلى رئيس الجمهورية اللبنانية[١٥٨] ، دون ان يشار الى موقف هاتين الشخصيتين منها .

وقد وردت في المذكرة جملة تجدر الاشارة اليها لما تنطوي عليه من مضامين ابعد من النص الفعلي الذي يقول :ـ

«ان المجلس التمثيلي «لدولة اللاذقية» الذي يضم سبعة عشر عضواً مقسم وفق نسبة عدد السكان اي ١٢ عضوا نصيريا يؤيدون الاستقلال ، و٥ يؤيدون الوحدة مع سوريا منهم ٣ من السنة واثنان من النصيرية ، وما كان اي من النصيرية ليطالب بالوحدة لولا بعض الاعتبارات الناتجة عن المنافسة الانتخابية»[١٥٩]

ان الفقرة الأخيرة تقودنا الى اكثر من استنتاج في ضوء النظرة الشمولية لتحركات النصيرية . فمن جهة شهدت الفترة صعود جيل جديد نشأ في ظل الوجود الفرنسي وكان في تماس معه ، كان عليه ان يتخطى الزعامات التقليدية للفرقة لادراكه لطبيعة التحولات السياسية بالنسبة لكل من سوريا وفرنسا والتطور النوعي في العلاقة بينهما مما دفعه الى محاولة الافادة من المعطيات السياسية الجديدة لتحقيق اهدافه ، فكانت العودة الى صيغة التحرك الباطني خلف واجهة الشعارات الوحيدة المقبولة في البلاد

---

(١٥٨) المصدر السابق ، الملف رقم ٤٩٣ ، ص ٢٢٩ ، رقم الكتاب ٨٥٢ بتاريخ ١٩٣٦/٨/٢٨ .

(١٥٩) المصدر السابق ، الملف رقم ٤٩٣ ، الوثيقة رقم ٨٥٢ مذكرة مرفقة بالعريضة المؤرخة في ١٩٣٦/٨/٢٠ .

اي الـوحـدة الـوطنية والاستقلال السوري ، لكي يتسنى له بالتالي العمل على نسفهـا من الـداخـل . ومن جهـة اخرى فأن هذا الجيل الجديد كان اقدر على التعامل مع الأوضاع الجديدة من الزعامات التقليدية التي كانت بطبيعتهـا متمسكـة بالأساليب التقليدية واعتمادها على الضباط الفرنسيين الذين تولوا الادارة المحلية منذ اوائل عهد الانتداب اكثر من اعتمادها على سياسة الحكومة الفرنسية التي تخضع لمتغيرات الظروف .

وفي موضوع الصلة بسلطات الانتداب المحلية تجدر الاشارة الى مسألة بات من الضـروري توضيحهـامـع تزايد اعداد الباحثين في سجلات دول الانتداب والدراسات التي تنشر في ضوئها . وهذه المسألة تكمن في ضرورة التمييز بين درجات الموظفين والضباط الذين يشكلون سلطات الانتداب في سوريـا من جهـة وبينهم وبـين دائرة المفوض العام في بيروت من جهة ثانية وبـين هؤلاء جميعـا والحكـومـة الفـرنسيـة في باريس من جهـة ثالثة . اما استخبـارات الجيش الفـرنسي فهي تشكـل جهـة قائمـة بذاتهـا في اغلب الاحيان . وليس بالضرورة ان تشكل جميع هذه الجهات وحدة واحدة رغم ارتبـاط الـواحـدة بالاخرى فقد يختلف موقف الحكومة الفرنسية المعلن عن ممارسـات ضبـاط الانتـداب المحليـين غير المعلنـة دون أن يكـون في ذلك تنـاقض . فحيث تخضـع حكـومـة باريس لضغـوط الرأي العام الفرنسي والـبرلمـان والسيـاسـة الـدوليـة ، لايتعين على صغار الضباط في سلطات الانتـداب الالتـزام بهذه الاعتبـارات في ممارسـاتهم المحليـة ، وخـاصة في المنـاطق البعيـدة عن مراكـز المدن وبخاصة تلك المناطق المنيعة التي تشكل جبال النصيرية نمطا منها .

فلا يكـون من المستغـرب والحـالـة هذه ان تكـون سياسة حكومة فرنسا المعلنـة هي الاعـتراف المبـدئي بشـرعيـة تمثيـل الـوفـد السـوري لرغبات السوريين في الوحدة الوطنية والاستقلال والدخول معه في مفاوضات على هذا الأسـاس ، وان يعمـل في نفس الـوقت ضبـاط من جيش الاحتـلال الفـرنسي على تشجيـع دعـوات الانفصـال والمطـالبـة بأستمرار الانتداب الفرنسي من قبل النصيريين . كما انه ليس من المستغرب للأسباب نفسها ان يجد النصـيريـون من يؤيـد مطـالبهم في الـبرلمـان الفـرنسي . فهـذه الدعوات تشكل ورقة ضغط مفيدة بأيدي المفاوض الفرنسي في اسوأ الأحوال .

نعـود الى الحجـج التي وردت في المـذكـرة فنجد الى جانب الملاحظات التي اوردنـاهـا ان النقـاط الـواردة فيهـا لابراز جوانب الصلة بلبنان تعرض بأسلوب حذر ويـؤكـد قسم منهـا على وجـود اختـلاف جوهـري بين النصـيريـين واللبنـانيـين الى جانب الروابط المشتركة ، وذلك وصولا الى الهـدف المطلوب وهـو الأحتفـاظ بأستقـلال اداري ومالي واسع جدا ضمن الاطـار اللبنـاني كما ورد في ذيـل المذكرة مما يؤكد على ان مشروع الاتحاد لم يكن اكثـر من ورقـة اخـيرة ضمن محاولـة النصـيريـين عرقلة وحدة سوريا واستقـلالهـا لأنهم لم يكـونـوا يرغبـون بالأنـدمـاج بلبنـان بل بالحفاظ على استقـلالهم ضمن الاطـار اللبنـاني الـذي بدا لهم انه سيكون اكثر خضوعا للحماية الفرنسية من سوريا » .

ولو تناولنا النقاط الواردة في المذكرة بالتدريج نجد مايلي :ـ

في النقطة الاولى تشير المذكرة الى «ان الاراضي التي تشكل دولة اللاذقية «الحالية» كانت تشمل في العهد العثماني سنجق اللاذقية وجزءاً من سنجق

طرابلس وكـانت مرتبطـة بولايـة بيروت التي كانت مركـزهـا السيـاسي والاداري الـوحيـد» ورغم ان هذا صحيـح من النـاحيـة الادارية لكن من الناحية الفعلية كان جبل النصيرية المنيع معزولا وبعيدا عن سلطة الادارة العثمانيـة كل الانعـزال وبـذلـك لم تكن هنـاك روابـط بشـرية حقيقية بين النصيريين واللبنانيين .

وتقـول النقطـة الثانية : «ان بلاد «النصيريين» تشكل جغرافيا امتداداً طبيعيـا للاراضـي اللبنـانية ، يتصل الساحل النصيري معها بأنسجام اما السلسلة الجبلية فهي متصلة كذلك الى درجة انها تبدو وحدة مجتمعة توحد البلدين . وقـد ادت الـوحـدة الجغرافية الطبيعية ، رغم الاختلاف الثقافي بين العنصـرين النصـيري واللبنـاني ، الى وحـدة في الصفـات والعادات والتراث عززتها الادارة الموحدة التي خضعت لها البلدان في العهد العثماني» .

تتوضح في هذه النقطة بشكل جلي منطلقات المذكرة واهدافها من طرح المشـروع فهـي تتـكـلم عن «بـلدين» مختلفـين ولا تنسى الاشـارة الى الاختـلاف الثقـافي بين العنصـرين . امـا الـوحـدة في الصفات والعادات والـتراث فهي معـدومة كليا حيث ان النصيرية طائفة مغلقة وهي شاذة في صفاتها وعاداتها وتراثها عن المجتمع العربي عموما سواء كان في لبنان او في سوريـا . والتمـويـه يستخـدم هنـا في عدم الأشـارة الى حقيقـة ان مدينة الـلاذقيـة وليس دولـة الـلاذقيـة تضم غالبية من العرب المسلمين هي التي تشسترك في عروبتها مع لبنان وبقية سوريا ولا تضم سوى فئة صغيرة جدا من النصيريين :

امـا النقطـة الثـالثـة فتقول : «كانت تربط بلاد النصيريين بلبنان قديما وحـديثاً روابط تجارية وثيقة وكانت مدينتا طرابلس وبيروت تشكلان المنفذ

الـوحيـد لتجـارتنا والسوق الوحيد لتمويلنا . كذلك فأن بير وت هي المركز العـام للتعليم ففي مدارسهـا وكليـاتها وجامعاتها يغرف شبابنا واطفالنا من التعليم الحديث والثقافة الغربية ، وتوفر مستشفياتها العلاج لمرضانا ويرتاد مصطـافـونـا مراكـز اصطيـافهـا وتـروج أغلب منتجـاتنا على أراضي هذه الجمهـوريـة . . ومقـابـل ذلـك فلو تحقق الارتبـاط مع سوريا ، فأن هذه الروابط تكون معرضة للتقلص الى حد الاختفاء» .

وهنا ايضا يستخدم نفس التمويه السابق فالروابط التجارية هي بين مدينة اللاذقية والمدن اللبنانية . اما النصير يون فهم فلاحون جبليون تسود بينهم روابـط العـائلة والعشـيرة والطـائفـة وصلتهم المباشرة بالمدن ضعيفة . اما بالنسبة للتعليم فالمتعلمون بينهم كانوا حينذاك قلة صغيرة ولم يبدأوا بأرسال اولادهم الى المـدارس الحـديثـة بشكل ظاهر الا بعد الاستقلال ، وكانت المدارس السورية التي انتشرت بعد الاستقلال هي الوسيلة الاساسية التي نفـذوا من خلالهـا الى الاكـاديميـات العسكـريـة ثم الى الجيش ثم الى السلطة كما سيتوضح في الفصول القادمة .

وتتنـاول النقطـة الـرابعـة مسألـة التشريعات فتقول : «ان التشريعات السائدة حاليا في دولة اللاذقية هي عموما قريبة من التشريعات اللبنانية ، اما دعاوي التمييز فهي لحد الآن تطرح امام محكمة التمييز اللبنانية» . وفي ذلـك دعوة الى التمسك بتنظيمات وضعتها سلطات الانتداب الفرنسي في الاصـل بهدف فصـل لبنان عن سوريا بصيغ لا يصبح من السهل تجاوزها على المـدى البعيـد ، وكـان وضع الفرنسيين لتشريعات دولة اللاذقية بهذه الصيغة للغرض نفسه(١٦٠) .

---

(١٦٠) حول دور السلطات الفرنسية في صياغة التشريعات السورية انظر مثلا :
Tibawi,A.L., ''A Modern History of Syria, MacMillan,'' London, 1969,PP.348 ff.

وفي النقطة الخامسة يحاول زعماء النصيرية تشبيه انفسهم باللبنانيين من حيث تركزهم في المناطق الجبلية بأعتبارها «الملجأ الوحيد للنصيرية الذي تفصلهم عن المسلمين اعتبارات مختلفة دينية وعرقية نمت بينهم كراهية عميقة» . «وحيث ان لبنان يتألف من مجموعة اقليات ، مسيحية وغير مسيحية ، كما هو الوضع في دولة اللاذقية ، فأن قيام نظام اتحادي سيكون من شأنه ان يضمن لهذه الاقليات احترام تقاليدها ومعتقداتها ومصالحها وهذا مالن يكون في حالة الاتحاد مع سوريا حيث ترجح كفة المسلمين وحدهم على الطوائف الاخرى مجتمعة» . وتضيف النقطة السادسة الى ذلك ان انضمام دولة اللاذقية الى لبنان سيرفع عدد سكانه الى ١ر٣٠٠ر٠٠٠ نسمة . وبهذا الصدد سيتمكن لبنان من ان يقف على قدم المساواة مع سوريا التي يبلغ تعداد سكانها ضمن حدودها الطبيعية ١ر٧٠٠ر٠٠٠ نسمة . وبهذا يصبح لبنان اكبر وطن للاقليات في كل المشرق ولن يمضي وقت طويل حتى يصبح عدد سكانه يساوي اوحتى يتجاوز عدد سكان سوريا» . اما القصد الحقيقي من وراء هذه الفرضيات فهو ايجاد صيغة تخدم المصالح والاهداف الفرنسية في «الليفانت» كما يتوضح بصيغة جلية في النقطة التاسعة والختامية التي تقول :ـ

بالرغم من ان العلاقات التي بالامكان قيامها بين لبنان ودولة اللاذقية ستتحدد ضمن نقاط معينة لكن هذا الاتحاد لن يمنع اطلاقا عقد اتفاق بين الطرفين حول مساعدات عسكرية متبادلة ان استدعت الحاجة . ان هذه الميزة مهمة جدا لو اخذنا بنظر الاعتبار ان منطقتنا تستطيع ، ان استدعت الضرورة ، تشكيل قوة عسكرية لايستهان بها متمرسة بالمناورات العسكرية . وحيث ان لبنان ، رغم استقلاله ، سيكون كما نعتقد تحت

الحماية الفرنسية ، فأن الفوائد التي ستجنيها فرنسا من اتحاد البلدين ستكون كبيرة اذ يصبح جميع الساحل الذي يمتد من الاسكندرونة حتى صور ، تحت حمايتها تستغله لمصالحا العسكرية والبحرية والجوية والاقتصادية» . وفي هذا وضوح غني عن التعليق . فالمطالبة بالانضمام الى لبنان كان وراءها اعتقاد النصيرية انه سيبقى تحت الحماية الفرنسية .

اما في النقطة الثامنة فيرد مايستحق الوقوف عنده بأمعان اكثر فهي تقول «ان نظاما اتحديا لبلاد النصيرية مع سوريا سيترك لبنان معزولا من جميع الجهات وسيضع سكانه تحت رحمة السوريين الذين سيكون بأستطاعتهم مقاطعته متى شاءوا كما يفعلون الآن مع فلسطين . ولن يتورعوا عن التجاوز عليه في اول فرصة تتوفر لهم وبالمقابل فلو شكل لبنان كتلة واحدة مع بلاد النصيرية فأن هذه الاحتمالات ستنتفي اذ ستشكل اراضينا حاجزا قويا يمتد من حدود انطاكية الى حدود طرابلس» . والمقصود كما هو واضح بعبارة «كما يفعلون مع فلسطين» هو كما يفعلون مع اليهود الصهاينة الذين يستحوذون على الاقتصاد الفلسطيني على حساب السكان العرب والزمان هو ابان الثورة الفلسطينية الكبرى التي اندلعت في ذلك العام وتجاوب العرب في الاقطار العربية الاخرى ومنها سوريا مع تلك الثورة بمقاطعة بضائع المؤسسات الاقتصادية الفلسطينية التي اصبحت بأجمعها بأيدي اليهود .

ورغم كل التبريرات التي وردت في المذكرة الى دعوة الاتحاد بلبنان فأن المقصود بذلك لم يكن الرغبة بالاندماج الفعلي بلبنان بل المطلوب كان استقلالا ذاتياً كاملاً استخدمت فكرة الاتحاد مع لبنان لتغطية مضمونه . اذ يرد في ذيل المذكرة «ان النظام الذي يهدف الى تشكيله لتحقيق الاتحاد المرتقب لحكومة اللاذقية بالجمهورية اللبنانية يجب ان يأخذ بنظر الاعتبار في

آن واحـد مايـلي : من جهـة حرص لبنان المشروع على تفادي اي تغيير في التـوازن الحـالي بين طوائف سكـانه بدخول فئة جديدة ، ومن جهة اخرى الـرغبـة الصـريحـة لسكـان حكومة اللاذقية بالمحافظة على استقلال ذاتي اداري ومـالي واسـع جدا ضمن الاطار اللبناني» . والواضح هنا ان النقطة الثـانيـة هي المقصـودة ، وكان ايراد النقطة الاولى لأعطاء حد شكلي ادنى من الاعتبـار لذلـك البلد المـراد الاتحـاد معـه كما توضـح الفقرة التالية التي تقـول : « ان حكـومـة الـلاذقيـة يفـترض ان تحتفـظ بحصتهـا في موارد الكـمارك «اللبنانية» وتتمتع بأستقلال ذاتي اداري ومالي واسع يشبه نظامها الحـالي ، كما تثبت صيغـة هذا الاستقـلال الـذاتي في نصـوص المعـاهـدة الفرنسية ـ اللبنانية او في بروتوكول خاص ملحق بها» .

امـا الفقـرة الأخـيرة فتتلخص فيهـا الأهـداف العـامة للمشروع فهي تقـول :ـ «ان فرنسـا التي اخذت على عاتقها حماية الاقليات ، لن تتمكن من ممارسـة هذه الحـماية بفعالية بعد انتهاء الانتداب واستبداله بمعاهدات خطيـة هي دائـما عرضـة للانتهـاك او الخرق كما حدث في العراق الا بأيجاد توازن عادل بين حكـومـة الاغلبيـة وحكـومـة الاقليات . وهذا التوازن لن يتحقق الا بتأسيس حكـومـة واحدة تحت اشراف وحماية فرنسا تشمل لبنان والنصـير يـة وتكـون بعدد سكانها وقوتها على قدم المساواة مع سوريا ، ان عمـلا كهـذا لو تحقق سيجلب المجد لفرنسا وسيصبح لبنان وطن الاقليات من جميع العناصر والاديان في المشرق . وبذلك تكون فرنسا قد ساهمت في المحافظة على الاقليات واتمت عملا مجيدا سيسجله التاريخ في صفحاته الخالدة» .

لم تجد محاولات النصيرية هذه نفعا امام ضغوط الحركة الوطنية الممثلة بالوفد السوري والتطورات داخل فرنسا بمجيئ حكومة ليون بلوم الاشتراكية الى السلطة حيث تم توقيع المعاهدة السورية الفرنسية بينها وبين الوفد السوري في ١٩٣٦/٩/٩ على غرار المعاهدة العراقية البريطانية لعام ١٩٣٠ . ووفق نفس النمط ايضا نصت المعاهدة على ادخال سوريا في عضوية عصبة الامم بعد ثلاث سنوات من تاريخ تصديقها ، كما تضمنت وعد فرنسا بتحويل سيادة دولتي النصيرية والدروز الى الحكومة السورية تشكل فيهما نظما ادارية ومالية خاصة تشبه تلك النظم التي كانت سائدة في لواء الاسكندرونة الذي كان نفسه جزءاً لايتجزأ من الجمهورية السورية . غير ان المعاهدة لم تدخل حيز التطبيق بسبب عدم التزام فرنسا بالتزاماتها مما ادى الى نشوب اضطرابات واسعة كانت المبرر الذي لجأ اليه الفرنسيون لاعادة سوريا الى سلطة المندوب السامي الذي اصدر قرارات وضعت دولة النصيرية بموجبها تحت السيطرة الفرنسية المباشرة كما عطل الدستور وحل البرلمان بعد ان اجبر الحكومة الوطنية الجديدة على الاستقالة . وجاء اعلان الحرب العالمية الثانية عام **١٩٣٩** ليلغي عمليا كل ماتم من اتفاقات ووقع من نصوص،فعادت سوريا الى الخضوع للاحتلال العسكري الفرنسي وقوات اخرى من الحلفاء حتى نهاية الحرب[١٦١] .

---

(١٦١) للتفصيل انظر : Tibawi, op. cit. PP. 360 - 378



الفصل الرابع

المعتقدات الدينية



استهوت طائفة النصيرية جمعا غفيرا من المستشرقين ممن توجهوا الى دراسة عقائدها وطقوسها الدينية وظروفها الاجتماعية واحوالها الاقتصادية ، وحمل هؤلاء على هذا التوجه عوامل مختلفة ومتنوعة .

فالاثاريون وعلماء الاشوريات منهم وجدوا في النصيرية مجتمعا نموذجا يمثل استمرارا تاريخيا للجماعات الوثنية ، التي ترتد في اصول عقائدها الى الوثنيات السامية القديمة .

والمبشرون منهم قصدوا من مباحثهم بيان اوجه الشبه والمماثلة بين معتقدات النصيرين ومفردات من العقيدة المسيحية وطقوسها واعيادها طمعا في استمالتها وربطها بمراكز التوجيه الفكري والثقافي في الغرب .

والمتصلون منهم مباشرة بدوائر المخابرات الاستعمارية رأوا فيها «اقلية دينية» يمكن ان تستثمر وتستخدم لمنافع دولهم وسياساتها التوسعية في المنطقة .

كذلك لانعدم بين صفوفهم افرادا حملتهم نوازعهم الرومانسية المتطلعة الى تراث الشرق القديم على دراسة هذه الطائفة لما يتميز به نظام سلوكها العام من غرابة واعتماد التستر والكتمان والتدرج في مراتب التلقين السري ، ثم لغة التخاطب الرمزية بين الأقران بما يشبه ويقترب مما هو معروف عن الجماعات الماسونية[١٦٢] . اما كتاب الفرق والمقالات من

---

(١٦٢) من جملة هذه الدراسات الى جانب ماسيرد ذكره في متن هذه الدراسة :

(1) Dussaud.R:" Histoire Et Religion Des Nosairis," Paris, 1900

(2) Miss Gertude Bell, "The Descrt And the Sowni," New York, 1907.

(3) Comte R. Degontaut Biron : Sur Les Routes De Syer, Paris 1928.

(4) Salisbury, E.E the Mystries of the Nusairian Religion, J.A.O.S. 1864

⟶

الاسـلاميـين فقـد انطلقـوا في معـالجتهم لهذه الطـائفة من وجهة نظر دينية وفلسفيـة اخـذت على نفسهـا رصـد جملة الحـركات التحريفية الهدامة في التـاريـخ العـربي الاسـلامي ، وبيـان مافي عقـائـدهـا من زيـغ وزلل مما لاينسجم بل ويتعارض مع التصور الاسلامي الصحيح[١٦٣] .

واول مايـلاحـظ على دراسـات المحدثين لهذه الطائفة هو الاختلاف في وجه اشتقاق اسم «النصيرية»[١٦٤] .

(أ) ذهب دوسـو (Dussaud) ورينيـه باسيـه (Rene Basset) الى ان نصيرية اليوم ليسوا الا الأحفاد التاريخيين للجماعات الوثنية القديمة التي اطلق عليهـا بليني الاكـبر[١٦٥] اسم (نازاريني Nazerini) ممن اسسوا لأنفسهم ولايـة مستقلة ومنفصلة عن (افـاميا Apamea) في المنطقة القريبة من نهر (العـاصي Orontos) وقـد اتى على ذكـرهم ايضـا المـورخ اليـونـاني (Sozchen) في القـرن الـرابـع وتحـدث عن وقـوفهم الى جانب سكـان

→

(5) Massignon.L: "Les Nusaigries, E Laboration De L Islam," 1961.

(6) Bernard H. Springett:"Secret Sects of Syria And the Lebanon, Ch.XVI pp: 140 - 179.

(١٦٣) انظـر : ابـو الحسين الملطي التنبيه والرد على اهل الاهواء والبدع ، ابو الحسن الاشعـري مقـالات الاسلاميين ، البغدادي الفرق بين الفرق ، ابو المظفـر الاسفـرايني ، التبصـير في الـدين ، النـوبختي ، فرق الشيعة ، ابو الفتـح الشهـرستـاني ، الملل والنحل ، ابن حزم ، الفصل في الملل والنحل ، ابن تيميه الحراني ، مجموعة الرسائل والمسائل .

(١٦٤) دائـرة معـارف الـدين والاخـلاق ـ مادة : النصيرية «رينيه باسيه» . ودائرة المعارف الاسلامية ، مادة النصيرية «لويس ماسنيون» .

(١٦٥) بليني «التاريخ الطبيعي جـ ٥ ص ٩» .

(Apamea) الوثنيين ضد غزوات النصارىٰ ، وقد سماهم ايضا بـ «اهل الجبـل» - Calileans - وقـد رد لويس ماسنيون هذا الرأي وتعلل بأن لفظ نازاريني قائم ومـوجـود حتى اليوم وتعرف به منطقة جغرافية معينة هي «جرعة النازران» التي تمتد على الطريق بين تلكلخ وحمص[(١٦٦)] .

(ب) وقد صحح الاكثرون ومنهم «لامانس ـ H. Lammens» و«جويار ـ S. Guyard» و«هيـوارت ـ C. Huart» و«لـويس ماسنيون ـ Massingnon» و «سالسبرى ـ Salisbury» و «شتر وطمان ـ Strothmann» نسبة النصيرية الى مؤسسهـا المـدعو ابو شعيب محمد بن نصير العبدي[(١٦٧)] وشدد ماسنيون على ان الطائفة التي عرفت بهذا الاسم كانت موجودة منذ ايام الخصيبي «ابو عبد الله الحسين بن علي بن حمدان ت **٣٤٦ هـ**» وكـانت تعـرف من قبل بـ «النميرية»[(١٦٨)] . وكانوا يدعون انفسهم «المـؤمنـون» كذلـك جاء على ذكرهم السمعاني لاباعتبار ان الاسم كان يطلق على منطقـة جغـرافيـة معينة ، بل على طائفة من الغلاة كان لهم ثمـة وجـود وانتشار ايضا في بعض مناطق من مصر وضفاف نهر الفرات ، ثم يستطرد ماسنيون قائلا : وهذا الوجه هو ماصححه

---

(١٦٦) دائرة المعارف الاسلامية .

(١٦٧) انتهى شتر وتمـان في تحقيقـاتـه الى ان محمـد بن نصير توفى سنة **٢٧٠ هـ** ، انظر مقالته : «تناسخ الارواح في الديانة النصيرية ـ Seelenwanderun Bei Den Nusairi» المنشورة في مجلة الشرق «Oriens» العدد الثاني عشر لسنة **١٩٥٨**» .

(١٦٨) انظـر : النـوبختي " فرق الشيعـة" ص ٧٨ ، الأشعـري "مقـالات الاسلاميين" جـ ١ ص ١٥ .

الاسلاميون واستقرت عليه كلمتهم[١٦٩] . وعلى هذا فأننا سنقف عنـد شخصيـة ابن نصـير لنتعـرف على اقوال المؤرخين والمحققين وكتاب الفرق والمقالات فيه ، بأعتباره المؤسس الرئيس لهذه الطائفة .

---

(١٦٩) دائرة المعارف الاسلامية ، مادة : النصيرية ، وقارن ايضا :
Salisburg .E.E. "the Mystries of The Nusrarin Religion J.A.O.S, Vol:8 (1864) pp 236. Also George. E. White:Some Non Confirming Turks" M.W.No. 8 (1918) p: 246 Also: Sirajul Haqq: Some Side Lights on the Nusairis" Deccauni, Studies,ii, (1935) p,133.
وآخر من صحح هذا الربط هو المستشرق الالماني المعروف شتروتمان مستندا الى ماورد في مجمـوعـة خطية نادرة تضم رسائل نصيرية مودعة بمكتبة برلين برقم «Orient - 304» من بينهـا كتـاب «الـدلائـل في معـرفة المسائل» لمؤلفه مأمون بن قاسم الطبراني المتوفى سنة ٤٢٦ هـ ، فقد جاء فيه «الورقة : ٨١» " باب النص والدلالة على ابي شعيب محمد بن نصـير بن بكـر عن علي بن حسـان ، وهو ثقة عند اهل التوحيد ، قال سألت مولاي الحسن العسكري ـ منه السلام ـ ممن آخذ معالم ديني ، فقد كثرت المقالات ، فقال بعد ان وصفه لي : اطلبه فأنك تجد عنـده ماتـريـد من معـالم دينـك ، فلم اجد هذه الصفة الا في محمـد بن نصير ، فقصدته فوجدت عنده كل ما اردت . فدخلت على سيدنا فأعلمته اني لم ار بهذه الصفة الا محمد بن نصير فقال : وفقت ، «ومـا توفيقي الا بالله» «هـود/ ٩٠» ثم قال : «محمـد بن نصير نوري وبابي وحجتي على خلقي ، كل ماقال عني فهو الصادق» .

ابن نصير :-

يحسن بنا قبل الدخول في الدراسة التفصيلية لمعتقدات النصيرية ان نذكر بعض الشواهد التأريخية التي ورد فيها ذكر مؤسس هذه الطائفة لنتبين منها العناصر المشتركة والاصول العامة لمعتقداتها وطقوسها وقواعد سلوكها ، وقد قصدنا ان تكون هذه النصوص والشواهد عنها من مصادر تتفاوت زمنيا وذلك للتحقق من الوجود التأريخي المستمر لها ، وثباتها على اصول عقيدتها الاولى ، مما يؤكد بقاءها في دائرة الانغلاق على الذات وتشبثها بقواعد نحلتها ، وينفي دعوى من ذهب من اهل الأهواء الى انها تجاوزت كفرها وغلوها وصارت اقرب الى الاسلام(١٧٠) .

(أ) يقول النوبختي «ت ٣٠٠ هـ»(١٧١) :

وقد شذت فرقة من القائلين بأمامة علي بن محمد «ت ٢٤٥ هـ» في حياته فقالت بنبوة رجل يقال له «محمد بن نصير» وكان يدعي انه نبي بعثه ابو الحسن العسكري . وكان يقول بالاباحة للمحارم ويحلل نكاح الرجال بعضهم بعضا ، ويزعم ان ذلك من التواضع والتذلل

---

(١٧٠) انظر :"العلويون شيعة آل البيت"، مجموعة فتاوي ، دار صادر ، بيروت سنة ١٣٩٢ هـ ص ٣ وايضا محمد رضا شمس الدين : «العلويون في سورية ، مطبعة الانصاف سنة ١٩٥٦ م بيروت ».

(١٧١) النوبختي : الحسن بن موسى كان اماميا حسن الاعتقاد ثقه متكلما فيلسوفا ، له تصانيف كثيرة في مختلف الفنون والابحاث ، انظر : نقد الرجال للتفريشي «ص ٦٩» وفهرست النجاشي «ص ٤٧» وفهرست الطوسي «ص ٩٨» وروضات الجنات للخوانساري «ص ٣١» وكذلك المقدمة الممتازة التي كتبها ريتر محقق كتاب «فرق الشيعة (ص يب) وما بعدها» .

وانه احد الشهوات والطيبات ، وان الله ـ عزوجل ـ لم يحرم شيئا من ذلك[172] .

(ب) ويقول ابو الفتح الشهرستاني «ت ٥٤٨ ـ ١١٥٥ م»[173] :

«النصيرية والاسحاقية من جملة الغلاة ، ولهم جماعة ينصرون مذهبهم ويذبون عن اصحاب مقالاتهم ، وبينهم خلاف في كيفية اطلاق اسم الالهية على ائمة اهل البيت . قالوا : ظهور الروحاني بالجسد الجسماني امر لاينكره عاقل» .

اما في جانب الخير فكظهور جبريل ـ عليه السلام ـ ببعض الاشخاص والتصور بصورة اعرابي ، والتمثل بصورة البشر . واما في جانب الشر فكظهور الشيطان بصورة انسان حتى يعمل الشر بصورته ، وظهور الجن بصورة بشر حتى يتكلم بلسانه ، فكذلك نقول : ان الله تعالى ظهر بصورة اشخاص ، ولما لم يكن بعد رسول الله ـ ص ـ شخص افضل من علي ـ رض ـ وبعده اولاده المخصوصون ، وهم خير البرية ، فظهر الحق بصورتهم ونطق بلسانهم ، واخذ بأيديهم ، فمن هنا اطلقنا اسم الالهية عليهم ، وانما اثبتنا الاختصاص لعلي ـ رض ـ دون غيره ، لأنه كان مخصوصاً بتأييد الهي من عند الله فيما يتعلق بباطن الأسرار . . . وربما اثبتوا له شركة في الرسالة ، اذ قال النبي ـ ص ـ « فيكم من يقاتل على

---

(١٧٢) النوبختي :«فرق الشيعة»ص ٧٨ .

(١٧٣) ياقوت الحموي :«معجم البلدان»، مادة : شهرستان ، عباس القمي : الكنى والالقاب ص ٣٤٣ .

تأويله ، كما قاتلت على تنــزيله ، الا وهــو خاصف النعـل» فعلم التأويـل ، وقتـال المنـافقين ، ومكالمة الجن وقلع باب خيبر ـ لا بقوة جسـدانيـة ـ من اول الـدليـل على ان فيـه جزأً الهيـاً وقـوة ربانية ، ويكـون هو الـذي ظهر الاله بصورته ، وخلق بيديه ،وامر بلسانه ، وعن هذا قالوا : كان « علي » موجوداً قبل خلق السموات والارض[174] .

(جـ) وقـال عز الـدين ابو حامدبن هبة الله المعروف بابن ابي الحديد «ت ٦٦٨هـ ـ ١٢٦٩ م » ثم تفـاقم امـر الغـلاة بعـد المغيرة «بن سعيــد العجـلي» وامعنـوا في الغلو ، فأدعـوا حول الـذات الالهيـة المقـدسـة في قوم من سلالـة امـير المـؤمنـين ـ عليـه السلام ـ وقالوا بالتنـاسـخ وجحـدوا البعث والنشور ، واسقطوا الثواب والعقاب ، وقــال قوم منهم : ان الثــواب والعقـاب انـما هو ملاذ هذه الـدنيـا ومشاقها ، وتولدت من هذه المذاهب القديمة التي قال بها سلفهم ، مذاهب افحش منهــا قال بها خلفهم ، حتى صاروا الى المقـــالـــة المعـروفة بالنصيرية : وهي التي احدثها محمد بن نصير ، وكان من اصحـاب الحسن العسكـري ـ عليـه السـلام ـ والمقـالـة المعـروفـة بالاسحـاقيـة التي احـدثها اسحاق بن زيد ابن الحارث ، وكان من اصحاب عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن ابي طالـب ، كان يقـول بالابـاحـة واسقـاط التكـاليف ، ويثبت لعـلي شركة مع رسول الله ـ ص ـ في النبوة على وجه غير هذا الظاهر الذي يعرفه الناس .

---

(١٧٤) الملل والنحل : جـ ١ ص ١٨٨ ـ ١٨٩ «تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل» طبعة الحلبي ، القاهرة .

وكـان محمـد بن نصـير من اصحاب الحسن بن علي ، فلما مات الحسن ادعى وكـالـة لابن الحسن الـذي تقـول الامـاميـة بأمـامتـه ففضحـه الله تعـالى بما أظهـره من الالحـاد والغلو والقـول بتنـاسـخ الارواح ، ثم ادعى انـه رسـول الله ونبي من قبـل الله ، وانه أرسله علي بن محمـد وجحـد امامة الحسن العسكري وامامة أبنه ، وادعى بعد ذلك الربوبية وقال بأباحة المحارم(١٧٥) .

(د) وجـاء في السـورة الرابعة من كتاب النصيريين المقدس «المجموع» ، «احسن توفيقي بالله ، وطـريقي لله ، واحسن سمعي واستـماعي من شيخي وسيـدي ومـرشدي المنعم الله علي كما انعم عليه بمعرفة «ع . م . س» وهي بشهادة ان لا اله الا علي بن ابي طالب الاصلع الانزع المعبـود ، ولا حجـاب الا السيـد محمـد المحمود ، ولا باب الا السيد سلمان الفارسي المقصود ، وهذا ماسمعته من شيخي وسيدي وغايتي ومعتمـدي . . . » يذكـر المـريـد اسم شيخـه الذي تلقى منه السر ، وتـاريـخ ذلك ، وسلسلة رواية السماع حتى « . . . وسمع ابو الحسين محمد بن علي الجلي(١٧٦) من السيد ابي عبدالله الحسين بن حمدان الخصيبي(١٧٧) ، وسمـع ابـو عبـدالله من شيخـه وسيـده ابى محمـد

---

(١٧٥) ابن ابي الحديد : شرح نهج البلاغة جـ ٢ ص ٣٠٩ ـ ٣١٠ ، دار الكتب العربية ، القاهرة .

(١٧٦) نسبـة الى جليـة ، قرب انطـاكيـة ، حيث يقيم زعيم الفـرع الحيدري من النصيرية حتى اليوم .

(١٧٧) زعيم طائفـة النصـيريـة في عصـره ، مصري الاصل ، رحل الى جنبلا في العـراق العجمي وتتلمـذ بيـد دعاة النصيرية عبد الله بن محمد الجنبلاني ثم

←

عبدالله بن محمد الجنان الجنبلان[178] العابد الزاهد الذي هو من بلد فارس ، وسمع عبد الله الجنان من محمد بن جندب ، وسمع محمد بن جندب من السيد ابي شعيب محمد بن نصير العبدي البكري ، الذي هو باب الحسن الآخر العسكري - منه السلام - واليه التسليم ، ومن محمد بن نصير اقام النسب والدين ، وتعالى مولانا الحسن العسكري عما يقول الضالون ونطق الظالمون علوا كبيرا . . » .

نستلخص من هذه الشواهد وغيرها[179] ان العقيدة النصيرية مثلت في جوهرها هضما وتمثيلا واستمراراً لجملة الآراء والمعتقدات التي بشرت بها فرق الغلاة المختلفة التي تميزت بنزعة التلفيق والجمع ، ولهذا سنحاول دراسة آراء النصيرية ومعتقداتها دراسة تأريخية مقارنة لنتحقق من المنابع الاولى التي صدرت عنها ، وملاحقة ماطرأ على معتقداتها من تغير وصور متجددة ، وما كان لها من أثر على ظهور الاتجاهات التحريفية التي برزت

← خلفه في رئاسة الطائفة ، وكان له وكلاء في الدين والسياسة وألف كتبا في عقائد الطائفة منها : الهداية الكبرى في مذهبهم : انظر : الذهبي «لسان الميزان » ٢/٢٧٩ «يقول عنه : كان يقول بالتناسخ والحلول» ، العاملي : اعيان الشيعة : ٢٥/٣٤٥ ، توفى سنة ٣٥٨ هـ - ٩٦٩ ميلادية .

(١٧٨) داعية النصيرية ورئيسهم وعالمهم في عصره ، ويلقب بالفارسي ، انظر : الزركلي : قاموس الاعلام ، ٤/١١٨ ، ت/سنة ٢٨٧ هـ - ٩٠٠ ميلادية .

(١٧٩) انظر في معتقدات النصيرية ايضا : ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، احداث سنة ٣٣٢ ، القلقشندي «صبح الاعشى في صناعة الانشا» جـ ١ ←

الى الوجود في دائرة الفكر الديني العربي الاسلامي فيما بعد وتسهيلا لموارد البحث وتفصيلاته ، فأن من الممكن حصر هذه المعتقدات في الأصول الكبرى الآتية :ـ

١ - عقيدة الحلول والاتحاد والتأليه .
٢ - اسقاط التكاليف الدينية واباحة المحرمات .
٣ - التأويل الرمزي الباطني .
٤ - عقيدة التناسخ ونفي البعث والعقاب والثواب .
٥ - التعاليم السرية .

اولا : عقيدة النصيرية في القول بالحلول والاتحاد :ـ

الاعتقاد بجواز الانفصال والتجزئة في الالوهية وذلك بين الذات «Essence» وبين الصفات «Attributes» وجواز حلول الجزء المنفصل

←

ص٢٢٢ وما بعدها ، ابن كثير «البداية والنهاية» حوادث سنة ٧١٧ هـ ، ابن تيميه «الرسائل ص ٩٧» طبعة القاهرة سنة ١٣٢٣ هـ .

وقد أيد الباحثون من المعاصرين جملة هذه الأمور وقرروا ثبات النصيرية في الاعتقاد عليها :ـ

١- رفيق التميمي ومحمد بهجت : ولاية بيروت «١٣٣٦ ـ ١٩١٦» .
٢- نوفل نوفل : سوسنة سليمان في اصول العقائد والأديان .
٣- الدكتور علي سامي النشار : نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام جـ ٢ ص٣٤١ وما بعدها .
٤- محمد كرد علي ، خطط الشام جـ ٦ ص٢٦٠ وما بعدها .
٥- الدكتور كامل مصطفى الشيبي : الفكر الشيعي والنزعات الصوفية ، بغداد ١٩٦٦ .
٦- الدكتور عبد الرحمن بدوي «مذاهب الاسلاميين» جـ ٢ ص ٤٤٢ وما بعدها .

«الـلاهـوت» في غير الذات الالهية «الناسوت» ركن ثابت من اركان العقيـدة المسيحيـة اقـرتـه المـذاهب المسيحية على اختلاف بينها في تصور عملية الانفصال ثم الامتزاج ، والعلاقة بين طرفي اللاهوت والناسوت . وهكذا صار القول بالتثليث «Trinity» اصلا اعتقاديا في المسيحية : فالله واحد في ذاته ، ثلاثة في صفاته ، وهي الاقانيم(١٨٠) .

وهـذا التصـور للالـوهيـة ينـاقض العقيـدة الاسلامية التي تقرر مبدأ : الوحدة الذاتية المطلقة للاله ، وما تقيمه من فصل وتمييز وتفرقه بين الربوبية وعالم الخلق ، فلا حلول ولا اتحاد ، ومن ثم لا يستقيم مع هذه العقيدة في الـوحـدانية الخالصة المنزهة عن المماثلة والمشابهة دعوى ان يهبط الاله ليحل في المخلوق ، اويرقى المخلوق عن عالم المحـايثـه والتشخيص ليتحـد بالله تعـالى في عالم التنـزيـه(١٨١) ، الا ان جماعـات الغـلاة ، وتحت التأثـير

---

(180) Russel, B.''History of Western Philosophy'' . pp : 365 (8 th Impression) London, 19

وقارن مواقف الاسلاميين :
القـاضي عبـد الجبـار المعتزلي «شرح الاصول الخمسة» ص ٢٩١ ، وايضا : سليمان دنيا : محمد عبده بين الفلاسفة والمتكلمين جـ ٢ ص ٥١٦ ومابعدها .

(١٨١) انظـر : الـدكتـور عرفان عبد الحميد : «نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها في الاسـلام ص ١٥٥ ومـا بعـدهـا» وقـارن : الدكتور عثمان يحي : «نصوص خاصـة بنظـريـة التـوحيـد في التفكـير الاسـلامي» بحث نشـر في الكتـاب التذكاري ـ محيي الدين بن عربي ـ في الذكرى المئوية الثامنة لميلاده ص ٢٣٤

اللاشعوري لعقائدها التي أمنت بها طويلا قبل دخولها الاسلام ، بشرت بهذه العقيدة في دائرة الفكر الديني في الاسلام ، فأدعى اكثر من نفر منهم الالوهية للائمة تارة ، ولذواتهم اخرى ، على سبيل الحلول والتناسخ ، ولهذا جعل الشهرستاني هذا القول بمثابة التعريف الشامل لهم ولأبنيتهم الفكرية ، فقال : «الغلاة اسم على اولئك الذين غلوا في حق ائمتهم حتى اخرجوهم من حدود الخلقية ، وحكموا فيهم بأحكام الالهية ، فربما شبهوا واحدا من الأئمة بالاله ، وربما شبهوا الاله بالخلق ، وهم على طرفي الغلو والتقصير ، وانما نشأت شبهاتهم عن مذاهب الحلولية(١٨٢) ومذاهب التناسخية ومذاهب اليهود والنصارى ، اذ اليهود شبهوا الخالق بالخلق ، والنصارى شبهت الخلق بالخالق ، فسرت هذه الشبهات في اذهان الغلاة حتى حكمت بأحكام الالهية في بعض الائمة(١٨٣) .

---

(١٨٢) الحلول : اصطلاح فلسفي ، ويستعمل في علم الكلام في الاسلام للدلالة على الاتحاد الجوهري بين الروح والجسم ، وكذلك يستعمل للدلالة على حلول الذات الالهية في جسم الانسان ، اي التجسد «اللاهوت في الناسوت» . وقد رفض جميع المتكلمين المسلمين هذه النظرية ، وحكموا على الفرق الحلولية بالكفر والخروج من الدين ، ومن ابرز تلك الفرق : السبائية ، والبيانية ، والخطابية ، والنصيرية ، والمقنعية ، والحلاجية ، والحلمانية ، والشريعية ، والجناحية انظر : دائرة المعارف الاسلامية ، مادة «حلول» .

(١٨٣) الشهرستاني :«الملل والنحل»، على هامش «الفصل» جـ ٢ ص ١٠ وانظر : ابن بابويه القمي : عقائد الشيعة الامامية» باب نفي الغلو ، وايضا : الشيخ المفيد : «تصحيح عقائد الشيعة الامامية» باب الغلو والتفويض ص ٦٣ .

وهكـذا زعم عبـدالله بن سبأ «ان عليـا كان الهـا ، وكان يقول هو الاله على الحقيقـة» ، والشـريعيـة كانت تعتقـد ان الله تعـالى «حـل في خمسـة اشخاص : في محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين» والجناحية زعموا «ان روح الله تحل في الانبياء والائمة» والخطابية زعمت «ان الائمة كانوا آلهة ، وكـان ابـو الخطـاب يقـول : ان اولاد الحسن والحسـين كانـوا ابنـاء الله واحباءه . وكان يقول ان جعفرا «الصادق» اله[١٨٤]».

وقد اكد هذا التواصل والارتباط بين تأليه الائمة وعقيدة الحلول والاتحاد العلامة ابن خلدون ، فيقول : «ومنهم طوائف يسمون الغلاة تجاوزوا حد العقل والايمان في القول بألوهية هؤلاء الائمة ، اما على انهم بشرا تصفوا بصفات الالهية ، او ان الاله حل في ذاتهم البشرية وهو قول بالحلول»[١٨٥] .

وعن الغـلاة الاوائـل سرت هذه الفكـرة الى طوائف من الصـوفيـة ممن زعمـوا «ان الالـوهيـة تحل في العبـاد ، وان العبـد ان تطهـر بالمجـاهـدة الـروحيـة ، ونقى سرائـره بالـريـاضـة ، اتصل بالله واتحد به»[١٨٦] . ثم اقـترنت العقيـدة بالحلاج والحلاجية ، واتخذها اصحاب الدعوات السرية الهـدامة ممن جمعوا بين دعوى الالوهية والاشتغال بالسحر والشعبذة واظهار

---

(١٨٤) انظـر : الاشعـري ، مقـالات الاسلاميين جـ١ ص ٧٧ ، الشهرستاني : « الملل والنحل » جـ١ ص ٢٠٣ ـ ٢٠٩ ، البغدادي : ، « الفرق بين الفرق » ، ص : ١٥٠ وما بعدها .

(١٨٥) المقـدمـة ، ص ٣٥١ «طبعة بيروت سنة ١٩٠٦م» وراجع عبد ربه «العقد الفريد» جـ١ ص ٣٥٠ .

(١٨٦) الاسفـراييني : «التبصـير في الـدين» ص ٧٧ ، البغـدادي : «الفـرق بين الفرق» باب الحلولية ، ص ٢٦٠ .

المخاريق وسيلة لهدم اركان الشريعة وضرب السيادة العربية معا وفي آن واحد . فكان المقنع يزعم لأتباعه انه «هو الاله» وانه احد التجسدات التي تجسدها الروح القدس على ادوار متكررة»[١٨٧] .

ودعا الى مثل عقيدته ابن ابي القراقر الشلمغاني ، الذي عقد ابن الاثير صلة ربط وتشابه بينه وبين النصيرية[١٨٨] . وبلغت العقيدة كامل صورتها عند الحلاج الذي نقل عنه قوله : «من هذب في الطاعات

---

(١٨٧) كولد زيهر «اجنتس» : «العناصر الافلاطونية والغنوصية في الحديث» ضمن كتاب «التراث اليوناني في الحضارة الاسلامية» ـ دراسات لكبار المستشرقين ترجمة عبد الرحمن بدوي ص ٢٣٦ ، وقارن ابن خلكان : «وفيات الأعيان» الترجمة رقم (٤٣١)وراجع :

Brown E.G. ''A Liteary History of Persid,'' London, 1906, Vol: I,P : 320

(١٨٨) ابن ابي القراقر «محمد بن علي الشلمغاني» اهله من قرية واسط ، وصورته صورة الحلاج ، ادعى الالوهية لنفسه ، وسمى نفسه : روح القدس . وضع كتابا لأتباعه سماه بالحاسة السادسة وصرح فيه برفع الشريعة واستغوى جماعة فكانوا يبيحونه حرمهم واموالهم يتحكم فيها ، وكان يتعاطى الكيمياء ، انظر المصادر المذكورة في الهامش السابق ، وعن المقارنة المطولة التي عقدها ابن الاثير بين الشلمغانية والنصيرية ، انظر : «الكامل» حوادث سنة ٣٢٢ هـ وقارن : الشيبي : الفكر الشيعي ص ٢٠٢ ـ ٢٠٣ حيث يورد عنه «وبعد ذلك ادعى الربوبية وظهر بدين جديد يقوم على حلول النور الالهي فيه بعد تنقله في الانبياء والائمة» وكانت حركة الشلمغاني مؤصلة من حركة الحلاج القريبة وصادرة عنها ، الى حد ان مقارنات عقدت بين الرجلين وشبه الشلمغاني بسابقه .

جسمه ، وشغل بالاعمال الصالحة قلبه ، وصبر على مفارقة اللذات ، وملك نفسه في منع الشهوات ، ارتقى به الى مقام المقربين ، ثم لايزال يتنزل في درجات المصافات حتى يصفوعلى البشرية طبعه ، فاذا لم يبق منه من البشرية نصيب : حل فيه روح الله الذي كان منه عيسى بن مريم فيصير مطاعا فلا يريد شيئا الا كان ، من كل ماينفذ فيه امر الله ، وان جميع فعله حينئذ فعل الله»[١٨٩] .

ولهذا فقد عد بعض الباحثين الحلاج «صورة جديدة من ابي الخطاب ، الزعيم الغالي الذي قتل في الكوفة سنة ٧٣٨»[١٩٠] .

واذا علمنا ان مؤسس النصيرية استقى فكرة وعقيدته من الخطابية ، ادركنا التواصل التأريخي للعقيدة ابتداء من الخطابية والى الحلاجية ثم النصيرية . واتخذت العقيدة عند الغلاة عموما وعند النصيرية على وجه التخصيص صورة ملفقة تقوم على ثلاثة اركان :

اولها : مستمدة من مذاهب الغنوصيين[١٩١]التي تختلط فيها العناصر الدينية بمفردات من الفلسفة اليونانية ، بخاصة الافلاطونية المحدثة ومذهبها في الفيض والصدور .

---

(١٨٩) ماسنيون «كتاب الطواسين» ص ١٣٥ معتمدا على مانقله الاصطخري في «مسالك الممالك» ص ٩٠ ، طبعة مصر سنة ١٩٦١ تحقيق محمد جابر عبد العال .

(١٩٠) الشيبي «الصلة بين التشيع والتصوف» ص ٣٦٨ ، الطبعة الثانية ، والدكتور عرفان عبد الحميد / نشأة الفلسفة الصوفية ص ١٩٥ وما بعدها .

(١٩١) الغنوص او «الغنوسيس» كلمة يونانية الاصل معناها «المعرفة» غير انها ←

اما الثـاني : فيرتـد الى وثنيـة حران[١٩٢]التي اعتمدت مبدأ تأليه الافلاك والنجوم والكواكب السيارة باعتبارها موجودات روحانية مفارقة ومجردة .

اخذت ـ بعد ذلك ـ معنى اصطلاحيا هو : التوصل بنوع من الكشف الى المعـارف العليـا ، او تذوق تلك المعارف تذوقا مباشرا بأن تلقى فيه القاء فلا تستنـد على الاستـدلال او الـبرهنـة العقليـة . . وقـد اعتـبر الغنـوصيـون عقـائـدهم اقـدم عقيدة في الوجود . . اخذ مدلول الكلمة يتسع شيئا فشيئا حتى شمـل تلك المـذاهب الشـرقيـة التي يتجسـد فيهـا بجـانب منهجها في المعرفة ، مجموعة الطلاسم والأسرار والسحر ، ويعتبر هذا المذهب من اقدم المـذاهب الفلسفيـة ، غير ان المذهب الغنوصي الحقيقي ، اي الفلسفي ، انها نشأ على يد «بازليدس» و«فالنتيوس» وغيرهما ، وقد قاموا بمزج المذاهب المختلفـة من «فـارسيـة وسـريـانيـة وافلاطونية وفيثاغورية ورواقية» بالاديان السـاويـة «اليهـوديـة والمسيحيـة» وبعـد ظهـور الاسـلام وانتشاره اصطدم بالغنوص في البلاد المفتوحة ، وتغلب عليه ، ولكن الغنوص بقى كامنا ، لما له من طبيعـة غامضـة وقـدرة على التخفي ، حتى اذا ماهدأت حركة الفتح قام الغنـوص ، بل قامت غنـوصـات كثـيرة تهدف الى تقـويض عقـائـد الاسـلام ، الا ان الاسـلاميـين قاومـوا بضـراوة تلك المذاهب ، والفوا كتبا عديـدة في الـرد عليهـا وبيـان تهافت عقائدها ، ومن اعلام المسلمين الذين تولوا ذلك :
النظـام ، والخيـاط ، والجـاحـظ ، والبـاقـلاني ، والغـزالي ، وابن تيميه ، راجـع : علي سامـي الـنـشـار ، نشأة الفكـر الفلسفي جـ ١ ص ١٧ ، و٤٥ ـ ٤٧ «الطبعة الرابعة ، دار المعارف سنة ١٩٦٩» .

(١٩٢) حران ، مدينـة قديمـة لاتـزال معروفة باسمها القديم ، وموقعها في الشمال الشـرقي من بلاد مابـين النهـرين في جوار الحـدود السورية التركية ، داخل حدود تركيـا على منـابـع نهر البليـخ ، تقـع على بعـد ٤٠ كم الى الجنوب

واما الثالث: فمستمد من ديانات الفرس القديمة بخاصة المانويه[193] والـزرادشتيـه[194] ومـذاهبهـا في «قـدم الانوار» و «العالم النوراني» وقد تلاقت هذه العنـاصـر والامشاج الدينية والفلسفية على ارض الشام ، ونتـج عنهـا نشأة سلسلة من المـذاهب الدينية ـ الفلسفية التي تعتمد في جملتهـا على نزعـة الجمـع والتلفيق وانشـاء المـذاهب المـركبة[195] التي كانت منها النصيرية .

← الشرقي من اورفه ، وزهاء ٨٠ كم من مصب البليخ في نهر الفرات ، كانت مركزاً هاماً على الطرق التجارية الرئيسة بين العراق وسوريا وفلسطين ، وقد اشتهـرت في كونهـا مركزا لعبادة الكواكب والنجوم ومن اشهر هياكلها هيكل الالـه القمـر «الالـه سين» وللمقارنة بين صابئة حران والنصيريين ، انظر : رشيد تانقوت / النصيريون والنصيرية/ص ٣٥ ـ ٣٦ .

(١٩٣) المـانـويـه : نسبـة الى ماني بن فاتك «٢١٥ ـ ٢٧٤م» وهو فيلسوف فارسي احـدث ديـانـة بين الديانتين : الزرادشتيه والمسيحية ، تقوم على الثنوية ، والـزهـد في الـوجـود ، وتعجـل الفنـاء ، راجـع : ويـد جيري / المذاهب الكبرى في التاريخ ص ١١٥ ترجمة ذوقان قرقوط / دار القلم ، بيروت سنة ١٩٧٢ .

(١٩٤) الـزرادشتيـة : ديـانـة فارسيـة ثنـويـة ، تنسب الى زرادشت سبتـامـا «٦٦٠ ـ ٥٨٣ ق . م» الـذي ادعى النبـوة ، ودعا الى نبذ الوثنية المتمثلة في تعدد الآلهة وعبادة الاصنام ، ووضع ديانة جديدة تقوم على الاعتقاد بوجود قوتـين مؤثـرتـين في الكـون : قوة الخير «اهورامزدا» وقوة الشر «اهرمن» وقد انتشـرت تعـاليم زرادشت بعد طويل في جميع انحاء بلاد فارس وخارجها ، وصارت ديانة الفرس القومية ، وكانوا يعتزون بها ويدافعون عنها حتى ظهور الاسلام .

(195) Tor Andrae : "Mohemmed, the Man and His Life,Eng. tras, Second →

امـا الاول من هذه الاركـان فيبتدئ في دعوة النصيرية ان عليا ـ رض ـ هو «المعنى» الـذي رمـز للالـوهيـة المجـردة التي تتعـالى عن الـوصف والتعبير «Ineffable» فلا يدرك لذاتـه ثم صدر عنـــه موجــود اول هو «الاسم» «اي : محمـد ليشكـل الصـورة الخـارجيـة المرئية والمشخصة فهو المظهر او التجلى الخـارجي المـادي للالـوهية المجردة و «الناطق» باسمها وكما ان «الاسم» هو المظهـر الخـارجي المشخص للمعنى ، كذلـك فان « البـاب» ويـرمز اليه بـ «سلمان الفـارسي» هـو الطريق الروحاني الذي يصل الانسان العادي عبره وعن طريقـه الى معـرفـة عالم الغيب المجـرد . ونحتت النصـيرية من هذه المبـادئ الثـلاثـة عقيدتهم في التثليث لينتهوا الى كلمة السر المقدسة المكونة من الأحرف الاولى الثلاثة : ع . م . س «عمس» وهو مايقابل : الآب والآبن ، وروح القـدس في المسيحيـة[١٩٦] وعملية الفيض والصدور

Edition, London, 1956, p.99 ←

وقارن ايضا عن هذه النزعة التلفيقية :

دي بور : (تـاريـخ الفلسفـة في الاسلام) الترجمة العربية للدكتور عبد الهادي ابوريده ، الطبعة الثانية ص ١٦ وما بعدها . وعن مذاهب الزردشتين وقدماء الفرس في «العالم النوراني» و «قدم الأنوار» انظر :

هنـري كوريـان : «تـاريـخ الفلسفـة الاسـلاميـة» الترجمة العربية ـ الفصل السابع ص ٣٠٣ ، وما بعدها .

(١٩٦) من وجـوه المـماثلة الاخـرى بين النصـيريـة والفكـر الديني المسيحي ، الى جانب القـول بالتثليث باعتبـارات ووجـوه مختلفـة ، وتشبيـه السيـد المسيح بالامام علي ، امور اخرى تتصل بالطقوس وصور العبادات والاعياد مما جاء على ذكـرهـا صاحب «البـاكـورة السليـمانيـة» واثبتهـا من قبله المؤ رخـون الاسـلاميـون واقرتها وايدتها بالشواهد مباحث المستشرقين قبله وبعده . وقد نقـل جورج وايت على لسـان شيوخهم قولهم له : «لاتفصلنا عنكم معاشر ←

هذه تتخذ صورة تعاقبية سباعية ترتد في اصولها الاولى الى تعاليم ابي الخطاب . مع اختلاف في ترتيب المراتب والاشخاص ، وهذه الأدوار او الحقب السباعية منها نورانية سماوية ومنها ارضية ادنى منها درجة .

←

النصارى الا قشرة رقيقة هي ارق من قشر البصل» ونقل تودبرج عنهم ايضا : «دعواهم بانهم اقرب الى االمسيحية منه الى الاسلام» ومن وجوه المماثلة والمطابقة بين النصيرية والنصارى طقوس وعبادات ، منها :- «العشاء الرباني» و«التعميد بالزيت» و«الاعتراف بالخطايا» و«استحلال الخمر» و«الاحتفال بأعياد مشتركة» مثل : عيد الميلاد ، ويصادف عند النصيرية رأس السنة الشرقية عند الارثودوكس حيث يقدم فيه النبيذ ولحم البقر ، وعيد الصلب ، وعيد الغطاس ، وعيد البربارا في الثالث من كانون الاول الشرقي ، وعيد يوحنا المعمدان ، ويوحنا فم الذهب،وعيد الشعانين والعنصره ، وعيد مريم المجدلانية ، انظر تفصيلات هذه الأمور في :-

(a) Salisbury. A: "Mysteries of the Nusiarian Religion, p: 264-5 [J.A.D.S.,No : 8 (1804)]

(b) Trobridge Steven Van : "The Alavis, or Deifrers of Ali," pp : 240 - 342 [H.T.R, No: 2,1909]

(c) George White : "Some Non - Confirming Turks" [M.W. No.8 (1918)]pp :245-7.

(d) Lammens. H : "UNE Visite Au Shih Supreme Des Nosairs Haidaris" [J.A.Tom.V] p.145.

ويستطرد لامنس قائلا : ولنا ان نقول : ماذا بقي من الاسلام ، بعد كل هذا الخليط . وانظر مقالته الاخرى : هل النصيرية نصارى

"Les Nosaires Fureni -ils Chretiens Roc. 1900. p. 35.

ويمكن تصوير عقيدة النصيرية في هذه الأدوار السباعية على الشكل الآتي :-

الدورة السباعية الاولى

المعنى	الاسم	الباب
هابيل	آدم	جبرائيل
شيث	نوح	يابيل بن فاتن
يوسف	يعقوب	هم بن كوش
يوشع	موسى	دن بن اسيوط
اسف	سليمان	عبدالله بن سنان
سيمون الصف	عيسى	روزيه بن المرزبان
علي	محمد	سلمان الفارسي

ويوازي هذه الدورات او الظهورات ، عالم نوراني كبير ذو سبع مراتب ايضا هي :-

الأبواب	وعددهم/ ٤٠٠
الأيتام	وعددهم/ ٥٠٠
النقباء	وعددهم/ ٦٠٠
النجباء	وعددهم/ ٧٠٠
المختصون	وعددهم/ ٨٠٠
المخلصون	وعددهم/ ٩٠٠

ثم الممتحنون وعدده/ ١١٠٠ ليشكل

من مجموعهم ماقدره / ٥٠٠٠ ويقابلهم في العالم الارضي مراتب سبع هي :-

المقربون	وعددهم	١٤٫٠٠٠
القريبون	وعددهم	١٥٫٠٠٠
الروحانيون	وعددهم	١٦٫٠٠٠
المقدسون	وعددهم	١٧٫٠٠٠
الساعون	وعددهم	١٨٫٠٠٠
المستمعون	وعددهم	١٩٫٠٠٠
التابعون	وعددهم	٢٠٠٠ ليشكل منهم عالم

مجموعة ١١٩٫٠٠٠ (١٩٧) .

امـا العنصـر الـوثني المتصـل بعبـادة الافـلاك والكواكب عند صابئة حران فيتبـدئ في اطـلاق النصيرية على الامام علي تارة اسم «الشمس» واخرى اسم «القمـر» حتى انشقت الطـائفـة على نفسهـا الى فرقتـين ، احـدهما شمالية وتعـرف بالشمسيـة ، والثـانية جنوبية وتعرف بالقمرية او الكلازيه وذهبت الاخـيرة الى ان عليـاً هوذات القمـر ، وهـو محجوب عن اعيننا ، ونراه اسود ومتى خلصنا من هذه القمصان «يقصدون هياكل الابدان» فأننا نرتفع بأمانتنا الى مابين الكواكب وحينئذ نراه ، وكانت الشمالية تقول بأن القمـر مخلوق فلا يصح ان يكـون معبـودا فترد عليـه القمرية بقولها : «ان علينـا خلق القمـر ليسكن فيـه الرجل الذي يبني له بيتا ليسكنه ، اويصنع كرسيا يجلس عليه» ولهذا اعتقدوا ان السواد في القمر هو المعبود ، وله يدان

---

(197) Springett,B., "Secret Sects of Syria and Lebanon," London, George Allen & Unwin,pp.140-3.

وقارنه بما اورده ماسنيون في دائرة المعارف الاسلامية ، مادة ، ، النصيرية ،

ورجـلان وبدن ، وعلى البدن رأس ،وعلى الرأس تاج ، وبيده سيف هو ذو الفقار [198] .

واخـيرا فأن الأصـل الفارسي في العقيدة النصيرية هذه يظهر في اعتقاد الطائفة بأن الائمة من آل البيت وكذلك اهل المراتب العليا من الروحانيين موجـودات نورائيـة ، سابقة في وجودها الروحاني العلوي المفارق على هذا الوجود المادي المشخص في «القمصان البشرية اللحمية الدموية» وان ابناء الطـائفـة بعد سلسلة من عمليات التناسخ يتطهرون ويظهرون ويصيرون انوارا خالصة تصعد لتتخذ من النجوم مستقرا لها وتلحق بالعالم النوراني الأكبر [199] ؛

وبعد فأن تأليه الامام علي ـ رض ـ جاء نتيجة طبيعية لأعتقاد النصيرية بنظـريـة الحلول والاتحـاد مما حمل بعض البـاحثين على اطلاق اسم «العلي آلهيـة» عليهم وعلى سائـر الفـروع التي تفـرعت من دعـوى الخطـابيـة «كـالبكتـاشيـة» و«القـزل باشيـة» وفيـما يلي جملة من النصوص المنقولة عن كتبهم المعتبرة التي تؤيد ماسردناه فقد جاء في كتاب الهداية الكبرى لأبى

---

(١٩٨) الباكورة السليمانية ، نقلا عن سالسبري ، مقالته السابقة ، ص ٢٥٠ .

(١٩٩) البـاكـورة السليـمانيـة ، نقـلا عن سالسـبري : ص ٢٥٢ ، وقـد برر النصـيريـون استحلالهم الخمر بدعوى ان اصله من النورومن هنا تسميتهم له عبد النور انظر :

Lammens, Une Visite, op. cit., p. 155.

وايضاً :

Springett : op.cit., p.142.

حيث يقـول : ومن اعتقـادهم تكـريم الخمـر لأنـه اصله من النـور حسب زعمهم كما انهم يعظمون النور مثل المجوس ، ومن التأثيرات الفارسية على الديانة النصيرية الاحتفال ببعض اعياد المجوس مثل عيد النيروز .

عبد الله الحسين بن حمدان الخصيبي قوله : قال علي للشمس : السلام عليك ياخلق الله الجديد ، ثم همهم همهمة تزلزل منها البقيع فأجابت الشمس وعليك السلام ياخا رسول الله ووصيه اشهد انك الاول والآخر والظاهر والباطن وانت بكل شئ عليم(٢٠٠) وجاء في كتابهم المقدس «المجموع» الذي قام بنشره المستشرق المعروف دوسيه مانصه : ياأمير النحل يارغبة كل راغب ، ياقديما باللاهوت ، يامعدن الملكوت ، انت الهنا ظاهرا وباطنا . . . اسألك ياأمير النحل ياعلي ياوهاب ياازلي ياتواب . . . ياعلي ياعظيم ياازلي ياقديم ياباري ياحكيم . . . اني اشهد ان ليس الها الا علي بن ابي طالب الأحد الفرد الصمد الذي لايتجزأ ولا يتبعض ولا ينقسم ولا يدخل في عدد فهو الهي والهكم والهي(٢٠١)

---

(٢٠٠) نقلا عن «العلويين بين الحقيقة والاسطورة» لمؤلفه النصيري هاشم عثمان ، ص ٢٤٨ ، وكتاب الهداية الذي يعتبره هذا النصيري من الكتب الموثقة المعتبرة عند طائفته مشحون بسوء الخلق والأدب وصور الافتراء على ائمة الدين من السلف الصالح فقد اتهم الصديق ـ رض ـ بشرب الخمر يوم الجمعة في اول شهر رمضان ، وسمح لنفسه ان يسمى العشرة المبشرة بالفسقة ورمى الفاروق بكل مافي صدر المجوس من غل وحقد وضغينة فاذا كان هذا شأن كتبهم المتداولة المعتبرة فيا ترى ماذا هم قائلون عن الدين وصحابة الرسول في كتبهم السرية المضنون بها على غيرهم .

(٢٠١) نقلا عن دوسو في مواضع عديدة من كتاب «المجموع» بخاصة الصور ، الثانية ، الرابعة ، السادسة والثامنة، والحادية عشرة ، ، وراجع « الباكورة السليمانية » لسليمان افندي الادنى ، طبعة بيروت «١٨٦٤م» ص ٧ ، حيث الاشارة الى الصلاة النصيرية وهي ستة عشر سورة وفيها عبادة علي بن ابي طالب ، وقارن ترجمة سالسبري وتعليقاته في مقالته المذكورة سابقا وايضا : راجع مقالة شتر وطمان السابقة .

ثانيا : اسقاط التكاليف الدينية : «Moralnihism»

ان النـزعـة التي اصطلح مؤ رخـو الاديـان والحضارات على تسميتها بـ «Antinomianisn» والتي يبيـح اتبـاعهـا لانفسهم تجاوز الاحكـام الـدينيـة والالتـزامـات الخلقيـة والاعتبـارات الاجتـماعيـة قضية متأصلة في التأريخ القـديم ، ربطهـا مؤ رخـو الاديـان الاسـلاميـون بالمجـوسية والزرادشتية والمزدكية وذلك ان المجوس طبقة من الكهنة مؤلفة بهيئة اخوة او جمعية دينية كانت تبيـح الـزواج بالاقـارب الاقـربين(٢٠٢) وعرف عن مزدك دعوته الى الابـاحيـة واستحـلال النساء(٢٠٣) لذلك ثبت عن اكثر من نفر من اكاسرة الفـرس ابـاحتهم الزواج بمن لايجوز الزواج بهن في عرف الدين والاخلاق العـامـة التي اعتمدها الناس فقد تزوج يزدجرد الثاني ، الذي تولى الحكم في القـرن الخـامس الميـلادي من ابنتـه ، كذلـك فعـل بهرام جور ، الذي حكم في القرن السادس ، فقد كان متزوجا بأخته(٢٠٤) .

---

(٢٠٢) طه باقر : مقدمة في تاريخ حضارات الشرق القديم ، ٢/٤٢٤ .

(٢٠٣) الشهـرستـاني « الملل والنحـل » ٢/٢٨٦ الفخر الرازي « اعتقادات فرق المسلمين والمشركين»ص ٨٩ وينقل المقدسي عن البابكية قولهم باباحة النساء على مذهب مزدك على الرضى منهن واباحة مايلذ النفس وينزع اليه الطبع مالم يعـد على احـد بضرر « البدأ والتاريخ » ٤/٢٤ ، وقارن ايضا : جمال الدين الافغاني«الرد على الدهرين»ص ٥١ .

(204) Historians History of the world vol: 8,p.84

وراجع :-

Christensen, A.,"LEmpire Des Sasanids,"paris, 1944, p.73.

ويـذكـر ايفـانـو«المصدر السابق ، ص ١٣٥ : ان الزواج بأقرب المقربين كان عادة منتشرة وسائدة في الزرادشتية ، وقد اكد هذا الامر من دون تعاليمها ، سواء من اتبـاعهـا اومن الآخـرين ، وليس من قبـل كتاب الفرق الاسلاميين

وعـرفـت دوائـر معينـة في الفكـر الهنـدي القـديم هذه النـزعـة العـدميـة[٢٠٥]وكـذلـك فأن الغنـوصيين يرون عموما ان التأمل في الكائن الاعلى «الغيب المطلق عنـد النصيـر يـة» يجعـل الاعـمال الظـاهـرة سواء لانتيجـة لها ، وهـذا هو الأصـل في رفض كل الأمـور الشـرعية والنواميس الخلقيـة حتى الـوصـايـا العشـر تصبـح محتقـرة ، فأتحاد الروح بالوحدانية العظمى ، ترفعه الى مافوق الأشكال الدينية المحدودة[٢٠٦] . وقد نفذت هذه النزعة الى طوائف من المجتمع الاسلامي عن طريق الغلاة ممن جمعوا بين الالحـاد في الـدين والابـاحـة في الاخـلاق والمشـاركة في حفلات العهر الجـماعي «Promiscuity» فالمعمـريـة وهم فرقـة من الخطابية ـ استحلوا الزنا

فحسب بل ومن المصـادر الصينيـة المعاصرة ايضا وهي العادة التي عرفت بينهم بـ : "Khwae Twadatha" في «الافستا» او "Khwae Tukdasih" في الفهلوية ، وكانت اكثر شيوعا بين اهل التقى منهم باعتبارها مما يرضي آلهتهم ، وبموجب هذه العـادة فأن الـزواج من الاخت والبنت بل وحتى من الأم يعـد امرا حسنا ومأمـورا به . وقـد حفـظ لنـا التاريخ صورا لمثل هذه الزيجات بين افراد الاسرة الاخمينية . على وجه التخصيص ولم تكن هذه العادة محصورة في طبقة الكهنة والنبـلاء بل وكـانـت منتشـرة بين عامة الناس ايضا . وهذه العادة بقيت تمارس حتى القـرون المتأخـرة . ففي المـدونـة المعروفة بـ Arta - Wiraf - Namak التي تعود في كتابتها الى القرن العاشر للميلاد ، تقرأ عن بطلها ارات ويراف : انه كان له سبع اخوات كن في نفس الوقت ازواجا له .

(٢٠٥) اولتزامارا : تاريخ الآراء الثيوصوفية في الهند «بالفرنـ ية» ، ١ / ٢١٤ ، نقلا عن : كولد زيهر المصدر السابق ، ص ٣٥٤ الهامش ١٠٣ .

(٢٠٦) كولـد زيهـر «العقيـدة والشـريعـة في الاسـلام»ص ١٦٦ ، وقـارنه بما ذكره نيكلسون « في التصوف الاسلامي وتاريخه»ص ٧٧ .

واستحلوا سائر المحرمات ودانوا بترك الصلاة[٢٠٧] والجناحية : استحلوا الزنا وشرب الخمر واكل الميته ، وكانوا لا يرون وجوب الصلاة والزكاة والحج ، ويؤ ولون ذلك بموالاة قوم من آل البيت .
ويتأولون قوله تعالى : ليس على الذين آمنو وعملوا الصالحات جناح اذا مااتقوا وآمنوا، واستحلت المنصورية :«النساء والمحارم وزعموا ان الميتة والدم ولحم الخنزير والخمر وغير ذلك من المحارم حلال ، وتأولوا المحرمات كلها على اسماء رجال امرنا الله بمعاداتهم ، وتأولوا الفرائض على اسماء رجال امرنا بموالاتهم ، واجازوا نكاح الامهات والبنات والاخوات»[٢٠٨] وقد استقرت هذه الانحرافات وترسخت في المجتمع النصير ي[٢٠٩] اما الزنادقة الذين انتحلوا التصوف وادعوه فقد حاولوا تبر ير

---

(٢٠٧) الاشعري : مقالات الاسلامين ٦٨/١٢ وما بعدها ، الاسفراييني التبصير في الدين ص ١١٠ وما بعدها . النوبختي فرق الشيعة ص ٢٥ وما بعدها .

(٢٠٨) انظر المصادر المذكورة في الهامش السابق ، وهناك دراسة مفصلة ورائعة عن هذه الطوائف عند ابن الجوزي : تلبيس ابليس ص ٣٥٢ وما بعدها فليراجع . وقد نسب حمزة الدرزي جملة هذه الامور الى النصيرية ، فقال عنهم فيهم القتل والسرقة والكذب والافتراء والزنا واللواط انظر الرسالة الدامغة .
وتأويل الفرائض والاركان والمعاصي والعقوبات بأسماء اشخاص اما على سبيل الولاء والمحبة ، اوعلى سبيل التبري والكراهية سيشكل كما سنرى جوهر التعبد النصيري وحقيقته

(٢٠٩) حكى مثل هذه الامور اكثر الرحالة الذين زاروا بلاد النصيريين امثال : جاك دي فيتري فولين لوكروا ، وقد اطالوا في وصف حفلات الدعارة التي يقيمها النصيريون .

مزاعمهم بدعوى ان : الوصول الى درجة الولاية ومقام اليقين والاتحاد بالله يرفع عن العبد التكليف ويلغيه ، وقالوا : «ان المحظور على غيرهم من المحرمات مباح لهم اذا بلغوا درجة الولاية التي سموها الدرجة الخاصة»(٢١٠) ومن ثم اباحوا لانفسهم اطراح الشرائع وزعموا ان الانسان ليس عليه فرض ولا تلزمه عباده اذا وصل الى معبوده(٢١١) وكانت الحُبِّية تزعم «ان الله تعالى اذا احب عبدا رفع عنه الخطاب واسقط عنه العبادات»(٢١٢).وكما وقف ائمة التشيع الامامي الاثنا عشري من الغلاة موقف التنديد والنقد والتجريح ، كذلك فعل ائمة التصوف الملتزم بأدب الدين «امثال : الجنيد البغدادي ، وابو نصر السراج ، والقشيري والكلاباذي ، والغزالي» فانبروا يردون على هؤلاء الغلاة ، ويشددون في النكير عليهم ، ورفض مقولاتهم التي استهدفت هدم الدين وتشويه الشريعة(٢١٣) .

اما اصل هذه النزعة العدمية عند النصيرية فموصول بمؤسس الطائفة ابو

---

(٢١٠) ابن تيميه :«رسالة العبودية»ص١٠ .

(٢١١) الاشعري :«مقالات الاسلاميين»ص ٣١٠ ، ابن تيميه : الرسائل جـ١ ص٧٨ .

(٢١٢) البزدوي : اصول الدين ص٢٥٣ ، طبعة مصر سنة ١٩٦٣ .

(٢١٣) القشيري :«الرسالة القشيرية»ص٢ ـ ٣ وراجع : الطوسي ، اللمع ص٥٣٨ ، والسهروردي«عوارف المعارف»ص٧٩ ، وانظر : الشوكاني قطر الولي على حديث الولي طبعة دار الكتب الحديثة ١٩٦٩ م ص ٤٦٨ حيث يقول :«وما اقبح مايحكى عن بعض المتلاعبين بالدين المدعين للتصوف ، انهم يزعمون انهم وصلوا الى ربهم ، وانقطعت عنهم التكاليف الشرعية ، فقد خرجوا بذلك عن جيل المسلمين المؤمنين .»

شعيب محمد بن نصير الذي اورد عنه النوبختي وابن ابي الحديد والشهرستاني كما اشرنا اليه سابقا دعوى : اباحة المحارم ونكاح الرجال بدعوى ان ذلك من التواضع والتذلل ، وهو ماحمل الامام ابا محمد الحسن العسكري ـ رض ـ على لعنه والتبري منه . فقد جاء في منهج المقال عن الامام العسكري قوله : اني ابرأ الى الله من محمد بن نصير الفهري وابن بابا القمي ، فأبرأ منهما ، وأني محذرك «مخاطبا احد اتباعه» وجميع موالي ومخبرك اني العنهما ، عليهما لعنة الله(٢١٤) .

وعلى الرغم من هلاك اغلب الطوائف الغالية وانقطاع مابشرت به من اباحة المحارم ورفع التكليف والاستخفاف بالشريعة واركانها ، فأن النصيرية ، كما تشهد مباحث المعاصرين عنهم ، لازالت تؤمن وتمارس ماكانت عليه طوائف الغلاة من استهانة بأحكام الدين والعبادات ، من استحلال للخمر في الاجتماعات الدينية واثناء مراسم الدخول في الطائفة ، وتسمية الخمر بالنور وعبد النور(٢١٥)صدورا عن عقيدة مجوسية

---

(٢١٤) انظر : الاسترابادي « منتهى المقال » ص٣٢٧ وص ٢٩٥ «يقول ابن الاثير عن الشلمغاني الذي عقد بينه وبين مؤسس النصيرية نسبا وصهرا : ويعتقدون ترك الصلاة والصيام ، وغيرهما من العبادات ، ولا يتناكحون بعقد ، ويبيحون الفروج ، ويقولون انه يمتحن الناس باباحة فروج نسائهم ، وانه يجوز ان يجامع الانسان من يشاء من ذوي رحمه وحرم صديقه وابنه بعد ان يكون على مذهبه ، وانه لابد للفاضل منهم ان ينكح المفضول ليولج النور فيه . . وما اشبه هذه المقالة بمقالة النصيرية ولعلها هي هي -» الكامل في التاريخ ـ حوادث سنة ٣٢٢ هـ .

(٢١٥) وكان شرب الخمر بعد القول بأستحلاله امرا اجتمعت عليه الباطنية وفي عرف النصيرية منه الحلال ومنه الحرام ، حلال شرابه للمؤمنين النصيرية

←

كان اتباعها يستعملون شراب الهوما المسكر اثناء اداء الطقوس الدينية ، وكانوا يعتبرون عصير ذلك النبات بمثابة دم الاله العجل المسمى « هوما » [٢١٦] وتجمع المصادر العربية والاجنبية على عدم اكتراث النصيرية بأداء الفرائض الدينية من زكاة وحج وصوم وصلاة وامتناعهم عن اقامة المساجد وعمارتها ، اذ اعتادوا أداء احتفالاتهم وطقوسهم الدينية في العراء جريا على عادة المجوس الذين كانوا يقيمون المراسم الدينية في العراء المكشوف أذ لم يكن لهم معابد ولا مذابح كما لاحظ هيرودتس [٢١٧]

يقول لامانس [٢١٨] ويؤيده «Weurlerse» و «Boneschi» و «Trobridge» و George White ان النصيريين يشكلون فرقة غالية ، تذكرنا بأخلاق المجوس ، حيث يبيحون اشاعة البنات والاخوات والامهات ، لايصلون

← الذين يتبرأون من ابي بكر ويسبونه ، وحرام على من يتولاه ويوافقه لان الخمر في مثل هذه الحالة تتحول الى تجسيد لروح ابي بكر انظر : مقالة اشتر وطمان «التناسخ عند النصيرية».

(٢١٦) طه باقر ، مصدر سابق ، جـ ٢ ص ٤٢٨ ، وراجع : محمد كرد علي «خطط الشام» جـ ٦ ص ٢٦٥ .

(٢١٧) طه باقر ، مصدر سابق جـ ٢ ص ٤٢٩ .

(218) Lammens, H., "Une Viste," op.cit., p.156; Weurlersse, Antiochee, Essai de Geographie Urbaine, Bull. Inst. FR. Damas, 1943. Tom. Tv.p.55; Boneschi, p; Une Fatwa, p. Trobridg. The Alavis 246-8; George White: "Some Non - Confirming Turks," p.244.

وراجع الباكورة السليمانية للتثبت مما اورده المستشرقون بهذا الخصوص ، اما العرب المعاصرون امثال محمد كرد علي ، والشيخ محمد ابوزهرة ، والدكتور عبد الرحمن بدوي فقد ايدوا هذه المقولة واثبتوها .

ولا يتطهـرون ولا يصـومون ، واذا ما الزموا ببناء المساجد فأنهم لايدخلونها ولا يعمـرونهـا ، وربـما أوت الى المسجـد مواشيهم ودوابهم ، وربـما وصل الغريب اليهم فينزل بالمسجد ويؤذن للصلاة فتقول له : لاتنهق علفك يأتيك»(٢١٩)

ثالثا : التأويل الرمزي والباطني :ـ «Esotirism»

التأويـل بمعنى : التحـول والانتقـال من المعنى الظـاهـري والمبـاشـر المستفـاد من النصـوص الـدينيـة الى معنى آخـر عقـلي اومجازي امر عرفته الاديـان السـماويـة عامـة . وعنـد اطلاقه ينصرف الذهن عادة الى احدى صورتـين لاثـالث لهما ، فهـو امـا ان يتخـذ صورة «التحول المقيد» باحكام اللغة وعادة الاستعمال فيها ، وما تجوزه من صور التحول وماتحليه ، او ان يتخـذ صيغـة «التحرر الكامل» من القواعد والاستعمالات التي اقرها فقهاء اللغة للمجاز .

والصورة الاولى مما عم الاديان جميعا وبدرجات متفاوتة لانه مما يقتضيه الفهم السـوى والادراك السليم للدين واحكـامـه وتقـريـراتـه ، بغية رأب الصـدع والخـلاف ومـايبـدو من تنـاقض او تضاد بين ظواهر النصوص وما يرشدنا اليه العقل والمنطق والبرهان . ولهذا قال الفخر الرازي « جميع فرق

---

(٢١٩) ابن بطوطه : «تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار» ص ٦٥ ، تحقيق احمد العوامدي ومحمد احمد جاد المولى ، القاهرة سنة ١٩٣٩ وراجع «خطط الشام» جـ٣ ص ١٠٧ ـ ١٠٩ ، ماسنيون ، مادة « النصيرية » دائرة المعـارف الاسـلامية ، وهذا الاستخفاف بأقامة الشعائر الدينية عقد مشترك بين الجماعات الباطنية ، فهو مما يعمها جميعا .

الاسـلام مقـرون بأنـه لابـد من الـتأويـل في بعض ظواهـر القـرآن والاخبار»[220] ومن هنا اجتمعت كلمة علماء الدين ـ الاماندر ـ على وجوب صرف النصـوص الـدينيـة التي تشعـر ظواهرها بالتشبيه والتجسيم بين الله تعـالى وخلقـه عن معـانيهـا المبـاشرة الى معاني مجازية ، تسمح بهما قواعد اللغة العربية وعادة اهلها في الاستعمالات اللغوية وذلك لان الدليل العقلي والشرعي قد قام على مباينة ذات الله تعالى عن المخلوقات ، ومن ثم لزم صرف اللفـظ عن ظاهـرة الى معنـاه المرجوح لقيام الدليل القاطع على ان الظـاهـر ممتـع[221] وقـد جهد العلماء من اجل وضع القواعد الضابطة التي تنظم عمليـة التحـول والانتقال من الظاهر الى المجاز مخافة ان يستخدم في غير ماجيـز له ، كما فعلت البـاطنيـة والقـرامطة والنصير ية[222] ولهذا قرر العلماء ان التحـول والانتقـال من الـدلالـة الحقيقيـة الى الـدلالة المجازية ينبغي ، بل ويلزم فيه الالتزام بقواعد اللغة العربية في تسمية الشيئ بشبيهه

---

(٢٢٠) الفخر الرازي :«اساس التقديس في علم الكلام»ص ١٨٠ .

(٢٢١) ابو حامد الغزالي :«فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة » ص ١٨٨ .

(٢٢٢) يقول جمال الدين الافغاني «الرد على الدهريين ـ مكتبة الخانجي ـ الطبعة الثـانيـة ـ ١٩٥٥» واول مايلقنـه المـرشـد «الباطن» قوله ان الاعمال الشرعية الظاهرة كالصلاة والصوم ونحوهما انما فرضت على المحجوبين دون الوصول الى الحق ، والحق هو المـرشـد الكـامـل ، فحيث انـك اوصلت الى الحق فعليـك ان تلقي عن عاتقـك ثقـل الاعـمال البـدنية فاذا مضى عليه زمن في عهـدهم صرحـوا له بأن المصـابـين بأمـراض من ضعف النفـوس ونقص العقـول ، امـا وقـد صرت كامـلا فلك الاختيار في مجاوزة كل حد مضروب والخروج من أكنان التكاليف الى باحة الاباحة الواسعة .

او بسببه اولا حقه اومقارنه ، اوغير ذلك من الامور التي عددت في تعريف اصنـاف الكـلام المجـازي[٢٢٣]والا ينصرف التأويل الى اصل من اصول العقائد ومهماتها ولهذا اوجبوا تكفير من يغير الظاهر فيها بغير برهان قاطع[٢٢٤]

امـا الصـورة الثـانيـة ، فهي ماصـار اليهـا واخذ بها ملاحدة الشعوبية والغـلاة من البـاطنيـة وهـذه الصـورة في التحول والانتقال من الحقيقة الى المجاز لاتقيم لقواعد اللغة وزنا ولا تعرف لعادة الامة في استعمالاتها اللغوية حرمـة ، بل يتصـدى اصحـابهـا لتأويـل الـدين واحكـامـه على مقتضى عقـائـدهم الفـاسـدة التي تعتمـد المـزج والتلفيق بين مذاهب دينية مختلفة واحزاب سياسية واجتماعية متعددة وآراء فلسفية وعلمية متنوعة؛[٢٢٥]مما حمل الـعـلماء على الـقـول بأن الـتأويـل «الـبـاطـن» هو اول مراتـب الالحـاد[٢٢٦]وهكذا وعن طريق تأويل النصوص تأويلا يلائم اغراضهم ،

---

(٢٢٣) الرازي : المصدر نفسه « أساس التقديس في علم الكلام»ص١٨٢ ، ابن رشد ، فصل المقال ، ص ٥٨ .

(٢٢٤) الـرازي : المصـدر السـابق ، ص/١٨٢ الغـزالي ، المصـدر نفسه /١٨٨ وكتابه«فضائح الباطنية»حيث يقول«ان لنا معيارا في التأويل وهو ان مادل نظر العقـل ودليله على بطـلان ظاهـرة ، علمنا ضرورة ان المراد غير ذلك بشرط ان يكون اللفظ مناسبا له بطريقة التجوز والاستعارة ص ٥٣ . »

(٢٢٥) بنـدلي جوزي : «من تاريـخ الحـركـات الفكـريـة في الاسلام» دار الروائع بيروت ، ص ١٢ .

(٢٢٦) ويقـول البغـدادي : وكـان غرض البـاطنيـة الـدعـوة الى دين المجـوس بالتأويلات التي يتأولون عليها القرآن والسنة : انظر : الفرق بين الفرق ص/ ١٧٠ ، ويقـول ابن تيميـه عن البـاطنية عموما : يأخذون كلام الله ورسوله

زعموا ان كل آية ، بل كل كلمة في القرآن ، تخفي وراءها معنى باطنيا ولنا ان نتصور كيف سهل عليهم بعد ان سلموا بهذا المبدأ ان يجدوا دليلا من القرآن لكل قول من اقوالهم ونظرية من نظرياتهم أيا كانت[227] . وهكذا زعمت فرق الباطنية ان كل ظهور وكل مظهر له معنى داخلي مستور وحقيقة باطنية ، وهذه الحقيقة اسمى من الحقيقة الظاهرة ، اذ بفهمها يتقرر التقدم الروحي للمستجيب . اذن فالظاهر صَدَفَةٌ لابد من كسرها نهائيا ، الامر الذي يقوم به ويتمه التأويل وذلك بأن يعود بمعطيات الشريعة الى حقيقتها العرفانية التي هي فهم المعنى للتنزيل والشريعة . فاذا ماتصرف المستجيب وفق المعنى الروحي سقطت عنه الالتزامات التي تفرضها الشريعة[228] .

المعروف عند المسلمين ويتأولونه على امور يقرونها ويدعون انها علم الباطن انظر :- محمد باقر المجلس - رسالة في الاعتقادات والسير والسلوك حيث يقول ولانتؤ وله «النص الشرعي» بشيئ الا ماورد تأويله عن صاحب الشرع فأن اول الكفر والالحاد التصرف في النصوص الشرعية بالعقول الضعيفة وبالاهواء الردية .

(٢٢٧) نيكلسون « في التصوف الاسلامي وتاريخه»ص ٧٦ وراجع : كولدزيهر : مذاهب التفسير الاسلامي ، الفصل الخامس تفسير القرآن .

(٢٢٨) كوريان (هنري) : تاريخ الفلسفة الاسلامية ص/١٦٢ وراجع ايضا : كولدزيهر :«العقيدة والشريعة في الاسلام»ص/١٠٦ وما بعدها يقول الغزالي (فضائح الباطنية /ص ١١) وعرفوا بالباطنية لدعواهم ان لظواهر القرآن والاخبار بواطن تجرى في الظواهر مجرى اللب من القشرة . . . وغرضهم الاقصى ابطال الشرائع ، فانهم اذا أنتزعوا عن العقائد موجب الظواهر قدروا على الحكم بدعوى الباطن مايوجب الانسلاخ عن قواعد الدين .

وتأسيا على هذا المنهج الباطني وصدورا عنه اخذت النصيرية بتأويل الشرع وفق مقررات مذهبها التلفيقي ونظام دعوتها التي تعتمد التدرج والسرية والكتمان فزعمت ان عليا قد خصص بالتأويل وان محمدا خصص بالتنزيل واعتبار علي والنبي كالضوء من الضوء ، الا ان احدهما اسبق والثاني لاحق له ، ومن ثم تفضيل الباطن على الظاهر ، اي علي على النبي ، والولاية على النبوة وحملهم هذا الراي على وصف انفسهم بالمؤمنين والممتحنين واهل التوحيد وان يسموا الشيعة الاثنا عشرية بالشيعة الظاهرية والقشرية ، بل تجاسر بعض من ورد عن مواردهم على رمي الشيعة الاثنا عشرية بالكفر والردة لوقوفها عند ظواهر النصوص(٢٢٩) .

لقد أولت النصيرية جملة العبادات تأويلا باطنيا بعيدا عن الفهم العقلي ومنطق اللغة مما حمل «نولدكه» على وصفه بانه نسيج سقيم من الاكاذيب والجهالات(٢٣٠) . وهكذا قالت النصيرية ان الصلوات الخمس

---

(٢٢٩) انظر الشهرستاني :«الملل والنحل» ١٨٨/١ «تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل»- طبعة الحلبي ـ القاهرة وانظر ايضا : الشيبي «الفكر الشيعي» ص ١٣٠ ص ٢٤٠ .

(230) Noldeke Theodor: "Geschichte Oes Quran, Gottengeen," 1860, p. 29.

وانظر مقالة لامنس «زيارة الى الشيخ الاعلى للنصيرية الحيدرية» ص ١٥٢ حيث يقول « ومما جعلني اشك في النظام الديني للنصيرية ان كثيرا من طقوسهم وعباداتهم مبني على تشويه الآيات القرآنية ومسخها » وجاء في مقالة: الانتداب الفرنسي في سورية ولبنان المنشورة في مجلة"Islomologia - 1951" (الايطالية) ليس للقرآن عندهم اهمية كتلك التي يولونها لكتابهم المقدس الخاص بهم ، اعني كتاب المجموع ويقول ايفانو «المصدر السابق» ص ١٢٢ : لقد انتهى التأويل الباطني بالاحكام الشرعية الى ان تتحول الى

عبارة عن خمسة اسماء هي علي والحسن والحسين ومحسن وفاطمة وان ذكر هؤلاء الخمسة يغني عن الغسل من الجنابة والوضوء وبقية الصلاة وواجباتها وان الصوم هو حفظ السر لثلاثين رجلا تمثلهم ايام رمضان . وثلاثين امرأة تمثلهن ليالي رمضان واما الزكاة فهي رمز لسلمان الفارسي ، واما الحج فبقعة مساحتها اثنا عشر ميلا وان البيت العتيق رمز للاسم «سلمان الفارسي» والحجر الاسود رمز للمقداد بن عمرو والاشواط السبعة تمثيل للادوار السبع الكبرى لفيضان العالم عن الغيب المطلق واما الجهاد فهو صب اللعنات على الخصوم وافشاء السر[٢٣١] وهكذا اصبحنا لانستطيع ان نتبين في مذهبهم قواعد الاسلام واركانه وانتهى الامر حقيقة الى طمس معالم الاسلام وانحلال عقائده انحلالا تاماً[٢٣٢] .

← حطام من السخف الذي لاينطوي على معنى اذ صار كل حكم من احكام الشرع يمثل رمزا او تجسيدا لذات من الاشخاص ، وراجع الباكورة السليمانية ٣٧ عن سالسبري .

(٢٣١) تأويل العبادات على انها اسماء لاشخاص بدأته الفرق الغالية ، يقول البغدادي «تأولوا لكل ركن من اركان الشريعة تأويلا يورث تضليلا فزعموا أن معنى الصلاة موالاة امامهم والحج زيارته وادمان خدمته والمراد بالصوم الامساك عن افشاء سرهم بغير عهد ولا ميثاق» الفرق بين الفرق ، ص ٢٧٧ . ويقول الغزالي «فضائح الباطنية»/٥٥ ونحن نحكي من تأويلاتهم نبذة لتستدل بها على مخازيهم فقد قالوا : كل ماورد من الظواهر في التكاليف والحشر والنشر والامور الالهية فكلها امثلة ورموز الى باطن . وللوقوف على صور من هذه التأويلات عند اوائل الغلاة يراجع كتب الفرق والمقالات .

(٢٣٢) كولد زيهر : العقيدة والشريعة في الاسلام ص ٣٣٨ .

رابعا : عقيدة التناسخ ونفي البعث والعقاب والثواب :-

في التاريخ الديني والفلسفي ثمة افكار ثلاثة مترابطة ومتصلة اتصالا جدليا محكما لاانفصام فيه وهي : الاعتقاد بوجود روحاني سابق على البدن في هيئة نورانية مجردة مفارقة عن المادة ثم القول بالتناسخ ، اي انتقال الروح عن البدن المخصوص بعد الموت الى هياكل اخرى : انسية او حيوانية او نباتية او الى الجمادات . واخيرا قيام هذا التحول الدوري - او ماتسميه النصيرية - بالتجيل ، مقام المعاد الاخروي ، ومايلزم عنه من الغاء الجزاء والحساب على السلوك الانساني كما فصلت صورته الاديان السماوية المنزلة ، واعتبرته العقيدة الاسلامية باجماع اهل المذاهب الاصل الثالث من اصول الدين[٢٣٣] .

واوضح مايكون هذا الترابط الجدلي بين هذه الافكار هو مانراه عند الفلاسفة ، اصحاب المناهج العقلية القائمة على نسق واحد لاتفاوت فيه ولا اختلاف . اما في دائرة الفكر الديني فانا واجدون احيانا جماعات فصلت بين الفكرة الاولى واخواتها ، بدعوى ان القول بوجود روحاني

---

(٢٣٣) القول بالمعاد هو الاصل الثالث عند علماء العقيدة على اختلاف مذاهبهم ، ولهذا ايضا اجتمعت كلمتهم على وجوب تكفير من ينكره القائلين بالتناسخ على سبيل قيامه مقام المعاد : انظر الباقلاني : كتاب التمهيد ، امام الحرمين الجويني « الارشاد الى قواطع الادلة في الاعتقاد » ٣٧٢ ، الغزالي « فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة » ابن بابوية القمي «عقائد الشيعة الامامية»ص / ٨٥ العلامة الحلي « كشف المراد شرح تجريد الاعتقاد»ص / ٢٥٥ «القول بالتناسخ باطل ، ومن دان بالتناسخ فهو كافر ، لان في التناسخ ابطال الجنة والنار ».

سابق على البدن لايسوق على وجه الضرورة الى القول بالتناسخ ومن ثم انكار المعاد[٢٣٤] .

وعقيدة التناسخ قديمة في التاريخ ، بل هي من الافكار التي سادت المذاهب الدينية والفلسفية التي ظهرت في العالم القديم وفي منطقة حضارية واسعة تمتد من آثينا الى حدود الهند ، فهي سمة مشتركة بين ديانات العالم القديم من الاورفية والدايونيسية الى ديانة مصر القديمة والى البوذية والبرهمية ، يقول الشهرستاني : «كان التناسخ مقالة في كل ملة من المجوس والمزدكية[٢٣٥] والهند البرهمية ، ومن الفلاسفة والصابئة[٢٣٦]»ويقول البغدادي : ان القائلين بالتناسخ اصناف : صنف من الفلاسفة وصنف من السمنية[٢٣٧]وهذان الصنفان كانا قبل دولة

---

(٢٣٤) انظر البزدوي « اصول الدين » ص / ٢١١ ، ابن القيم : كتاب الروح الفصل /١٨ص/٢٤٨ وانظر للمقارنة والرد على الدعوى : الفخر الرازي التفسير ، ٤/ ٣٠٩ .

(٢٣٥) المزدكية : من المذاهب الثنوية التي شاعت في بلاد فارس ، وهي تنسب الى مزدك «٤٨٧ ـ ٥٢٨م» الذي هدف الى اصلاح التنظيمات السياسية والاجتماعية للفرس في زمانه ، ورأى ان لاصلاح الا بشيوعية المال والنساء ، فأحل النساء واباح الاموال ، وجعلهما شركة شائعة بين الناس جميعا .
راجع النشار « نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام»جـ١ص ١٨٥ الشهرستاني الملل والنحل جـ٢ ص ٥٤ .

(٢٣٦) الشهرستاني « الملل والنحل»جـ ٢ ص ١٢ « الكلام على فرقة الكاملية» .

(٢٣٧) السمنية : اطلق الاسلاميون هذا الاسم على الهنادكة الذين استمسكوا بالهندوكية وقاوموا الاسلام في بلاد السند ، ولعل التسمية جاءت من سما اسم قبيلة راجيوتية في السند تمسكت بالهندوكية . والهندوكية من اقدم

الاسلام . وصنفان اخران ظهرا في دولة الاسلام ، احدهما من جملة القدرية[٢٣٨] والآخر من جملة الفرق الغالية ،[٢٣٩] ولهذا فقد قام الخلاف بين المؤرخين في اصل منشأها ابتداء فذهب هيرودتس الى « ان المصريين القدماء كانوا اول القائلين بها ، اذ اعتقدوا ان النفس وهي خالدة تنتقل بعد الموت الى هيكل حيواني يخلق لتوه ، ثم تبقى الروح متنقلة في الهياكل المختلفة الى ان تكون في ابدان كل المخلوقات التي تسكن الارض والماء والسماء ، ثم تدخل مجددا بعد عملية التطهر هذه ، في هيكل بشري حيث تولد ولادة جديدة »[٢٤٠] .

← الاديان وهي تقوم على تعدد الالهة ، وتناسخ الارواح ، وقانون الجزاء وتدعو الى الزهد ، وترتكز على الايمان بكتب «الفيدا» راجع الدكتور احمد شلبي / مقارنة الاديان جـ ٤ «اديان الهند» ص ٤٢ ـ ٤٣ .

(٢٣٨) القدرية : هم الذين ينفون القدر عن الله ويثبتونه للانسان . اي يقولون بحرية الانسان واختياره . ومن اشهرهم : معبد الجهني ، وغيلان الدمشقي وقد تبنى رأيهم ـ بعد ذلك ـ المعتزلة ، ومن اوائلهم : واصل بن عطاء «٨٠ ـ ١٣١ هـ» وعمرو بن عبيد (ت ١٤٢ هـ) .
ويقابل القدرية الجبرية ، وهم الذين ذهبوا الى انه ليس للانسان قدرة ولا ارادة ولا اختيار ، وانما هو مجبور في افعاله ، والله هو الذي يخلق فيه الافعال كما يخلقها في الحيوان والجماد ، ونسبتها الى الانسان من قبيل المجاز ، ومن اوائل القائلين بذلك : الجعد بن درهم ، والجهم بن صفوان .

(٢٣٩) البغدادي « الفرق بين الفرق» ص ١٦٢ وما بعدها .

(240) Herodotus : The History p.756 (The Great Books of The Western World .

وانظر ايضا : دائرة معارف الدين والاخلاق جـ ١٢ ص ٤٣٢
(E.R.E.) مادة "Transmigration"

امـا في الفكـر الهنـدي القديـم فأن القول بالتناسخ ركن ثابت واصيل في كتب اليـوبـانيشـاد ـ «Upanishad» فبنـاء على ماورد فيها من التعاليم لابد للانســان ـ الـذي يستهدف تحقيق ذاته وبلوغ اعلى مرتبه من الكمال وهي مرتبـة الأتمـان «Atman» والـوصـول الى حقيقـة انه هووالله والاشياء حقيقة واحـدة ـ من بذل جهـد روحي متواصل شاق وطويل مما لايمكن انجازه في حيـاة واحـدة او اكثـر ، نظـرا لان كل فرد معـرض للخطيئة ، ولكي يحقق الانسان كماله لابد ان يمر بعدد عديد من الحيوانات فكانت نظرية التناسخ التي تزعم ان الانســان يولـد بعـد كل موت حيـاة جديـدة ، وتستمـر هذه الـولادات في سلسلة من المـوت والـولادة ولاتنتهي الدورة الا بتحقيق كمال الذات ، وفي كل ولادة جديدة يتشكل المرء في صورة حياة معينة تتوافق مع اعماله السابقة ، فكانت نظرية الكارما ـ «Karma» التي مؤداها : ان افعال الانسـان هي التي تحدد نوع حيـاتـه المستقبليـة ، فأن كانت افعـاله فاضلة خيرة ، كانت حيـاتـه الآتيـة أفضـل من حياته السابقة ، وان كانت أفعاله شريـرة كانت حيـاتـه التـاليـة احـط من حيـاتـه السابقة ، لذا كان تناسخ الارواح في اجسام البشر واجسام الحيوان وسيقان النبات ، حسب الكارما اي حسب الافعال[٢٤١] .

اما في الفكر اليوناني القديم فأن القول بالتناسخ يظهر بوضوح وصراحة في الـديـانـة الـديـونيسيـة ـ Dionysiacian «نسبة الى إله السكر والخمر عند الاغـريق ـ «Dionysus» اذ نجـد في تعـاليمهـا القـول بأن عجلة الـولادات

---

(٢٤١) عبـد العـزيـز الـزكي «عقيدة تناسخ الارواح» مجلة الثقافة العدد ٧٠٢ يونيو ١٩٤٥ ، وقارن : ماسون (بول اورسيل) «فلسفة الشرق» ترجمة الدكتور محمد يوسف موسى ص ١٤٧ .

لاتسير الى ما لانهاية ، بل تنقطع في نهاية كل عشرة آلاف سنة شمسية ، وتسمى بالسنة الكبرى وعندها تتطهر الروح من الشوائب والكدر وتستعيد طبيعتها الالهية ، وتحيا حياة روحية مقدسة ، ثم تبدأ سنة كبرى ثانية ، لأن دورة الزمان بحسب اعتقادهم ـ لانهاية لها ويولد عام جديد ، وذهب اتباع الديانةالاورفيه «Orphicism»(٢٤٢) الى القول بالتناسخ والى ان الروح في الاخرة قد تنعم نعيما ابديا ، وقد تشقى بعذاب مقيم . وموقوت حسب نوع الحياة التي قضاها صاحبها في الدنيا(٢٤٣) وعن الديانتين الديونيسية والاورفية سرت العقيدة الى الفكر الفلسفي اليوناني حيث أرتبطت باسماء

---

(٢٤٢) اورفيوس : شخصية مجهولة ، ولعله شخصية اسطورية ، وقيل انه عاش قبل هوميروس ، الا انه لم يرد له ذكر في اشعاره التي خلد فيها ارباب اليونان ، وكذلك لم يرد له ذكر في كتاب هسيود . والاورفيه منهج يشبه الرهبنة وقد سمى المنتظمون فيها انفسهم «اورفيكوى» اي تابعي نصائح وارشادات اورفيوس وعبدوا الاله «دايونيسيوس زاكريوس» وشجعت الدولة اليونانية هذه , العبادة ، وصار دايونيسيوس زاكريوس مشرفا على تطهير النفوس في هذه الدنيا ومنحها ماتستحق من ثواب او عقاب .
راجع : الدكتور سامي سعيد الاحمد / الاله زووس ، ص ١٨ ، مطبعة الجامعة بغداد ١٩٧٠ م .

(٢٤٣) عن الديونيسية والاورفيه انظر :
Zeller,E., "Out lines of the History of Greek philosophy," London,1963,p.13.
Burnet,J.,"Early Greek philosophy,Fourth edition, London,1963,p.81.
Cornford,F.D.M.,From Religion to philosophy,N.Y.,1957,p.195.

مشاهير الفلاسفة من امثال فيثاغورس وافلاطون وقد حكى افلاطون في محاوراته عن اعتقاده الجازم بالتناسخ ، فجاء في محاورته المعروفة عن النفس الانسانية «فيدون» قوله على لسان استاذه سقراط لسامعيه اعتقد أن ارواح اولئك الذين نهجوا سبل الشراهة والطيش اولئك الذين لم يقيموا الدليل على كبح انفسهم ، تدخل نفوسهم ـ بالطبع ـ في صورة الحمير او مايشبهها من حيوانات . . اما اولئك الذين فضلوا الظلم والطغيان والسلب فأنهم يعودون في صورة ذئاب وصقر وحدأة . . اما اولئك الذين مارسوا الفضيلة الاجتماعية والمدنية ، وهي مانسميه بالاعتدال والعدل والتي تنشأ من التعود والممارسة لعمل خال من الفلسفة والعقل معا ، قل بأي معنى يكون اولئك اكثر سعادة ؟ ذلك انه من الطبيعي جدا ان تكون عودتهم بطريقة ملائمة نحو نوع حيواني ما ، يكون اجتماعيا كالنحل او الزنابير والنمل(٢٤٤) .

وبعد حركة الفتوحات العربية الاسلامية ومانتج عنها من اختلاط بين الامم والشعوب وامتزاج وتفاعل بين الآراء والمعتقدات سرت هذه العقيدة الى دائرة الفكر العربي الاسلامي ، وكانت مدارس الغلاة التلفيقية تمثل هنا ايضا ـ البؤر الرئيسة التي نبتت فيها هذه العقيدة .

فالمعمرية ، وهم نوع من الخطابية ، كانوا ينكرون القيامة ويقولون بتناسخ الأرواح ، والجناحية : كانت تزعم ان الارواح تناسخت من

---

(244) Plato phaedo 233 B,Timaeus,453 A

ومعروف ان الصيغة المتأخرة للافلاطونية التي تسمى بالافلاطونية المحدثة التي مثلت الجمع والتوفيق بين التعاليم الدينية وافلاطون قد بشرت هي الاخرى بالتناسخ على لسان اكبر مؤسسيها افلوطين : انظر التاسوعات «Enneads» ٣ ـ ٤ ـ ٣ .

شخص الى شخص ، وان الثواب والعقاب في هذه الاشخاص اما اشخاص بني آدم ، واما اشخاص الحيوانات[245] .

وقد لخص لنا النوبختي هذا كله فقال : ومقتضى مذهب هؤلاء الغلاة : ان لادار الا الدنيا ، وان القيامة انما هي خروج الروح من بدن ودخولها في بدن آخر غيره ، ان خيرا فخير وان شرا فشر ، وانهم مسرورون في هذه الابدان ، اومعذبون فيها ، والابدان هي الجنات وهي النار ، وانهم منعمون في الاجسام الحسنة الانسية المنعمة ، ومعذبون في الاجسام الردية المشوهة من كلاب وقردة وخنازير وحيات وعقارب وخنافس وجعلان ، محولون من بدن الى بدن ، معذبون فيها هكذا ابد الأبد . فهي جنتهم ونارهم ، لاقيامة ولا بعث ولا جنة ولا نار[246]

ولهذا فقد اخرج علماء المذاهب الاسلامية القائلين بالتناسخ من دائرة الاسلام ، وحكموا عليهم بالكفر باعتبار ان العقيدة تصطدم مع ركن ثابت عرف من الدين بالضرورة الا وهو الايمان بالمعاد الاخروي الثابت بنصوص قطعية تفيد اليقين[247] .

---

(٢٤٥) الاشعري : مقالات الاسلاميين جـ ١ ص ٦٧ ـ ٧٧ ، البغدادي الفرق بين الفرق ص ١٦٢ ومابعدها ، الشهرستاني ،«الملل والنحل»ص ٣٢ ـ ٣٥

(٢٤٦) النوبختي «فرق الشيعة»ص ٣٢ ـ ٣٥ .

(٢٤٧) الاشعري مقالات الاسلاميين جـ ١ ص ٦٦ ، الشهرستاني«الملل والنحل» جـ ١ ص ٢٠٣ ، البغدادي«الفرق بين الفرق»ص ١٤٥ وما بعدها . وقد كفر المتكلم اليهودي المعروف سعديا الفيومي القائلين بالتناسخ من اليهود «الامانات والاعتقادات» ص ٢٠٨» كذا اجمعت المجامع الكنسية المسيحية المنعقدة في ليون ١٢٧٦ م وفلورنسه ١٤٣٩ م على ادانة القائلين بالتناسخ وتكفيرهم انظر :

The Oxford Dictionary of the Christian Church, the Art TRANSMIGRATION

وبقدر مايتعلق الامر بالنصيرية وهي - كما اوضحنا - تمثل في اكثر من جهة وجانب امتدادا تاريخيا لافكار الغلاة ، فقد جعلت من عقيدة التناسخ محورا ثابتا ، وقاعدة اصيلة في بنية فكرها الديني ونظامها الاجتماعي معا ، اجمع على ذلك الاقدمون واكدته مباحث المستشرقين سواء بسواء ، ومما يدل على ثبات النصيرية على هذه العقيدة منذ نشأتها ، الرد الذي الفه حمزة الدرزي وسماه «الرسالة الدامغة» في نقض صورة التناسخ عند النصيرية[٢٤٨] ، والتناسخ عند النصيرية ويطلقون عليه «التكنيس» او «التجيل» يتخذ دورات سباعية فيضية في صورة جول هابط مماثلة لدرجات الجحيم ، وفيها هبطت الارواح من عالم الازل النوراني الى الارض في مراتب متعاقبة هي : الفسخ ، النسخ ، المسخ ، الوسخ ، الرسخ ، القش ، ثم القشايش[٢٤٩] ، او صورة تحول صاعد بأتجاه التطهير الروحاني والعودة من عالم «القمصان البشرية اللحمية» الى عالم الكواكب والنجوم ، ومن هنا جاء اعتقادهم بأن «المجرة» تمثل مجموع ارواح ابناء

---

(٢٤٨) ماسنيون ، دائرة المعارف الاسلامية « مادة النصيرية».

(٢٤٩) التناسخ : انتقال الروح من جسم الى جسم وقد يكون الجسم الثاني جسم انسان ، اوحيوان ، اونبات ، اوجماد ، ويبقى الانسان يتنقل من جسم الى جسم سبع مرات ، وكل مرة بمرتبة وهي « السبع مراتب العالم السفلي البشري» «والنسخ انتقال الروح من انسان الى انسان ، والفسخ انتقالها الى نبات ، والمسخ الى حيوان ، والوسخ الى ادران واوساخ ، والرسخ الى نبات قصير ، والقش الى نبات يابس ، والقشاش الى ارض بور ، والقشاش ايضا قد يعني ، البق والذباب والنمل وما يشبه ذلك» .
راجع ابوموسى الحريري « العلويون النصيريون» ص ٧١ - ٧٢ بيروت ١٩٨٠ شتروتمان / تناسخ الارواح عند النصيرية :-

الطـائفـة الذين انتهوا الى السماء بعد سلسلة تطهرية تعاقبية وصاعدة وعبر عملية تتخذ صورة التناسخ الدوري(٢٥٠) واخيرا نسرد ادناه نصوصا منقولة عن «الباكورة السليمانية» تؤ يد ماذكرناه في هذا الخصوص .

الفصل الرابع ، في الهبطة : ان كل طوائف النصير ية يعتقدون انهم كانوا في البدء قبل كون العالم انوارا مضيئة ، وكواكب نورانية ، وكانوا يفصلون بين الطاعة والمعصية لايأكلون ولايشربون ولا يغيطون .

الفصـل السـادس عقـائـد النصير ية : ان النصير ية كافة تعتقد ان شرفاء المسلمـين الـراسخـين في العلم تحل ارواحهم في هيـاكـل الحمير ، وعلماء النصـاري في اجسـام الخنـازيـر ، وعلماء اليهـود في هيـاكـل القرود ، واما الاشـــرار من طائفتهم فتحـــول ارواحهم في المـواشي التي تؤكـل ، ولكن الخاصة المتشككين في الديانة فبعد موتهم يصير ون قرودا .

الفصـــل السـابـع : في كشف اسـرار النصـير يـة : متى خلصنـا من هذه الكثـايف البشـريـة ترتفـع ارواحنـا الى مابين تلك الكواكب المتلاصقة في بعضهـا التي هي درب التبـان وتلبس هيـاكـل نورانيـة وحينئـذ نرى السماء

---

(٢٥٠) للوقوف على آراء المستشرقين انظر :ـ Incarnation

Margret Smith. "The Doctrine of Re - Incation in Islamic Literature," In the Aryan Path Vol: IV, No. I. Bombay, 1933, pp. 33.

George White. Some Non -ConfirmingTurks, op. cit., p.338.

Springett,op.cit.p.143.

Rene Basset : The Article "Nusairiya in E.R.E.

Strothmann,R.,"Seelen Wanderung Beiden Nusairi" Oriens - 12 (1952) ;PP.89 - 114.

صفـراء ، وان شككنـا فيهـا في هذه الحيـاة الفـانية تحل ارواحنا في اجسام المسوخية وليس لنا نجاة الى ابدالابدين[٢٥١] .

خامسا : التعاليم السرية للنصيرية

تشترك النصيرية مع سائر الطوائف الباطنية التي عاصرتها او افادت منها في العمـل من اجـل ضرب السيـادة العـربية التي كانت تعتمد على «الدين والادب والعـاطفة القومية » وهكذا نظمت النصيرية جمعيتها السرية على غرار البـاطنيـة لتعمـل على جبهـات ثلاث معـا وفي آن واحد ، ففي دائرة العقيـدة الـدينيـة بشـرت بالالحـاد والـزنـدقة والاباحية ودعت الى اسقاط التكـاليف الشـرعيـة ، وفي حقـل اللغة والادب : ناصرت الشعوبية التي بذلت ماوسعها الجهد من اجل تشويه المآثر العربية والانتقاص من شأن العــرب[٢٥٢] . وفي ميــدان العمـل السيـاسي شاركت حركـات التمـرد والعصيان المسلحة بقصد اضعاف السلطة السياسية للدولة العربية ، وقد اعتمـدت النصـيرية لتحقيق هذه الاغراض مجتمعة وسيلة العمل السري الذي يمكن تلخيص اهم معالمه فيما يأتي :-

اولا : تلقـين معـارف غامضـة تتميـز بالسـرية والخفاء ، وتعتمد الخطاب بالـرمـوز والاشـارات وتـرتكـز على التـدرج في المراتب تبعا للنضج الفكـري والتقـدم الـروحي للشخص المـراد استـدراجه وادخاله في الجـماعة السرية ، وهكذا فما يطرح على المبتدى الناشئ يختلف عما

---

(٢٥١) سليمان الأدني ، المصدر السابق ، ص ١١٩ .

(٢٥٢) عن مشاريع الشعوبية وخططها الهدمية في دائرتي الادب والتاريخ ، انظر :
Goldziher, I., Mohommednische Studien" Eng Tr.pp. 147 - 165.

يلقن به المتدرج السالك ، وما يعلن على هؤلاء ويباح لهم يختلف جوهريا عما احاط به من بلغ درجة الرشد والكمال في التعاليم السري ، فلكل مرتبة رجالها ، ولكل صنف من اصناف الرجال معارف مخصوصة ، ومن هنا قسمت المراتب بين ابناء الجمعية السرية تبعا لسني العمر ومراحل النضج الفكري والتقدم الروحي واطواره(٢٥٣)

وهذه المراتب تتوافق وتنسجم مع مراتب نظرية الفيض الجدلي الصاعد في مقامات «التطهر» بأتجاه اللحاق بالعالم النوراني الاكبر بعد «الخلاص» من القمصان والهياكل البشرية ، وسلسلة هذه المراتب هي(٢٥٤) :

---

(٢٥٣) انظر : في تاريخ وتطور هذه الجمعيات السرية ورتبها : دوزي « تاريخ اسلاميت » الترجمة التركية ، ص ٣٣٨ ، وبندلي جوزي ، المصدر السابق ، ص ١٢٠ - ١٢٢ .

Lewis,B.,"The Origins of Ismailism" Ivanow, W. "The Alleged Founder of Ismailism" p.33. De Goe JE: Sur les Carmates de Bahrein.

(٢٥٤) كان عدد الرتب الباطنية في اول الامر سبعا لما لهذا العدد عندهم من قدسية وسر - ثم اصبح تسعا ، وكان لكل درجة اسم يلائم العلم الذي يتلقاه المدعو في تلك الدرجة وهذه الدرجات هي : الزرق ، والتفرس ، ثم التأنيس ، ثم التشكيك ، ثم التعليق ثم الربط ، ثم التدليس ، ثم التلبيس ، ثم الخلع ، ثم السلخ ، الغزالي « فضائح الباطنية» ص ٢١ ومابعدها ، والبغدادي « الفرق بين الفرق» ص ٢٧٨ ، اذ يقول «والباطنية لايظهرون دينهم الا لمن كان فيهم بعد احلافهم اياه على ان لايذكر اسرارهم لغيره .»

الامـام ، والنقيب ، والنجيب ، وتبـدأ هذه المـراتب بعقد «الزواج الـــروحي» وفيـه كتـاب وطـلاق معلق وعهـد وميثـاق بعـدم كشف الاسـرار كل ذلـك خلال جلسات اجتماعية دينية ثلاث ، كما سيمر بنا بعد قليل .

ثانيـا : يسبق هذا التلقـين السري المتدرج ويمهد له بدراسة نفسية شاملة تهدف الى تحديـد مشـاعـر المـراد دعـوته والوقوف على ميوله ونوازعه ورغباته كي«لاتلقى البذرة في ارض سبخة»(٢٥٥) .

حتى اذا اطمأن القـائمـون على شؤ ون الـدعوة السرية الى نفسية المدعو وتحققوا من استجابته ، اقيم له حفل مخصوص ، يتخذ عند النصـير يـة صيغـة مايصطلحـو ن عليـه بـ «نكـاح السـماع» تتخلله طقـوس دينيـة ومراسيم اجتماعية وتقاليد ذات مدلولات رمزية يقدم فيهـا المـدعـومن قبـل النقيب والنجيب الى الامـام وسط حشد من الحـاضرين ويشرب فيه الخمر خلال جلسات متتالية متتابعة تفصل

---

(٢٥٥) يقـول البغـدادي ويتابعه الغزالي في هذا الصدد : ان من شرط الداعي الى مذهبهم ان يكـون عارفـا بالـوجـوه التي تدعى بها الاصنـاف فليست دعـوة الاصنـاف من وجـه واحـد ، بل لكل صنف من الناس وجه يدعى منه الى مذهب البـاطن ويعلق بنـدلي جوزي على هذا القـول ، قائـلا : كانـوا «البـاطنيـة» يخاطبون كلا بلسانه وبما يوافق ميوله وعواطفه ودرجة نموه العقلي فربـما يخاطبـون الفـارسي بغـير ماكـانـوا يخاطبون به العربي ، ويصطادون المسلم بخـلاف ماكـانـوا يصطـادون به غير المسلم ، ويكاشفون الفلاسفة واهل العلم والطبقة الراقية من الناس بغير ماكانوا يدعون به الطبقة السفلى وهلم جرا المصدر نفسه ، ص ١٣٤ .
وعرف عن النصيرية قولهم : من اذاع لنا سرا اذاقة الله حر الحديد .

بينهـا فترات زمـانيـة محددة ، تعـرف عندهم على التتابع بـ «جمعية المشـورة» و «جمعية المليك» و«جمعية القبول» في الجماعة ، واثناء هذه الحفـلات المتتـابعـة يؤخـذ من المـدعـو العهد والميثاق والقسم مرارا وتكـرارا على كتـمان السـر يتكفله ويـرجـو قبوله مجمع من اثني عشر كفيـلا ، يتعهـدون باحضـاره ان افشى السـر كي يقطـع تقطيعـا ويشرب من دمه ان هو خان العهد والميثاق وخرج عن امر الجماعة(٢٥٦) .

---

(٢٥٦) انظـر في تفصيـلات هذه المـراسيم : البـاكـورة السليمانية ص ١ ـ ٧ وقارن ايضا : سالسبري ، مقالته الآنفة الذكر : المقدمة ، واوضح ان صورة هذا العهد والميثاق هي بعينها التي كانت القرامطة وسائر فرق الباطنية تمارسها في تنظيـمات جماعتهـا السـريـة ، انظر : الغزالي : فضائح الباطنية ص ٢٨ ، البغـدادي ، الفـرق بين الفرق ص ٢٧٨ وما بعدها . وقد تأثرت الجماعات الماسونية السرية بهذه الصيغ واخذت بها في تنظيم محافلها المرتبة على مراتب متدرجة بلغت ثلاثا وثلاثين رتبة . . واعضاء المراتب الدنيا لايقفون الا على المبـادئ السطحيـة القشـريـة الظـاهـرة للمحفـل ، امـا التعـاليم السياسية والاجتـماعيـة القصـوى ، فلا يقف على سرهـا الا المتقـدمـون في سلك العضـويـة ، وهكذا يتحـول الاعضاء العاديون الى ادوات صماء وجساد لاحراك لها على ايدي الدعات الخبيرين ، تماما كما كان الحال مع الجماعات البـاطنيـة ، لمزيـد من التفصيـلات والوقوف على اوجه التشابه والمماثله بيبن الباطنة والماسونية انظر : كولدزيهر : العقيدة والشريعة في الاسلام ص ٢٣٩ وما بعدها ، بندلي جوزي ، المصدر السابق ص ١٢٤ وما بعدها ، وعن تأثر الجماعات الماسونية في تركية في تنظيم محافلهم بما عرف عند النصيرية العلوية من «نكاح السماع» انظر : «بالتركية»

Mehmeet Eroz: Turkiyede Al Evilik - Beltasilik,184

←

ثالثا :-

تعتمد النصيرية شأنها في ذلك شأن الباطنية عامة اساليب الشعبذة والكهانة ، واظهار المخاريف ، والاشتغال بالطلاسم والنارنجات في تلقين معارفها السرية المستترة والغامضة وهو الأمر الذي باشرته الجماعات الهدمية ابتداءً بالخطابية ومرورا بالشلمغانية والمقنعية والحلاجية وانتهاء - بالنصيرية والقزلباشية والبكتاشية ، وبقدر مايكون الاستغراق في السرية والغموض والكتمان يكون الانفصام والانفصال عن العقلانية ، مما ادى بتعاليم هذه الجماعات الى ان تتخذ صورة ديانة شعبية تكتنفها الاسطورة والخرافة ، وتأليه البشر مما لايبقى من الاسلام سوى مظهره الخارجي القشري .
فالعقيدة النصيرية - كما اوضحنا سابقا - فيها عناصر من الطوطمية كتحريم اكل او صيد حيوانات معينة[٢٥٧] . وفيها ميل واضح الى عبادة الكواكب والنجوم والشمس والقمر ، وفيها سحر وكهانة وطقوس ، ومزارات واعياد تختص بها شأنها في ذلك شأن الجماعات البدائية الساذجة[٢٥٨] .

← وأيضا : Doc - Dr.Bedri Noyan.(Dedebada)Aydin - Turquie - :
Bektasilik Ve Mascnluk, Strasburg Turkoloyi
Kongrresine. 1970
Mehmet Avif : Binbir Hadis, Istanbul,1966 (pp.377 - 78)

(٢٥٧) منها : الارانب والغزلان والنوق . انظر : رشيد تانقوت : النصيريون والنصيرية ص ٣٥ .

(٢٥٨) ثلاثة رسائل نصيرية :
Catafago. Von.j:Die Drei Messen Der Nossairier
Z.D.M.G. 1948. PP. 388 - 94 .

رابعاً :-

ان الشعـور بالمهـانـة والاحتقـار والعزلة والاختناق الاجتماعي ، وخيبـة الامـل ، والصغـار الـذي تولـد عند النصيرية بسبب وقوف الاجماع الاسـلامي منهـا موقف الـرفض القـاطـع قد خلق عندهم شعـورا عميقـاً بالنقص ، وهـذا الشعـور سمـة مشـتركـة بين تلك الطـوائف ويعمهـا جميعـاً ، وقـد ارادت ان تتغلب عليه عبر وسائل تعـويضيـه ذات طبيعة سلبية اتخذت تارة صورة الاستجابة التلقائية المباشرة لكل مغامرة سياسية يخوضها دعي من الطامعين فتراهم مرة ينـاصـرون التتـار واخـرى يتـابعون الصليبيين في غزواتهم ، وثالثة يقفـون صفـاً واحـداً مع سلطات الانتداب الفرنسي ، وتارة صورة الاستعاضة عن الشعور بالنقص بسلوك مناقض له بقصد تجاوزه .

ومن هنـا تولـد عنـدهم الشعـور الكـاذب بالعظمـة والتعـالي والكبرياء ، وادعاء الخصوصية ، ولهذا اسموا انفسهم بـ «المؤمنين» و«المـوحـدين» و«ملح الارض» و«الممتحنين» وكانت النتيجة المنطقية لهذا الشعور المركب من النقص والتعالي ان اتخذت النصيرية صورة الطائفة المنبوذة «Caste» بالمعنى الاصطلاحي [٢٥٩] .
فظلت حبيسة همومها وافكارها وما استطاعت ان تتوافق فتنسجم مع الجماعة الاسلامية .

---

(٢٥٩) انظر :
Gordon, W.All Port: "The Nature of prejudice" Anchor Books, 1958, Par VI: "The Dynamics of Prejudice."

الفصل الخامس

التغلغل في المؤسستين العسكرية والسياسية



المؤسسة العسكرية :-

ادركت الطائفة النصيرية في اطار طبيعتها المغلقة ونسبتها العددية وامكاناتها المحدودة وافتقارها للدور التاريخي صعوبة تكوين ايديولوجي مستقل بها يعبر عن اهدافها وطموحاتها الباطنية في ضوء الواقع العربي السوري ، اذ ان هذه العوامل الموضوعية والذاتية تشكل حاجزاً مانعاً يحول دون تحقيق ماتصبو اليه هذه الطائفة من اهداف وتوجهات ، وبأزاء هذه الحقائق لم يبق للطائفة النصيرية الا ان تلجأ الى استخدام اساليب وأغطية معينة تعينها على تحقيق قدر من التغلغل وعلى نحو متدرج في مؤسسات الدولة المختلفة والتنظيمات السياسية ، لذا سعت في البحث عن دور لها يدفع بها الى تحقيق قدر من المشاركة في السلطة عبر مؤسساتها المختلفة وعلى امل ان تتاح لها الفرص مستقبلا للمساهمة في صنع القرار السياسي للدولة والتأثير في اتجاهاتها الايديولوجية بما ينسجم واهدافها وتطلعاتها ، ولم يكن مثل هذا الدور الذي حاولت الطائفة من خلاله تحقيق اهدافها يتم بمعزل عن الدعم الخارجي بل كان تعبيرا واقعيا عن الستراتيجية الفرنسية في المنطقة ، فعلى الصعيد العسكري كانت القوات المسلحة المؤسسة الرئيسة التي سعت الطائفة الى التمركز فيها ساعدها في ذلك التوجه الفرنسي نفسه . فخلال فترة الانتداب الفرنسي انعكست السياسة الفرنسية التي كانت قائمة على مبدأ «فرق تسد» على هيكلية وطبيعة القوات المسلحة ، فمن جهة فضل الفرنسيون وبشكل خاص تجنيد ابناء الطائفة النصيرية[٢٦٠] ، اذ تبنت سياسة التجنيد الفرنسية تقليدا قائماً

---

(٢٦٠) جاء في مذكرة موجهة من وزير الحربية - رئاسة اركان الجيش - قسم ماوراء ←

على تجنيد ابناء الاقليات من الافراد المتطوعين اولاً ومن ثم الضباط من ابناء العشائر الموجودة في اماكن بعيدة عن مراكز المدن وثانيا وبخاصة الطوائف ذات التطلعات الاستقلالية[261] وبذلك شكلت فرنسا الفصائل الخاصة من ابناء الطائفة النصيرية وغيرهم من الاقليات والتي اصبحت تعرف فيها بعد عام ١٩٣٢ «بفرق الشرق الخاصة» وكان لرفض الأسر العربية المسلمة ، التي تزعمت الحركة القومية المناهضة للاحتلال الفرنسي ارسال ابنائها للانخراط في جيش اعتبروه اداة للمصالح الفرنسية[262] ، اثر مباشر لوجود تمثيل قوى لأبناء الطائفة النصيرية في الجيش وبخاصة

← البحار الى وزير الشؤون الخارجية الفرنسي «يجب ان لاننسى ان النصيريين هم من الاقوام التي تمتهن الحرب في الدول الخاضعة للانتداب الفرنسي ولقد جندنا منهم افضل عناصر القوات الخاصة وان ضم «الشعب» النصيري الى سوريا سيجردنا من اسناد ممتاز . . . لقد كان من المتفق عليه ان القوات الفرنسية التي سترابط في المشرق ـ الليفانت ـ بعد توقيع الاتفاقية الفرنسية السورية من الممكن ان تضم عناصر محلية وبصفة خاصة من النصيريين» . للمزيد انظر سجلات وزارة الخارجية الفرنسية الملف رقم ٤١٩ ـ رقم الوثيقة ٢٦١٩ في ١٠/٤/١٩٣٥ .

(٢٦١) في ظل الانتداب الفرنسي على سورية كانت هناك عملية تحريض متعمدة للولاءات الطائفية لقمع حركة التحرر العربية وتشجيع الاتجاهات الانفصالية والخصوصيات المذهبية للاقليات من خلال منح الاستقلال الذاتي للمناطق التي تشكل فيها هذه الاقليات اغلبية سكانية محلية ، وكجزء من هذه السياسة كان لأقليم اللاذقية ذي الاغلبية المحلية حكومة خاصة به ، اذ كان يتمتع بأستقلال ذاتي ورسمي عن الحكومة المركزية في ظل الانتداب» .

Van Dam,op.cit.,p.18.

(262) Gubser, op. cit., p. 40.

على صعيد الرتب الصغيرة خلال فترة الانتداب الفرنسي ، كما استخدم الفـرنسيـون ابنـاء الاقليـات مخبر ين وقـوات ملحقـة اضـافيـة في قمـع الانتفاضات الوطنية(٢٦٣)وفضلوا ابناء الطائفة النصير ية ايضا في التعيينات العامة حتى على اعلى المستويات ، فكان محصلة التدخل الفرنسي تعزيز مكانة الطائفة التي اصبح لها دور متميز في ظل الانتداب الفرنسي ليس على الصعيد العسكري فحسب وانما على صعيد بعض مؤسسات الدولة ، اذ وثق الفرنسيون علاقتهم بها مما عزز دور الطائفة كوحدة سياسية تسعى الى تحقيق اهدافها وطموحاتها من ناحية والمخطط الفرنسي من ناحية اخرى .

لقـد اتخذت الحكومة السورية بعد الاستقلال جملة من الخطوات كانت تهدف من ورائها الى التقليل من التمثيل القوي للاقليات في مجلس النواب تمهيـدا لألغـائـه ، ذلـك التمثيـل الذي تمتعت به الاقلية النصير ية بصورة واضحـة في ظل الانتـداب الفـرنسي ، هذا بالاضـافـة الى الغاء الحكومة السورية بعض السلطات القضائية والخاصة بأمور الاحوال الشخصية التي كانت السلطات الفرنسية قد منحتها للنصير يين ، لذا فأن الدولة السورية الجـديـدة عملت بعـد الاستقـلال على ثلاثة محاور اساسية بأتجاه الحد من الـدور الطـائفي للنصـير يين اولها تمثل في حاجة الدولة الجديدة الى تثبيت فاعليتهـا وفـرض سلطتهـا المـركـزيـة مما استـوجب اخضـاع الاتجـاهـات الانفصـاليـة للطـائفـة النصير ية التي تهدف الى العودة لصفات الاسلاف وثـانيهـا تمثـل في تأكيـد التـوجـه القومي للدولة السورية التي يفترض فيها القضـاء على التطلعـات والـروح الانفصالية المدعومة من الخارج للحفاظ

---

(263) Petran, Tabitha, "Syria A Modern History," London, 1978, p.62; Van Dam, op.cit., p.18.

على الوحدة الوطنية.وتمثل ثالها في ضرورة احتواء التطلعات النصيرية على وجه الخصوص واخضاعها[٢٦٤]وبعد ان ادركت الطائفة النصيرية خطورة وجدية توجهات الحكومة السورية وكشفها لحقيقة مخططهم النصيري الهادف الى الانفصال عن سوريا والمنسجم مع المخططات الدولية في المنطقة ، كان لابد لها من اللجوءالى اغطية لتحقيق اهدافهم على المدى البعيد وبصورة تدريجية فكثفوا من وجودهم ضمن القوات المسلحة السورية وانضموا تحت لواء الأحزاب السياسية المختلفة وفي مقدمتها حزب البعث على امل تحقيق اهدافهم عند توافر الظروف المواتيه لذلك .

ومما ساعد على التغلغل النصيري واستمراره في القوات المسلحة بنزوع طائفي مؤثر منذ استقلال سورية وحتى انقلاب ٨ آذار١٩٦٣ عوامل عديدة اهمها مايأتي :-

أ- ان التوسع في التعليم الذي شهدته سورية بعد استقلالها اتاح للطائفة النصيرية فرصة ادخال ابنائهم وبتوجيه مباشر من قياداتهم الدينية والعشائرية الى المدارس والكليات العسكرية[٢٦٥] ، وهذا ينسجم مع توجههم السابق في عهد الانتداب والهادف الى استمرار التغلغل في القوات المسلحة ، وقد ترتب على ذلك وصولهم الى مواقع معينة في الجيش ، سهلت تغلغل المزيد من ابناء طائفتهم في الكلية

---

(264) Gubser, op. cit., p.40.

(265) Torrey, Gordon H."Aspects of the PoliticaL Elite in Syria," in George Lenczowski(ed.)"politicaL Elites in the Middle East, Washington D.C. 1978, p.157,picard, Elizabeth, "ya-t-iL un probleme Communautaire en Syrie ?" Maghreb-Machrek,No.83,1979,p.11.

العسكـريـة[٢٦٦]والبحرية والقوة الجوية[٢٦٧]مما ساعد على احداث تحول في طبيعـة وجـودهم في الجيش الـذي لم يقتصر على مستوى ضباط الصف والجنـود كما كانت عليـه الحـال في عهـد الانتـداب الفرنسي ، وانما اصبح وجودهم في القوات المسلحة على مستوى الضباط ايضا .

ب- كان لسيطـرة الجيش على الحيـاة السيـاسيـة بعد عام ١٩٤٩ بسبب الانقـلابـات العسكـريـة المتتـالية «انقلاب حسني الزعيم - انقلاب سامي الحناوي - انقلاب اديب الشيشكلي» اثرها الواضح في تقليص عدد الضبـاط المسلمـين في الجيش وبخـاصة على صعيد كبار الرتب نتيجـة لأشـتراكهم في هذه الانقـلابـات اذ تقلص عددهم بسبب نقلهم الى خارج الجيش او احالتهم على التقاعد او فصلهم[٢٦٨]، مما فسح المجـال امـام ابناء الطائفة النصيرية للتغلغل بأعداد كبـيرة في الجيش والاستمـرار فيـه والوصول الى رتب عسكرية كبيرة اهلت بعضهم بالتالي لأشغال مواقع مهمة في القوات المسلحة السورية[٢٦٩] .

جـ- استغـلال الضبـاط النصـيريين للتطورات التي اعقبت انقلاب ٢٨ ايلول ١٩٦١ في مواصلة التغلغل في القوات المسلحة ، والذي اتخذ

---

(266) Van Dausen,op. cit., p. 133.

(267) Van Dam, op. cit., p. 41; Gubser,op. cit., p. 40.

(268) Gubser, op. cit., p. 40.

وانظـر ايضـا نذيـر فنصـه - ايـام حسني الزعيم - ١٣٧ يوماً هزت سوريا - دار الافاق بيروت - ١٩٨٢ ، ص ٧ .

(269) Van Dam, op. cit., pp. 41-42.

ابعاده بشكل واضح بعد انقلاب ٨ آذار ١٩٦٣ وعبر اجنحة ومراكز قوى متعددة[٢٧٠] داخل الدولة .

ولأهميـة انقـلاب ٨ آذار ١٩٦٣ لا بـد من تحديـد اهم المؤشرات والظروف التي رافقته في اطار توضيح ابعاد المخطط النصيري ذاته .

ففـي ٨ آذار ١٩٦٣ وقـع انـقـلاب عسكـري قاده تحالف من الضبـاط البعثيـين والناصريين والوحدويين المستقلين سقط على اثره نظـام الانفصـال وعلى الـرغم من ان عدداً من الضبـاط النصيريين وفي مقدمتهم «صلاح جديد ـ محمد عمران ـ حافظ اسد» لم يشتركوا في انقـلاب ٨ آذار ١٩٦٣ فقـد استـدعـوا بعد فترة من الانقلاب ، ويلاحظ ازديـاد عدد ابنـاء الطـائفـة النصـيريـة في هيكـل الضبـاط السـوريـين على حسـاب الضبـاط المسلمين مقارنة بالنسبة العددية للطـائفـة والاغلبية المسلمة ، اذ ان الظروف التي اعقبت انقلاب ٨ آذار والصعـوبـات التي احاطت به ، اقتضت استدعاء عدد كبير من الضبـاط ونـواب الضبـاط وضباط الصف المسرحين من الخدمة ابان فترة الانفصـال كما اقتضت استـدعاء اعضاء الحزب وانصاره لتعزيز الحكم الجـديـد ، وقـد استغلت الطائفة النصيرية ذلك وبأتجاهات مختلفة يمكن اجمال اهمها بما يأتي :ـ

١ـ كان لتشكيل نواة لجنة عسكرية سرية[٢٧١] في القاهرة عام ١٩٥٩ ايام

---

(270) Ibid., p. 42; Gubser, op. cit., pp. 155- 156.

(٢٧١) للتفصل انظر :
Vernier, Bernard, Armee et Politique au Moyen Orient, Paris 1966, P.144; Vernier, B., Le Role Politique de L Armee en Syrie, Politique Etrangeve, Vol. 29, 1965, p. 466; Van Dausen, op. cit., p. 132; Petran, op. cit., p. 171.

الـوحـدة بين مصـر وسـورية من قبـل الضبـاط النصـير يـين وضباط الاقليـات والـذين نقلوا من سوريـة الى مصـر للعمـل في المـواقـع العسكـريـة المصـرية ، اثره الكبير في تمكن الطائفة من السيطرة على المـراكـز العسكـريـة الحسـاسـة من ناحية وازدياد تغلغلهم في القوات المسلحـة السـوريـة من ناحيـة اخـرى[٢٧٢] ، الأمـر الـذي ادى الى تكثيف وجـودهم فيهـا والى تسلل الكثير ين منهم الى داخل التنظيم العسكـري البعثي ، ومن خلال الاتصـالات الجانبية واقامة تكتلات طائفية داخل التنظيم .

٢- استغل اعضاء اللجنة العسكرية النصير يون القرار الذي اتخذ بأبعاد «٧٠٠» ضابـط[٢٧٣] عن الجيش بعـد انقـلاب ٨ آذار ١٩٦٣ بأشغال معظم اماكن هؤلاء بضباط من ابناء الطائفة .

٣- ان احتـلال ضبـاط نصـير يـين لمواقع عسكرية قيادية[٢٧٤] ساعدهم على تشكيـل تكتـلات ضمن المـواقـع التي احتلهـا هؤلاء من خلال تقـريب ضبـاط نصـير يـين اليهم ، ويبـدو ذلك بشكل واضح خلال

---

(٢٧٢) ادين بعض اعضاء اللجنة العسكرية بالتمييز في قبولهم الطلبة الجدد من ابناء الاقليات وخاصة النصيرية في الكلية العسكرية وفي حزب البعث

(Petran, op. cit., p. 171).

(273) Van Dam,op. cit., p. 138 .

(٢٧٤) صلاح جديد رئيس اركان القوات المسلحة السورية ، آب ١٩٦٣ - ايلول ١٩٦٥ ، حافظ الاسد آمر القوة الجوية السورية - محمد عمران آمر الفرقة المدرعة السبعين المتمركزة جنوب دمشق .

(Petran, op. cit., P.171; Van Dam, op. cit.,p.43) .

السنوات ١٩٦٣ - ١٩٦٥ ، ففي غضون اشهر قليلة بعد انقلاب ٨ آذار استطاعوا ابعاد خصومهم العسكريين البارزين من الناصريين والوحدويين المستقلين عن المراكز الحساسة .

٤- شغل بعض العسكريين النصيريين الذين استدعوا بعد فترة وجيزة من انقلاب ٨ آذار ١٩٦٣ اماكن عسكرية مهمة ، وقد ادعى هؤلاء بحكم مواقعهم الجديدة انهم مسؤولون اكثر من غيرهم عن حماية الانقلاب ، وكان لذلك آثاره السلبية التي انعكست على الحزب ، اذ حاولوا فرض وصايتهم عليه ، كما اهمل هؤلاء قضايا التنظيم المدني مما ادى الى ضعفه وشل قابليته على التحرك بالشكل المطلوب ، اذ اصبح التنظيم العسكري لفترة طويلة مغلقا في وجه القيادات التنظيمية المدنية(٢٧٥)فكان محصلة ذلك سيطرة الطائفة النصيرية على معظم المراكز الحساسة في الجيش القريبة من دمشق ، وتنشيط فرع وتنظيمات الحزب المدنية في محافظة اللاذقية وعلى الاخص التنظيمات الحزبية الموالية لهم على حساب الفروع الاخرى من خلال الدعم اللامحدود الذي قدمه ابناء الطائفة من العسكريين له .

٥- حاول حزب البعث بعد انقلاب ٨ آذار ١٩٦٣ اعادة تنظيمه بعد ان كان قد حل داخل القطر السوري عند قيام الجمهورية العربية المتحدة الا انه واجه صعوبات في اعادة تنظيمه بفعل عوامل متعددة فأستغل ذلك الضباط النصيريون من اعضاء اللجنة العسكرية وسهلوا للآخرين من ابناء طائفتهم التسلل الى التنظيم العسكري والمدني .

٦- استغل الضباط النصيريون فشل انقلاب ١٧ - ١٨ تموز ١٩٦٣

---

(275) Van Dam, op. cit., p. 138 .

الـذي قامت به مجمـوعـة من الضبـاط الناصريين[٢٧٦]في تنظيم حملة استهـدفت طرد بعض العنـاصـر القيـادية المسلمة من الضباط وابعاد بعضهم الى الجبهة السورية الاسرائيلية ، كما كثفوا جهودهم في قبول عدد كبـير من ابنـاء طائفتهم في الكليـة العسكـريـة ومـراكز الاعداد الحـزبي والتنظيم العسكـري وفي الحـرس القـومي والشعبة السياسية «المخـابـرات» وتم تنسيب العـديـد من العسكـريـين النصيريين الى المواقع الستراتيجية المحيطة بدمشق[٢٧٧] .

وفي ضوء الانقـلاب الفـاشل الذي قام به جاسم علوان ومن اجل مواصلة احكـام السيطـرة النصـيريـة على الـوضـع في سورية وعلى الصعيدين العسكري والحزبي ، عقد في حمص بعد ١٨ تموز ١٩٦٣ اجتماع حضره عدد كبير من زعماء الطائفة النصيرية وضباطها البـارزين[٢٧٨]لدراسـة النتـائج المترتبة على محاولة الانقلاب الفاشلة وفي نهاية الاجتماع اتخذت القرارات الآتية :ـ

١- ترفيع محمد نبهان[٢٧٩]الى رتبة نجيب تقديرا لدوره في ١٨ تموز ١٩٦٣ .

---

(276) Petran, op. cit., p. 170

(277) Van Dam, op. cit., pp. 51 - 53 .

(٢٧٨) محمـد عمـران ـ ابـراهيم ماخوس ـ حافظ الاسد ـ عزت جديد وغيرهم ابو موسى الحريري ، مصدر سابق ، ص ٢٣٤ ـ ٢٣٦ .

(٢٧٩) دأب النصـيريـون ضمن مخططـاتهم على دس بعض ابنائهم في التنظيمات العسكرية السرية من جميع الاتجاهات ، اذ اشترك الضابط النصيري محمد نبهـان ظاهـريـا في الانقـلاب الذي قام به الناصريون ومن خلاله تمكنوا من الاطلاع على نوايا وخطط الناصريين اذ باء انقلابهم بالفشل .

(Van Dam, op. cit.,p.40)

٢- منح محمد عمران الوشاح البابي الاقدس[٢٨٠]وتكليفه بمتابعة نشاطه في حقل الناصريين .

٣- تنشيط العمل بالمخطط الموضوع حول انضمام المزيد من ابناء الطائفة المثقفين الى حزب البعث والدخول بأسم الحزب في الكليات العسكرية ومؤسسات الجيش ، على اثر قرار اتخذ بتكليف مشايخ الطائفة لدعوة ابنائها بضرورة الانخراط في القوات المسلحة .

٤- التخطيط البعيد لتأسيس الدولة النصيرية وجعل عاصمتها في حمص .

٥- تكليف صلاح جديد بقيادة وتوجيه العناصر النصيرية في الجيش ومنحه رتبة دينية رفيعة «مقدم» .

٦- منح حافظ الاسد[٢٨١]رتبة «نجيب» .

٧- منح عزت جديد وعلي حماد رتبة المختص .

---

(٢٨٠) الوشاح البابي الاقدس - «احد الرتب الدينية السرية العليا عند النصيرية .

(٢٨١) ان للاحلاف العشائرية النصيرية في سورية احيانا اكثر من زعيم اورئيس واحد وكل واحد من هذه الاحلاف منقسم على نفسه الى عشائر ويكون على رأس كل عشيرة فيها شخص يدعى ، مقدم ، ورغم ان زعامة العشيرة كانت تنتقل عن طريق الوراثة الا انه كان بالامكان الوصول الى زعامة العشيرة عن طريق مؤهلات شخصية ، اومن خلال التأثير مثل عائلة حافظ الاسد الحصول على نفوذ كبير على الصعيد العشائري في مناطق تواجدهم الاصلية بسبب الموقع الذي اكتسبوه على الاصعدة الاخرى مثل الجيش او مؤسسات السلطة .

(Van Dam, op. cit., p.22) .

٨- مواصلة نزوح النصيرية من قرى الريف والجبل الى المدن وخاصة حمص واللاذقية وطرطوس .

٩- التغرير بالضباط الدروز والاسماعيليين للتعاون معهم آنياً والسعي لأستئصالهم وابعادهم من صفوف الجيش واحلال عناصر نصيرية محلهم مستقبلا .

١٠- تسليم القيادة المدنية السياسية الى ابراهيم ماخوس واعداده ليكون رئيساً لوزراء الدولة النصيرية المنشودة ، في اثر قرار بأحلاله محل والده في رتبته الدينية .

وبذلك تحددت مؤشرات المخطط النصيري ، اذ استمر ابناء الطائفة من الضباط في اقامة تكتلات عسكرية خاصة بهم واصبح اللواء صلاح جديد رئيس الاركان للجيش السوري يتلقى المزيد من الدعم من قبل الضباط النصيريين على وجه الخصوص ، وفي هذا الصدد يلاحظ ان امين الحافظ والمقدم احمد سويداني رئيس الاستخبارات العسكرية انتقدوا محمد عمران بنشر الطائفية وتعزيزها ، وشاركهم في الانتقاد ظاهريا كل من صلاح جديد وحافظ الاسد بعد ان انكشف امر محمد عمران بصورة ملفتة للنظر ، وعلى الرغم من ان صلاح جديد وحافظ الاسد كانوا مثل محمد عمران في اعتمادهم على انصارهم الشخصيين العسكريين[٢٨٢] النصيريين من اجل الحفاظ على مواقعهم في السلطة وتعزيزها ، الا انهم استطاعوا ان يخفوا مثل هذا الأمر ، وهكذا استطاع صلاح جديد وحافظ الاسد البقاء في مواقعهم في ظل الدعم الكبير من

---

(282) Idid., p.54.

الضباط النصيريين وبأنتظار الفرصة الملائمة لتنفيذ المخطط النصيري المرسوم على عكس محمد عمران الذي حاول استعجال تنفيذ المخطط ، ويبدو ذلك واضحا حيث ان صلاح جديد وحافظ الاسد شكلوا تهديدا خطيرا لأمين الحافظ(٢٨٣) ففي عام ١٩٦٥ ازدادت حدة المواجهة بين امين الحافظ وصلاح جديد اذ استطاع الاخير ان يكسب دعم بعض الضباط البارزين من ابناء الاقليات الى معسكره امثال سليم حاطوم وحمد عبيد (من الدروز) واحمد المير وعبد الكريم الجندي (من الاسماعيلية) وفق المخطط النصيري المرسوم ، ففي الوقت الذي ارتأت فيه قيادة حزب البعث العربي الاشتراكي ان الظرف ملائم لتجسيد مبادئ الحزب واهدافه ومنع التدخل العسكري في صنع القرار السياسي وضرورة التقرب من مصر والعراق فوجئت بجناح الضباط النصيريين الذي يقوده صلاح جديد يعارض اية محاولة للتقارب مع مصر والعراق(٢٨٤) تحت ذرائع بعض الآثار السلبية التي تمخضت عنها تجربة وحدة مصر وسوريا وضرورة التوجه الى الداخل ، فتوترت الأوضاع ، واستمرت الطائفة النصيرية بمواصلة

---

(283) Idid., p. 56.

(٢٨٤) «ان اللجنة العسكرية والتي اصبح لها خبرة في العمل السري تمكنت من ابعاد الناصريين عن الجيش والسلطة ، واصبح للضباط النصيريين الموجودين ضمن اللجنة العسكرية دور بارز ، واصبح بأمكانهم تحدي ومجابهة القيادة الرئيسة للحزب التي كانوا دائما وعلى طول الخط بتضاد وبمعزل عنها .»

(Petran, op. cit., p. 167.)

مخططها السري المرسوم(٢٨٥)في مناهضة قرارات القيادة القومية ، اذ واصل صلاح جديد تكثيف التواجد العسكري النصيري في القوات المسلحة خلال عام ١٩٦٥ بأبعاد الكثير من الضباط المسلمين عن الجيش واحلال اخرين من النصيريين وانصارهم محلهم(٢٨٦) .

وفي محاولة من القيادة القومية لحزب البعث العربي الاشتركي لتحجيم دور صلاح جديد الحزبي والعسكري بفعل توجهاته الطائفية قررت القيادة القومية في ١٩ كانون الاول ١٩٦٥ تولي السلطة كاملة عن طريق حل القيادة القطرية السورية واعلنت في بيان داخلي موجه الى القوات المسلحة انتقادها لعمليات ابعاد البعثيين عن القوات المسلحة والحزب وانها ستقوم بحمايتهم ولن تسمح بالاستحواذ على وحدات الجيش وتحويلها الى تكتلات عسكرية طائفية وستعارض اي ولاء غير الولاء للحزب واعلنت ايضا انها ضد الطائفية وضد مسألة طرحها وضد الولاءات الشخصية وضد

---

(٢٨٥) « مابين آذار ١٩٦٣ وشباط ١٩٦٦ تم ابعاد معظم الضباط المعارضين للطائفة النصيرية ، الناصريين والمستقلين والبعثيين عن الجيش والمراكز الحساسة وبالتتابع وفي كل عملية ابعاد كان ينخفض عدد الضباط المسلمين واصبح النظام بعد انقلاب ٢٣ شباط ١٩٦٦ يعتمد اعتمادا كبيرا على مجموعة الضباط النصيريين ونواب الضباط وضباط الصف والجنود النصيريين في الجيش».

(Batatu, Hanna, Some Observations on the Social Roots of Syrias Ruling Military Group and The Causes For its Dominance MEJ. Vol. 35, no 3, Summer 1981, p.343 .)

(286) Petvan, op. cit., p. 169.

الكتل العشائرية[٢٨٧]؛ويلاحظ في هذا الصدد ان امين الحافظ كلف صلاح الدين البيطار بتشكيل حكومة تمثل فيها النقابات والمنظمات وقطاع المعلمين والطلبة والفلاحين لكن الأخير لم يفلح بفعل الطائفة النصيرية وتوجهاتها والتي غررت ببعض القادة البارزين العسكريين من ابناء الاقليات الاخرى للوقوف الى جانبهم تحت ذريعة وجود محاولات من قيادة الحزب ، للحد من دورهم ، وزاد في حدة المواجهة توجيه امين الحافظ اتهاما الى صلاح جديد في تكوين كتلة طائفية نصيرية داخل الجيش ، وكان محصلة ذلك كله انقلاب ٢٣ شباط ١٩٦٦ ، اذ وقفت فوراً الوحدات العسكرية المتمركزة حول دمشق الى جانبه والتي كان يسيطر على معظمها ضباط نصيريون ، والتي هيأت مسبقا تنفيذا للمخطط النصيري لمساندة اي انقلاب اوحركة يقوم بها الزعماء النصيريون من الضباط[٢٨٨]؛وتم بعد الانقلاب ابعاد الضباط البارزين من المسلمين عن القوات المسلحة وعن التنظيم العسكري للحزب كما تم ابعاد انصار محمد عمران عن الجيش بتهم تكوين كتل طائفية او اقليمية اوعشائرية داخل القوات المسلحة لأظهار قادة الانقلاب وكأنهم مبتعدون كلياً عن هذه المسألة ولأخفاء حقيقة وابعاد انقلاب ٢٣ شباط ١٩٦٦[٢٨٩] الذي نتج عنه زيادة تمثيل أبناء

---

(287) Van Dam, op. cit., p. 60.

(288) Ibid., p. 62.

(٢٨٩) على الرغم من ان صلاح جديد اصبح اقوى اركان النظام السوري بعد انقلاب ٢٣ شباط ١٩٦٦ ، الا انه عين الاتاسي رئيساً للجمهورية وزعين رئيساً للوزراء من غير ابناء الطائفة النصيرية لأخفاء حقيقة ابعاد الانقلاب النصيري ، كما انه كان مدركا تماما لما يمكن ان يثير توليه رئاسة

←

الطائفة النصيرية في الجيش والحزب على حساب الاغلبية المسلمة وسيطرة النصيريين على الحكم . ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد ، فخلال السنوات ١٩٦٦ - ١٩٧٠ استمر النصيريون في تنفيذ مخططهم المرسوم(٢٩٠) وبعد ان تم لهم احكام السيطرة على الجيش والحزب والاجهزة الامنية من خلال وجودهم في المراكز الحساسة فيها وابعاد الكثير من الضباط المسلمين البارزين من الجيش والحزب . بدأت الصفحة الثانية من المخطط النصيري التي استهدفت ابعاد من تبقى من الضباط المسلمين

← الدولة من معارضة ، ولذلك شكل تحالفا صوريا مع اشخاص لاينتمون الى الطائفة النصيرية وليشغل النصيرية ، المراكز الحساسة في الدولة وعلى سبيل المثال فقد تم تعيين حافظ الاسد وزيرا للدفاع وابراهيم ماخوس وزيرا للخارجية .

(Kelidar, A.R., "Religion and State in Syria, Asian Affairs, Vol .61 (New Series No. V), part I, Feb. 1974, p. 17.

(٢٩٠) توالت اجتماعات الطائفة النصيرية في جب الجراح بتاريخ ٣٠ كانون الثاني ١٩٦٨ وتقرر فيها انهاء دور المسلمين في سوريا . . . وتوجيه الضربة القاضية للدروز والمسيحين ومن ثم العمل على الغاء التعليم الديني الاسلامي والمسيحي ومصادرة المدارس الخاصة لكلا الطائفتين حتى يسهل الانحلال الاخلاقي - وكان اجتماع آخر في صبورة بتاريخ ١٤ نيسان ١٩٦٨ وآخر في دمشق بتاريخ ٣ ايار من السنة نفسها . وآخر في بيت حافظ الاسد ضم كلا من صلاح جديد - ابراهيم ماخوس - شفيق عبدو - الشيخ علي ضحية - الشيخ احمد سلمان احمد - علي نعيسه - محمد الفاضل - انيس خير بك - عزت جديد - سهيل حسن وآخرين .
انظر - ابو موسى الحريري - المصدر السابق - ص ٢٣٦ - ٢٣٧ .

البارزين وابناء الاقليات عن القوات المسلحة وعن المراكز الحساسة في الدولة وعلى النحو الآتي :-

(١) ابعاد الضباط المسلمين :-

بعد ان تم ابعاد اغلب الضباط البارزين من المسلمين خلال الاعوام ١٩٦٣ - ١٩٦٦ عن القوات المسلحة السورية اومن خلال وضعهم في اماكن غير حساسة وكما اشرنا ، استمرت عملية الابعاد بعد انقلاب ٢٣ شباط ١٩٦٦ ومن خلال اعتقال العديد منهم ، ففي اوائل عام ١٩٦٧ تمت محاكمة عدد من الضباط المسلمين بتهمة الاشتراك في انقلاب خططت له القيادة القومية ، وشهدت الشهور الاولى من عام ١٩٦٧ استقالة العديد من قادة بعض فروع وشعب وفرق الحزب المسلمين وبخاصة في منطقة حوران من مواقعهم الحزبية رافضين المشاركة في اية اجتماعات جديدة للحزب والنشاطات الاخرى تعبيرا عن رفضهم لهيمنة الطائفة النصيرية على الجهاز الحزبي والقوات المسلحة ، كما هدد ثلاثة وزراء سوريين بالاستقالة من الحكومة السورية اعتراضا على هذه الأوضاع ، وبعد ٥ حزيران ١٩٦٧ تم ابعاد الكثير من البعثيين المدنيين البارزين من مناصبهم في قيادات الحزب والدولة ، وفي ١٥ شباط اعفي احمد سويداني من رئاسة اركان الجيش السوري ، ويمكن القول ان معظم الضباط البارزين من المسلمين قد تم ابعادهم عن الجيش وتم تعيين اخرين منهم في مواقع غير حساسة وعلى وجه التحديد خلال الاعوام ١٩٦٦ - ١٩٧٠ [٢٩١]

(291) Van Dam, op. cit., p.78.

(٢) ابعاد الضباط الدروز :ـ

على اثر انقلاب ٢٣ شباط ١٩٦٦ تم تعيين حافظ الاسد وزيراً للدفاع قبل اعلان الحكومة الجديدة وقد لاقى ذلك انتقادا شديدا وبخاصة من قبل ابناء الطائفة الدرزية اذ كان المتوقع ان يشغل حمد عبيد هذا المنصب ، ولم تتم اعادة انتخابه عضوا في القيادة القطرية الجديدة على الرغم من انه كان سابقا من ابرز الضباط الدروز في التنظيم العسكري وسبق له ان شغل منصب وزير الدفاع في حكومة يوسف زعين قبل استقالتها في ٢٢ كانون ثاني ١٩٦٥ بالاضافة الى دعمه السابق لصلاح جديد ، وقد خطط لأنقلاب معاكس باء بالفشل وأدى الى اعتقاله والمشاركين معه[٢٩٢] ، اما سليم حاطوم فلم يكافأ على الدور الذي اضطلع به في ٢٣ شباط ١٩٦٦ وما اعيد انتخابه عضوا في القيادة القطرية الجديدة فشرع بأقامة تنظيم عسكري[٢٩٣] بعد ان تم اعتقال معظم الضباط الدروز الذين أيدوا

---

(292) Ibid., pp.6q - 70.

(٢٩٣) « شكل تنظيم عسكري سري بقيادة فهد الشاعر ضم عددا من الضباط ، وتم رفض انضمام اي عسكري نصيري لهذا التنظيم حتى بالنسبة لمجموعة محمد عمران لأهتزاز الثقة بالنصيرين ، وفي هذا الصدد يلاحظ ان التنظيم السري لحزب البعث بعد انقلاب ٢٣ شباط ١٩٦٦ عارض ضم الضابط النصيري علي مصطفى الى التنظيم العسكري ، اذ اتخذ قراراً جماعياً برفض انضمامه اليهم ، وعلى الرغم من تعيينه في السلك الخارجي السوري وابعاده عن الجيش ، فقد كان هناك تخوف منه ، اذ انه يجتمع بحافظ الاسد بأستمرار عند قدومه الى سوريا ، ويعتبر من انصاره ، ولأن الروابط النصيرية بعد انقلاب ٢٣ شباط ١٩٦٦ اصبحت اقوى من اي وقت مضى». (Ibid., p. 68) .

وشـاركـوا في انقـلاب ٢٣ شبـاط مما دفعـه للقيـام بمحاولة انقلابية انتهت بالفشـل في ٨ ايلول ١٩٦٦ ، وقـد هرب على اثـرها ومعه طلال ابو عسلي الى الاردن[٢٩٤] كـما ابعـد اللواء الـدرزي فهـد الشـاعـر عن القـوات المسلحة ، وقد اعقبت المحاولة الانقلابية اجبار عشرات من الضباط على مغـادرة سوريـة وشل تنظيم فرع الحزب في منطقة الدروز الى الحد الذي دفع بالزعيم سلطان الاطرش قائد الثورة السورية الكبرى ضد الفرنسيين عام ١٩٢٥ الى ارسال برقية للسلطة يندد فيها بموقف الطائفة النصـيريـة[٢٩٥] وفي ضوء هذه الأوضـاع لم يكن من السهـل على الحكـام السوريين مهادنة الطائفة الدرزية بعد ان اهتزت ثقتهم بالنصيريين ، ففي آذار ١٩٦٧ حوكم الكثـير من ابنـاء الطـائفـة الـدرزيـة بتهمة المشاركة في

---

(٢٩٤) في مؤتمـر صحفي عقـده حاطـوم في الاردن قال فيـه «لقـد انتشـرت الروح الطائفية في سورية بطريقة مزرية وبخاصة في الجيش ، وان الجماعة الحاكمة في دمشق تعمـل على ابعـاد الجـماعـات المنـاهضة لها واستبدالها بعناصر من اتبـاعهـا على مختلف المستويات ، واصبح ملء الاماكن الحساسة في الدولة ومؤسساتها محصورا في الطائفة النصيرية وهكذا وصل النصيريون الى نسبة ٥ ـ ١ لكل الطوائف من الجيش » وفي ٢٨ ايلول ١٩٦٦ اصدر حاطوم بيانا جاء فيه : ان الزمرة الحاكمة في دمشق تعتزم اقامة نظام انتهازي يحمل شعار (دولـة نصـيريـة واحـدة ـ ذات رسـالـة خالدة) يلمع فيه العميد جديد ونور الانـوار ابـراهيم ماخـوس ـ العميـد ونـور الانـوار مصطلحـات ورتب دينية نصيرية ـ. (Ibid., p. 75)

(295) Ibid., p. 77 .

انقلاب والتحريض على الحرب الاهلية ، وصدرت قرارات تقضي بأعدام وسجن مجموعة منهم ، بالاضافة الى ابعاد ضباط آخرين منهم الى مواقع غير مهمة .

(٣) ابعاد الضباط الاسماعيليين :ـ

قبل انعقاد المؤتمر القطري الاستثنائي في دمشق آذار ١٩٦٩ بقليل احاط انصار حافظ الاسد العسكريون بمقر العقيد عبد الكريم الجندي الذي يعد أحد الانصار المتحمسين لصلاح جديد والذي كان يشغل منصب رئيس الامن القومي والاستخبارات العامة واختطفوا عددا من مساعديه وانصاره مما دفع بالجندي الى الانتحار وبأنتحاره ، وبأبعاد احمد المير عن الجيش والسلطة يمكن القول ان دور الاسماعيليين قد اصبح هامشيا في السلطة وخاصة بعد تسلم حافظ الاسد لها[٢٩٦] .

المؤسسة السياسية :ـ

اما على الصعيد الحزبي ، فأن ادراك النصيريين لحقيقة الاتجاه القومي الذي التزمت به سورية منهجا لحياتها وقانونا معبراً عن انتمائها ـ جعلهم ومن اجل تحقيق اهدافهم ـ يرفعون الشعارات القومية لأختراق الثورة العربية بأسمها ومن خلال التستر بأهدافها ، ولتحقيق هذا الهدف كان عليهم ان يتسللوا الى الاحزاب[٢٩٧] التي تتبنى النهج القومي متخذين منها

---

(296) Ibid., p. 84 .

(297) Gubser, op. cit., p. 26 .

غطاء لأفراغ ميولهم العدائية تجاه المجتمع العربي من ناحية ومبررا لوصوليتهم في احتواء السلطة القيادتها فيما بعد من ناحية اخرى ، على الرغم من خطط التنمية الحديثة التي شهدتها سورية بعد الاستقلال وانتشار الفلسفات الفكرية والسياسية التي بلورت الوعي القومي ، وبذلك ظلت الولاءات السياسية والفكرية الفلسفية تعكس تطلعات واهداف الطائفة النصيرية[٢٩٨] ، ويمكن اجمال اسباب ذلك يأتي :-

اولا :-

ان التطور الواضح في مجالات التصنيع واستخدام وسائل المواصلات الحديثة والتوسع بالتعليم وتوحيد مناهجه بعد الاستقلال[٢٩٩] ادى بالضرورة الى عملية احتكاك الطائفة النصيرية بالمسلمين وبالاقليات الاخرى ، بصورة اكثر فاعلية من ذى قبل ، غير ان هذا الاحتكاك لم يغير من طبيعة البناء المغلق لها ولم يؤثر في فكرها ، بل بقيت تعتقد بأنها متفوقة على غيرها وبأنها تتميز على الاغلبية المسلمة والاقليات الاخرى بعظمة معتقداتها ، الأمر الذي جعلها تعتقد بقدرتها على تحقيق طموحها السياسي بشكل يعبر عن وجودها ويصل بها الى اهدافها البعيدة .
ومثل هذا الشعور بالتفوق والاحساس بالعظمة ، والايمان بالاهلية ، جعل النصيرية تؤمن تماما بأنها مختلفة عن المسلمين وغيرهم لا فقط بفعل

---

(٢٩٨) ان اغلب النصيريين يساندون نصيريين آخرين ضد اعضاء مذهب او دين آخر بدون الالتفات الى اي اعتبارات اخرى .
(Hourani, op. cit., p. 144; Van Dausen, op. cit., pp.127 - 134) .
(299) Van Dam, op. cit., p. 20 .

معتقـداتهـا البـاطنيـة الخـاصة ، وانما من خلال تركيبها الطائفي المغلق ، واعتقـادهـا الجـازم بأن المسلمـين ليسـوا وحـدهم منفردين في النظرة اليهم بأعتبـارهم مختلفـين عن الآخرين في عقائدهـم الباطنية ، بل يشترك معهم في ذلـك المسـيحيـون والاسـماعيليـون . هذا الى جانب مايختص به النصـير يـون من روح التقليد بالمحافظة على تراثهم الطائفي ، وحرصهم على التمسك بأصوله واعتباره الحقيقة النهائية في حياتهم(٣٠٠) .

في ضوء ماتقدم تبرز سمة «الاتباع التقليدي» في عقيدتهم ، الى جوار الجانب العملي الذي تميزوا به وهو الحفاظ على المكاسب السياسية التي تم انجـازهـا في ظل الاحتـلال الفـرنسي ، والسعي الحثيث الى اقـرارها بعد الاستقـلال ، ومـواصلة العمـل المتنوع الاساليب والوسائل ، وصولا الى اهدافهم الطائفية والسياسية الاخرى ، يضاف الى ذلك ان وجود الطائفة النصـير يـة كوحـدة اجتـماعيـة وسيـاسيـة ظل مستمرا ، فتكاثرت النوادي والتجمعات اللاسياسية من خلال القنوات الاجتماعية والتقليدية مما حافظ على الـولاء والالتزام الطائفي ، فتدعمت النزعة المحلية في مناطقها بفعل الـتركيب الجغـرافي لها ، كما ان ضعف المـواصلات الى مناطقهم والافتقار الى سلطة مركزية قوية ساعدهـم في الحفاظ على طابعهم المتميز والمستقل(٣٠١) .

---

(300) Gubser, op. cit., pp. 34 - 35.

(٣٠١) « عنـد الاستقـلال واجهت الجمهـورية السورية الجديدة تحديا تقليدا من قبـل النصـير يـين ، ففي البـداية كانت الحكومة السو ية تواجه عصيانا بقيـادة سليـمان المرشد ، لكن هذا التمرد اخمد بسرعة ، الا ان ذلك لم يضع حدا للشعور النصيري الهادف الى الابتعاد عن مركز الحكومة السورية والى

←

ثانياً :-

غلبة الولاءات المحلية والاقليمية لأبناء الطائفة النصيرية وحتى بالنسبة لمن انضم منهم الى حزب البعث على المصالح والأهداف الآيديولوجية التي تبناها الحزب ، فكان انضمامهم اليه لا ايمانا منهم بأهدافه ومبادئه ولكن لأسباب اخرى فرزها الواقع خلال المراحل التي مر بها الحزب والتي يمكن اجمال اهم محاورها بما يأتي :-

أ- لقد ايقنت الطائفة النصيرية ان التوجه القومي لحزب البعث واقامة مجتمع عربي موحد ونبذه للولاءات الطائفية والاقليمية والعشائرية من شأنه ان يهدد مستقبل هذه الطائفة ويؤثر على اهدافها وتوجهاتها ، مما اثار حفيظتها فسعت للانضمام اليه بغية العمل على تهديمه من الداخل وتحريف وتشويه اهدافه ، هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى ، فأن انضمام هذه الطائفة تحت خيمة المجتمع العربي الكبير(٣٠٢) الذي دعا اليه الحزب سيلغي دورها كطائفة صغيرة لها طموحاتها في اقامة دولتها الخاصة ، هذا بالاضافة الى ان الطائفة النصيرية لم يقتصر انضمامها على حزب البعث وانما انضم البعض منهم الى احزاب سياسية اخرى لممارسة نشاطهم من خلالها وحسب

←

حكم ذاتي خاص بهم وقد قام زعماؤهم بمناشدة الحكومة السورية آنذاك بأن تضيف وزيرا نصيريا الى وزاراتها والى تعيين حاكم نصيري في المحافظة والى اطلاق سراح جماعة سليمان المرشد ، وان لم تفعل الحكومة ذلك فأن اللاذقية سوف تبحث مسألة انفصالها عن سورية » (Ibid., p. 39)

(302) Ibid., p. 40

ماتمليه عليهم مصالحهم ومصالح القوى الاخرى(٣٠٣) .

ب- ان الطائفة النصيرية ، كفرقة باطنية ، تؤمن بأن المجتمع العربي الموحد الذي دعا اليه الحزب والقومية العربية(٣٠٤) على وجه خاص ليس الا لباسا يخفي وراءه مشاعر السمو والتفوق القومي والاسلامي بما يشبه الوضع السائد في ظل الامبراطورية العثمانية مع فارق وحيد ، هو ان العرب وليس الاتراك هم الذين سيهيمنون على السلطة(٣٠٥) الأمر الذي دعاهم الى الانضمام الى صفوفه في ضوء حسابات سياسية مباشرة تقوم على مبدأ «الربح والخسارة» اذ ان تبني الحزب للمبادئ القومية ، وفي ضوء الواقع العربي السوري ، سوف يهيئ للبعث تسلم السلطة السياسية او المساهمة في قيادتها على اقل تقدير .

---

(٣٠٣) « في ١٩٥٥/٤/٢٢ اغتيل العقيد عدنان المالكي - رئيس اركان الجيش السوري - وهو ابرز قائد محايد ، على يد عريف ينتمي الى الحزب القومي السوري المعروف بتطرفه في تأييده للغرب ، واعتبر اغتياله مؤامرة دبرها حلف بغداد ، لأسقاط الحكومة السورية ، كذلك لعب صراع داخل الجيش بين المالكي وفئة صغيرة من الحزب القومي السوري يقودها ضابط نصيري - هو غسان جديد - دوره في المسألة اذ اتهم المالكي غسان جديد بصلته بالامريكيين وابعده عن الجيش قبل اغتياله بفترة قصيرة.»
(petran,op.cit., p.111)

(٣٠٤) ان النصيريين كانوا بطيئين في تطوير شخصية لهم تمتزج مع القومية العربية اومع الشعب العربي السوري ، وكان لدى النصيريين القليل من الشعور بكونهم عربا
(Gubser, op. cit., p. 46).

(305) Van Dam, op. cit., p. 32.

ومن هنـا سوف يتمكن النصـير يـون من تحقيق مصـالحهم بأتجـاهـين اسـاسيـين اولهما : يتجسد في انهاء السيطرة التقليدة للاغلبية المسلمة على الحيـاة السيـاسية في سوريا ، والعمل على اقامة ركائز سياسية تستجيب لأهـدافهـم ، وثانيهما : العمل من داخل حزب البعث العربي الاشتراكي في حالـة تسلمـه الحكم لا للوصـول الى مواقـع السلطة العليا فحسب بل للتخطيـط المنظم على تهيئـة الأجـواء المنـاسبة لتسلـم قيادة الدولة والهيمنة على مؤسسـاتهـا ، وصنـع قراراتهـا ، ومحـاولة توثيق اتجاهاتها السياسية بما يخدم اهـدافهم الطـائفيـة ، ويسعى الى تمكينهم الدائم من السيطرة على الحياة السياسية السورية في المستقبل ويجعل الأمر كله في ايديهم .

ثالثاً :ـ

استمـرار النصـير يـين في الاستحواذ والهيمنة على الحزب ويتضح ذلك من خلال استقراء الوقائع الآتية :ـ

أ- ان قرار المكتب التنظيمي للحـزب الـذي شكـل بعـد انقـلاب اذار ١٩٦٣ وظف لصالح الطائفة النصيرية التي استغلت الاجراءات المرنة في قبول العديد من ابنائها في الجهاز الحزبي [٣٠٦] اعضاء عاملين دون توافـر الشـروط المطلوبـة ، وهكذا استطاع النصير يون وانصارهم من احـداث تحول مريـع في تركيبه بعض الفروع لصالحهم ، ساعدهم في ذلك عدم وجود وثائق حزبية رسمية في بعض الحالات تبين عدد وهوية اعضـاء الحـزب السابقين ودرجتهم الحزبية وطريقة قبولهم [٣٠٧] ونتيجة

---

(306) Petran, op. cit.,p. 171 .

(307) Van Dam,op. cit., p. 36 .

لذلك ظهر الى الوجود عدد من الكتل الحزبية يرتبط اعضاؤها ببعضهم بالخلفية الطائفية او الاقليمية اكثر من ارتباطهم بالمبادئ الآيديولوجية للحزب .

ب- ان فرع حماة لحزب البعث ذا الاغلبية المسلمة لم يتلق الا القليل من الدعم المادي والمعنوي من قبل اللجنة العسكرية التي يهيمن عليها النصيريون ، وكذلك الحال بالنسبة لفرع دمشق اذ يلاحظ انه في عام ١٩٦٤ قد جمد نشاطه[٣٠٨] هذا من جهة ومن جهة ثانية لخص تقرير نشره المكتب الفلاحي لحزب البعث عام ١٩٦٥ انه نتيجة الضغوطات الطائفية للنصيرية لم يتم كسب اعضاء جدد الى التنظيم الفلاحي في مناطق معينة الا اذا كانوا من ابناء الطائفة ، الامر الذي دفع بالفلاحين المسلمين الى عدم الانضمام الى حزب البعث في مرحلة لاحقة[٣٠٩] ويلاحظ ذلك بشكل جلي بعد انقلاب ٢٣ شباط عام ١٩٦٦ .

جـ- لاحظ التقرير التنظيمي المقدم للمؤتمر القطري السوري الثاني لحزب البعث المنعقد في آذار ونيسان ١٩٦٥ ان اعضاء فرع الحزب في محافظة اللاذقية بشكل خاص كانوا اكثر عددا مقارنة مع اعضاء الفروع الاخرى وقد اثار ذلك شكوكا فيما اذا كان قادة الحزب في اللاذقية من النصيريين يطبقون انظمة الحزب ولوائحه المتعلقة بقبول او فصل الاعضاء بنفس التشدد الموجود في الاقاليم الاخرى ، ولما كانت القيادة العليا للتنظيم العسكري لحزب البعث قد اصبحت في ايدي الضباط النصيريين الذين ينتمون الى اقليم اللاذقية اصلا ،

---

(308) Ibid., pp. 33 - 34 .

(309) Ibid., p. 35 .

فأنـه لايبعث على الـدهشة القول بأن الفرع المدني للحزب قد ازداد حجمـه في ذلـك الاقليم على نحـو خاص ، وقـد حاول هؤلاء من خلال موقعهم في التنظيم العسكـري للحـزب ان يقـومـوا بتنظيم تكتـلاتهم الحـزبيـة المـدنيـة عن طريق ملء الجهـاز الحـزبي المـدني بأنصارهم من اجل ان يكسبوا موقفا اقوى من منافسيهم العسكريين ضمن اطار الحزب[٣١٠].

ومما تقـدم يتضـح ان الطـائفـة النصـير ية استطاعت خلال الاعوام ١٩٦٣ ـ ١٩٦٦ طرد الكثـير من المسلمـين وابناء الاقليات الاخرى من الحـزب تحت ذرائـع ومـبر رات مختلفـة واصبحت العـلاقـات الشخصيـة والمنفعيـة بين النصـير يـين وحلفـائهم هي الأسـاس في العلاقات الحزبية والتحلفات السياسية[٣١١] فقد ارادت هذه الطائفة ضمن المخطط الدولي ان يتحرك شعب سوريا بردود فعل طائفية وان تفقـد سوريـا دورهـا العـربي ، حيث تمثـل العامل الطائفي بشكل واضح بالسياسة التي انتهجتها السلطة .

حافظ الاسد والسلطة :ـ

لقـد استطـاعت الطائفة النصير ية على السلطة في سورية بعد انقلاب ٢٣ شباط ١٩٦٦ ، الا ان الطموحات الشخصية لأركان السلطة «صلاح جديـد ـ حافـظ الاسـد» للانفـراد بها كانت السبب الـرئيس في استمـرار

---

(310) Ibid., p. 39

(311) Ibid., p. 42

الصراع بين المجموعتين اللتين يمثلانها رغم محاولاتهما تغليف هذا الصراع بأطر سياسية وآيديولوجية(٣١٢) ويتجلى ذلك بصورة واضحة خلال عام ١٩٧٠ حين اعلن حافظ الاسد توليه لمنصب القيادة العليا للدولة واعتبر الآخرين خونة «صلاح جديد والوزراء» ، ففي منتصف ليلة ١٦ تشرين الثاني ١٩٧٠ وبأمر من حافظ الاسد تم اعتقال صلاح جديد واعضاء الحكومة ومجلس الوزراء وآخرين ممن يتولون مناصب عليا في الدولة ، وفي اعقاب انفراد حافظ الاسد بالسلطة في ١٦ تشرين الثاني ١٩٧٠ اصبحت معظم المراكز القيادية المهمة في الجيش والحزب تحت سيطرة الطائفة النصيرية(٣١٣) وفي ٢٢ شباط ١٩٧١ اصبح حافظ الاسد(٣١٤) اول رئيس جمهورية نصيري في تاريخ سورية .

---

(312) Torrey, op. cit., p. 156 ; Gubser, op. cit., p. 37.

(313) Petran, op. cit., p. 40; Gubser, op. cit., p. 45 .

(٣١٤) « ولد حافظ الاسد في ٦ تشرين الاول ١٩٣٠ في قرداحة في محافظة اللاذقية ، ونشأ في اسرة عرفت بأرتباطاتها بالاجنبي ، اذ كان والده سليمان الاسد احد الذين وقعوا وثيقة قدمت الى المستعمر الفرنسي تضمنت الاعتراض على وحدة سورية ، وحافظ الاسد نصيري من قبيلة النهالاتيه فرع من عشيرة المتاوره ، تعاطف الاسد في مطلع شبابه مع الحزب القومي السوري المعروف بموالاته للغرب ، دخل الاكاديمية العسكرية عام ١٩٥٢ وتخرج ليكون ضابطا في سلاح الجيش عام ١٩٥٥ ، برز اسمه بعد الاشهر الاولى من انقلاب ٨ آذار ١٩٦٣ من خلال اللجنة العسكرية ، شارك في انقلاب ١٩٦٦ وانفرد في السلطة ١٦ تشرين ثاني ١٩٧٠ » للتفصيل انظر .

(Majid Khadduri "Arab Personalities in Politics," the Middle East Institute, Washington D.C., 1981, pp. 181 - 238 .

وتميز نهج حافظ الاسد على الصعيدين السياسي والحزبي بأعتماده على كتلة الضباط الموالين له من الطائفة النصيرية الذين تمركزوا في مواقع ستراتيجية في القوات المسلحة السورية ، وابعاد العناصر المناوئة الى الجبهة السورية الاسرائيلية او الى لبنان(٣١٥) بالاضافة الى تولي العديد من ابناء الطائفة النصيرية رئاسة معظم الاجهزة الأستخبارية والامنية والفرق العسكرية ، كما اعاد حافظ الاسد والطائفة النصيرية تشكيل الحزب وجهاز الدولة ، وعلى الرغم من ان بعض العناصر غير النصيرية تبوأت بعض المناصب في الدولة الا ان المواقع العسكرية الحساسة والاجهزة الامنية ومسؤولي التنظيمات الحزبية هي في الواقع حكر على النصيريين المنحدرين من عشيرة حافظ الاسد نفسها(٣١٦) .

وفي الوقت الذي اهمل فيه حافظ الاسد المحافظات والمدن السورية فقد ذهب الى حد تحويل اغلب الاموال المخصصة للتنمية لأستثمارها في المناطق ذات الكثافة السكانية النصيرية «شمال غربي سورية» اذ صب جل اهتمامه على محافظة اللاذقية ، والملاحظ ايضا ان الكثير من الاعمال التي قام بها الاسد تشير الى ان دوافعها تتركز على الفروقات الطبقية اساسا ، لقد كان اصلاح الاراضي مشروعا امتد امتدادا كبيرا ليشمل ٢٨٪ من الاراضي التي جرى تجريدها ـ وبخاصة الاراضي الخصبة في سهل الغاب ـ من اصحابها الشرعيين ومن ثم اعادة توزيعها على الفلاحين النصيريين من الساكنين في المناطق الريفية المحيطة بحماة ، كما ان تأميم

---

(315) Dawisha, A.I., "Syria Under Asad 1970 -78: the Centers of Power," Government and Opposition, Vol. 13, No.3, Summer, 1978, p. 352

(316) Batatu, op. cit., p. 331 - 332

المؤسسات الصناعية والتجارية لم يكن دافعة الاشتراكية بل كان سببه بصورة مباشرة دفع نسبة كبيرة من افراد الطبقة الوسطى وما فوق الوسطى من غير النصيريين لترك الاراضي السورية وبالتالي توزيعها من قبل الاسد على اتباعه[٣١٧]،كما يلاحظ في عام ١٩٧٣ ان انتماء حافظ الاسد المعلن للقومية العربية والاسلام لم يفلح في ايصاله الى نتيجة ايجابية ، وكذلك لن تفلح محاولاته المبكرة في تحييد مخاوف المسلمين بأسناد بعض الحقائب الوزارية الى بعضهم والتي كانت عبارة عن محاولة من حافظ الاسد لأمتصاص سخط الاغلبية على نظام حكمه الطائفي ، اذ ان جميع هذه الاجراءات لم تكن كافية ولم تجد قبولا لأعتبارات اساسية منها ان المراكز الحساسة للدولة بقيت تحت سيطرة النصيريين في حين كانت واجبات الوزراء المسلمين شكلية اكثر من كونها ذات سلطة فعلية ، مما دفع حافظ الاسد الى ان يعلن اسلامه لعله يحظى بتأييد الشعب السوري واتجه الى اقناع بعض رجال الدين اللبنانيين بأن يعلنوا ان النصيريين هم من المسلمين[٣١٨]كما نشرت السلطة كتابا بينت فيه ان الطائفة النصيرية هي جزء لايتجزأ من الاسلام ، ووزع هذا الكتاب على مجال واسع من قبل وكالات الحكومة وبالذات خلال حملة الاستفتاء حول الدستور ، كما اجرى حافظ الأسد تعديلا بسيطا على الدستور بأدخال نص جديد يقول «دين رئيس الدولة هو الاسلام» الا ان ذلك لم يفلح في التخفيف من حدة المعارضة الشعبية[٣١٩].ففي آذار عام ١٩٨٠ كانت المدن السورية كلها في

---

(317) Gubser, op. cit., pp. 43 - 46 .

(318) Ibid., p. 44.

(319) Kelidar, op. cit., p. 18.

حالة اضراب شامل ضد النظام الطائفي فتعددت الاضرابات والمظاهرات في حلب وانتشـرت الى المـدن الاخـرى ، ونـزلت الجـماهـير الى الشوارع تطـالب بالحـريـة وتحركت النقابات المهنية والمحامون والاطباء والمهندسون والاسـاتـذة ، وبعثت بمـذكـرات الى رأس النظـام تطالب بأنهاء الاحكام العـرفيـة وقـانـون الطـوارئ وطـالبت ايضـاً بالحقوق المدنية واطلاق سراح السجنـاء السيـاسيـين من كل الفئات ، ووضع حد للطائفية ، كما تحركت الاحـزاب والقـوى السيـاسيـة تطالب بأقامة الديمقراطية للشعب ، وانهاء التسلط الطــائفي ، وهكـذا تحول عام ١٩٨٠ الى عام مواجهـة شاملة في المـدن والاريـاف بين الشعب ونظـام حافظ الاسد الذي لجأ الى استخدام كل اسلحته لمواجهة النقمة الشعبية ، فأصدر مرسوما بتاريخ ٨/٤/١٩٨٠ خول بموجبه مجلس الوزراء حل النقابات المهنية وتم ايضا اغتيال واعتقال الالاف من ابنـاء سوريـا . وتكـررت الانتفـاضـة في حماه في شباط ١٩٨٢ حيث تفجـرت الاوضـاع ضد النظـام الطـائفي بعـد شهر من ضم الكيان الصهيـوني لمرتفعات الجولان ، وصدرت الاوامر من حافظ الاسد شخصياً بتدمير المدينة تدميراً كاملا ، حيث جسد ذلك النهج الثابت للسلطة(٣٢٠)

---

(٣٢٠) للمزيد انظر :

Drysdale, Alisdair, "The Assad Regime and its Troubles, MERIP Report, No. 110, Nov. - Dec. 1982, p. 8 .

الفصل السادس

التحرك السياسي على الصعيدين العربي والدولي



كما كان الحال في الماضي ، كان في الحاضر . فالوطن العربي يجابه اليوم بمجموعة تحديات وتهديدات ترمي الى تسميمه ايديولوجيا وابتزازه اقتصاديا وتهديده عسكريا وتفتيته طائفيا . كل ذلك من اجل منعه من تحقيق وحدته السياسية وانجاز دوره المؤهل له خدمة للاهداف القومية والانسانية وتنبع هذه التحديات من مصادر متعددة ومستويات متباينة . ففضلا عن الارث الاستعماري والتخلف ، وعن الاطماع التاريخية لدول مجاورة في الارض العربية ، وعن صراع الاستراتيجيات الدولية ، يجابه الوطن العربي بعلاقات عربية ـ عربية تتمثل في انها من النوع الذي يجسد ويعكس عوائق تتقاطع من حيث المضمون والاتجاه مع المصالح القومية العليا . ومن بين ابرز هذه العوائق تلك التي تتجسد في حركة النظام السوري الحالي واهدافه . ذلك ان سوريا ، في ظل النظام الطائفي النصيري انتقلت من بؤرة للثورة العربية والتحرر العربي ، الى بؤرة للمتاجرة بالقيم والمبادئ القومية والتواطؤ مع اعداء الامة العربية ضد قضاياها المصيرية ، فحافظ الاسد ، بعد انفراده بالسلطة السياسية في عام ١٩٧٠ كرس عمله لابعاد سوريا عن هويتها القومية بأتجاه تسخيرها لتكريس بقاء اقلية باطنية لاعربية قوميا ولا مسلمة دينيا ، هي الاقلية النصيرية التي ينتمي اليها ويعبر عن تطلعاتها واهدافها ، وجعل من الحرص على السلطة هدفا تسخرله الاهداف الوطنية والقومية كافة . لذلك اصبحت مقايضة القضايا الذاتية بالقضايا القوميه احدى سمات النظام النصيري[٣٢١] ولتكريس استمراريه الحفاظ على السلطة ، اعتمد هذا النظام على ركيزة داخلية اساسية تتمثل في الروابط والولاءات الطائفية

---

(٣٢١) والى رأي مشابه تقريبا ، يؤكد بنرمان ان حافظ الاسد سعى الى ابعاد

←

والاقليمية والعشائرية[٣٢٢] . وقد نجم عن ذلك ، انماط محددة من الحركة السياسية الداخلية افرزت مجموعة مشاكل اجتماعية واقتصادية وسياسية داخلية ومن اجل ابعاد الانظار الداخلية عنها ، اندفع ، عبر سياسته الخارجية ، الى البحث عن اغطية ايديولوجية تخفي حقيقة السلوك الطائفي الذي يرتكزعليه النظام النصيري من ناحية ، وعن حماية خارجية تعوض له الدعم الشعبي المفقود من ناحية اخرى .

وفي ضوء ماتقدم ، يمكن دراسة واقع التحرك السياسي للنظام النصيري من محوريه العربي والدولي .

اولا : المحور العربي :

لقد تأثر الواقع السياسي الداخلي السوري ، منذ الاستقلال وحتى الآن ، بفلسفتين متقاطعتين من حيث المضمون والأهداف ، هما القومية العربية والقومية السورية . ففيما يتعلق بالفلسفة الاولى ، من المعروف ان التوجه القومي ظل رمزا للهوية السياسية في سوريا[٣٢٣]ومن هنا كان رفض

← سوريا عن قوميتها العربية لصالح اهداف ذاتية . انظر :

Bannerman,M.Craeme,"the Syrian Arab Rrpublic" in: David E.Long and Bernard Reich (eds.) The Government and Politics of the Middle East and North Africa,Colorado, 1980,P.250.

(٣٢٢) انظر تفاصيل ذلك عند:.Van Dam,Op.cit.,P.117

(٣٢٣) انظر :

Hudson, Michael C., "Arab politics: The Search for Legitimacy, Yale University Press, New Haven and London,1977,p.257.

سوريا ، في الخمسينات ، الدخول في احلاف عسكرية مع دول غير عربية ، وكذلك كان الاندفاع نحو تكوين اول تجربة وحدوية عربية حقيقية في العصر الحديث . هي تجربة الجمهورية العربية المتحدة . وفيما يتعلق بالقومية السورية فهي التي كانت وراء تلك الافكار التي نادت بوحدة مايسمى بسوريا الكبرى او التي دعت الى قصر الاهتمام على الدولة السورية بحدودها الجغرافية الحالية(٣٢٤) .

وعلى الرغم من نمو الاتجاه القطري اثناء الوحدة مع مصر بسبب من اخطاء التجربة ، الا ان انقلاب ٨ آذار ١٩٦٣ اتخذ في البداية من الفلسفة القومية اساسا للحركة السورية ، بأبعادها الداخلية والخارجية التي واجهت مجموعة من الصعوبات في التطبيق بفعل الطائفة النصيرية . ولذلك عادت سوريا ، بعد انقلاب ٢٣ شباط ١٩٦٦ ، الذي مهد لاحقا لأنفراد حافظ الاسد بالسلطة في عام ١٩٧٠ ، الى اعتماد ذلك النهج اللاقومي الذي يعكس هوية وتوجهات النظام النصيري الحاكم حاليا ويتقاطع مع المصالح القومية العليا .

مرت السياسة الخارجية لنظام حافظ الاسد حيال الوطن العربي بمرحلتين اساسيتين(٣٢٥) الاولى تمتد من عام ١٩٧٠ ولغاية ١٩٧٧ . اما الثانية فقد بدأت مع عام ١٩٧٧ ومازالت مستمرة .

وقبل الدخول في التفاصيل ، ينبغي ان لايغرب عن البال ان واقع هذه السياسة ، ومنذ عام ١٩٧٠ ، يؤشر سمة اساسية تتميز بها ، وهي عدم

---

(٣٢٤) لمزيد من التفاصيل ارجع مثلا الى :

Ibid.,PP.256 - 258.

(325) Rabinovich,Itamar,"The Foreign policy of Syria: Goals,Capabilities, Constrains and Options, Survival, Vol. XXIV, No.4 (1982),p.175.

الثبات والازدواجية ذات المضمون الظرفي الانتهازي ، فنظام حافظ الاسد يذهب تارة الى تأييد هذه الدولة العربية في نزاعها مع غيرها ، وتارة اخرى ينقلب داعيا الثانية ضد الأولى . وفضلا عن ذلك لوحظ انه لايتردد عن التودد والتقرب من الدول العربية الغنية حينا ولا يتورع ، في احيان اخرى ، عن قذفها بالشتائم معتبرا اياها دولا رجعية سائرة في هدي الامبريالية الامريكية ، حين تقلص من دعمها المالي له او تحجبه عنه ، لأسباب خاصة بها . هادفا بذلك الى تفتيت الجهد العربي المشترك في حدوده الدنيا .

المرحلة الأولى :

لقد تميزت هذه المرحلة بالتطلع نحو الابتعاد عن عزلة اواخر الستينات[٣٢٦] والبحث عن النفوذ والتأثير السياسي على صعيد البيئة العربية المجاورة لسوريا بخاصة وعلى صعيد الوطن العربي بعامة . وقد ساعد على ذلك مجموعة عوامل داخلية وخارجية . فداخليا ادى تصاعد الصراع ضمن الطائفة النصيرية[٣٢٧] الى تصفية حافظ الاسد لمعارضيه والاستحواذ على السلطة السياسية ومن ثم استخدامه مؤسسات الدولة السورية لتكريس سيطرته وبقائه السياسي ، وذلك بعد اختراق نصيري لأهم هذه المؤسسات وتغلغل منظم داخل الجيش السوري ، ترجع جذوره الى وقت سابق ، كما اشرنا . وعمل على ازاحة الكثير من

---

(326) Van Dam,op.cit., P. .91 .

(٣٢٧) في التفاصيل ارجع الى : Ibid.,pp.83 - 94.

العناصر ذات التوجهات الوطنية والقومية تدريجيا عن الجيش السوري بأيداعها السجون او احالتها على التقاعد او اناطة وظائف مدنية بها او ابعادها عن المراكز العسكرية الحساسة . وفي مقابل ذلك دأب على احلال اعوانه فأسند الى مؤيديه من غير طائفته وظائف عسكرية عالية شكليا[٣٢٨].وبذلك تمكن النظام النصيري من الغاء الدور الوطني والقومي المعروف للجيش السوري عبر تحويله الى اداة طيعة لتكريس وضمان نظام حافظ الاسد في الداخل[٣٢٩]وتحقيق اهدافه في الخارج[٣٣٠] .

وبالاضافة الى التغلغل في الجيش السوري ، عمد النظام النصيري الى التحرك اقتصاديا على محورين متفاعلين : تمثل الاول في وضع خطة اقتصادية خمسية للأعوام ١٩٧١ ـ ١٩٧٥ قصد بها ، رسميا ، تطوير البنية التحتية للاقتصاد السوري . اما الثاني فتجسد في اتباع سياسة اقتصادية اساسها الانفتاح المحدود تطلعت الى امتصاص النقمة الداخلية من سوء الأوضاع الاقتصادية . هذا بالاضافة الى استمالة فئات اجتماعية للاستفادة منها لأغراض الدعم السياسي . وحاول النظام النصيري ان يتخذ من حرب عام ١٩٧٣ ذريعة بأتجاه الحصول على المزيد من المساعدات العربية

---

(328) Ibid.,p.89.

وتؤكد كذلك صحيفة كريستيان ساينز مونيتران اغلب العسكريين القياديين كانوا من النصيريين . انظر عددها الصادر في ٢/٣/١٩٨١ .

(٣٢٩) انظر :

Mclaurin,R.D.et al., Foreign policy Making in the Middle East ,praeger,New York, 1977,p.265.

(٣٣٠) كما حدث مع التدخل العسكري السوري في لبنان .

من اقطار الخليج العربي بحجة مواجهة ماترتب على الحرب من آثار ، الا ان تلك المساعدات[٣٣١] ، ذهبت الى ركائز النظام وتحالفاته بدلا من اعادة البناء .

وهكذا ، وفي ضوء ماتقدم ، كان للمركب العسكري ـ الاقتصادي المتحالف والداعم للنظام النصيري دوره الفاعل في محاولة احتواء الرفض الداخلي وقوى المعارضة له وقد تفاعلت القدرة على الهيمنة الداخلية ، بالاغراء والاكراه او بالاثنين معا ، مع واقع عربي ساد الفترة الممتدة بين اعوام ١٩٧٠ ـ ١٩٧٧ تميز بالآتي :ـ

شهد الوطن العربي اندلاع حرب عام ١٩٧٣ التي اريد بها ، استراتيجيا ، تحريك حالة اللاحرب واللاسلم بالاتجاه الذي يخدم الاهداف الامريكية في الوطن العربي فالولايات المتحدة تطلعت الى دفع بعض الحكام العرب الى القبول بالتسوية السياسية للصراع العربي ـ الصهيوني ، وقد ترتب على استجابة الرئيس المصري انور السادات للهدف الامريكي مجموعة نتائج استفاد منها حافظ الاسد لصالحه . فمن خلال الدعوات والشعارات المضادة التي اطلقها في وقته ، تطلع الى طرح ذاته ، اعلاميا ، بمثابة الجهة الرافضة للحل الامريكي والبديل للثقل المصري ، من اجل رفد نظامه بالشرعية الثورية[٣٣٢] التي يفتقدها عمليا . وقد كشفت الأحداث اللاحقة زيف هذا الطرح ، فبعد ادراكه ان

---

(٣٣١) منذ عام ١٩٧٥ حصلت سوريا على مساعدة عربية سنوية بما يعادل ١٫٨٥ مليار دولار ، ولا تدخل بضمنها تكاليف القوات السورية في لبنان والبالغة ١٨٠ مليون دولار سنويا ، والتي توقفت عام ١٩٨٢ . انظر :

The Economist,April,25,1981

(٣٣٢) انظر : Hudson,op.cit,p.267.

السادات يعمل لصالح نهجه وانه يسعى الى حرمانه من حصته[٣٣٣] لم يتردد من السير على هدي خطوة السادات . ففي «سعسع» عند الكيلو متر ٤٢ على طريق دمشق ـ القنيطرة تم في مايس ١٩٧٤ عقد اتفاق الفصل بين القوات السورية والاسرائيلية . وبموجبه تراجعت الحافة الامامية لجبهة القتال مع العدو الصهيوني مسافة خمسة عشر كيلومترا الى الشمال من مدينة القنيطرة . وهي المسافة التي تكوّن الآن المنطقة السورية المجردة والمنزوعة من السلاح ، والتي كانت بعمق خمسة كيلومترات بعد حرب ١٩٦٧ وكيلومتراً واحداً بعد حرب ١٩٤٨ .

ولم يتوان حافظ الاسد عن توظيف الواقع العربي الذي اتسم انذاك بالتداعي بشكل عام ، لصالح تطلعاته للتأثير في البيئة العربية المجاورة . وبهذا الاتجاه عمل على التقرب تكتيكيا من الاردن والعراق وتودد اكثر الى اقطار الخليج العربي ، وساهم في خلق جبهة الصمود والتصدي ، وشجع منظمة التحرير الفلسطينية على التصدي لليمينيين وحلفائهم في لبنان .

المرحلة الثانية :ـ

لقد اكدت الأحداث اللاحقة ان الاندفاعة السياسية الخارجية السابقة لحافظ الاسد انها بنيت على أسس خادعة وهشة[٣٣٤] فالرفض الداخلي لحكم اقلية طائفية معادية جعل امكان الحوار واللقاء مع المسلمين داخل سوريا معدوما . لذلك ادى اتساع الفجوة السياسية مع تدهور الاوضاع

---

(٣٣٣) انظر : Hirst, David and Irene Beeson, Sadat, Faber and Faber London 1981, pp. 196 - 197.

(٣٣٤) انظر : Rabinovich op. cit., p. 176

الاقتصـاديـة والاجتـماعيـة الداخلية(٣٣٥)الى ان يعيش نظام حافظ الاسد ازمتـه التـاريخيـة(٣٣٦)وخصـوصـا في اوائـل الثمانينات . وقد انعكس سلبا تفاعل هذه الازمة مع استنكار عربي لمواقفه التي ادت الى زعزعة العلاقات العـربيـة ـ العـربيـة وتحقيق المـزيـد من الانقسام والتشتت العربي ، على تطلعـه السـابق نحـو النفـوذ والتأثـير السيـاسي الخارجي ، ودفع به بأتجاه التـاكـل والتقلص . وهكـذا عادت سوريا ، في ظل نظام حافظ الاسد ، مرة اخرى الى عزلة مشابهة لتلك التي شهدتها في الخمسينيات(٣٣٧)

وقـد تجسـدت حقيقـة نظـام الاسد في مجمل افعاله التي تقاطعت ، من حيث الطبيعة والأبعاد ، مع المصالح القومية العربية العليا . كما هي الحال مع الصراع العربي الصهيوني والحرب العراقية الايرانية .

١ ـ الصراع العربي ـ الصهيوني :

منذ ان تمكنت الصهيونية العالمية من اقامة وتكريس كيانها في فلسطين ،

---

(٣٣٥) ولأمتصـاص السخـط الشعبي على تدهـور مجمـل الأوضـاع الاقتصـاديـة والاجتـماعيـة ، اضطر النظام النصيري في آب عام ١٩٧٧ الى تشكيل لجنة للتحقيق في جرائم الـرشـوة واستغلال النفوذ . . . الخ . وقد فشلت اللجنة في اعمالها ذلك لأشتراك كبار الضباط من اعوان حافظ الاسد في تلك الجرائم الاقتصادية . انظر : . U.S.News & World Repert April 4,1981

(٣٣٦) وقد تجلى ذلك في تعرض النظام النصيري في اعوام ١٩٨٠و١٩٨١و١٩٨٢ الى هزات عنيفـة كادت تؤدي الى سقـوطه . والى نفس هذا الرأي يذهب كذلك : Rabinovich,op.cit.

وايضا : U.S.News & World Report April 13,1982

(٣٣٧) وتتفق اراء كثيرة على ذلك . انظر مثلا : .Rabinovich,op. cit, p. 177 وكذلك جريدة الغارديان في ١٩٨١/٤/٣٠

والصراع العربي ـ الصهيوني هو القاسم المشترك للسياسات العربية . ومع ذلك تفاوت تحمل العبُ القومي تبعاً لعاملين اساسيين : الأول هو القرب الجغرافي من الارض المحتلة في فلسطين وكثافة الشعور بالتهديد الاسرائيلي . اما الثاني : فهو جدية وثبات الالتزام الايديولوجي بالقضية المركزية . وانطلاقا من التأثيرات الناجمة عن هذين العاملين ، كانت سوريا ، قبل انقلاب عام ١٩٦٦ ، من بين الاقطار العربية التي تفاعلت ايجابيا مع القضية الفلسطينية ، التي كانت دوما احد المحاور للسياسة الخارجية السورية . وقد تغيرت الحال بعد مجئ حافظ الاسد . فمع انه ادعى ، ومن منطق المزايدة ، ان سوريا هي اكثر التصاقا بالقضية الفلسطينية من اي بلد عربي اخر ، واعتمد لذلك ظاهريا مجموعة مواقف بدت متصلبة من الحل السلمي ، الا ان الأحداث اللاحقة اثبتت ان هذه المواقف المتصلبة لم تكن الا احد الاغطية لأخفاء القواسم المشتركة بين نظام حافظ الاسد والكيان الصهيوني في فلسطين . فالاثنان يلتقيان في السعي نحو تحقيق اهداف ذاتية من ناحية وفي تنفيذهما ، من ناحية اخرى ، لأدوار محددة ضمن لعبة دولية تستهدف الأمة العربية بأجمعها ، من خلال تفتيت الدول العربية الكبيرة الى دول مدن اودويلات ضعيفة تغلب عليها الصفة الطائفية قصد الغاء مشاركتها في الصراع القومي بأبعاده المختلفة .

وكما انعكس لقاء المصالح بين النصيرية والصهيونية في صنع هزيمة حزيران عام ١٩٦٧ ، كذلك كان الحال في مواقف النظام النصيري حيال المرتفعات السورية «الجولان» والمقاومة الفلسطينية ولبنان .

آ ـ الجولان :ـ

لقد ادت حرب عام ١٩٦٧ الى احتلال اسرائيلي لكل فلسطين

بالاضافة الى مساحات واسعة من اراضي الدول العربية المجاورة . ومنها منطقة المرتفعات السورية ذات الأهمية الاستراتيجية العسكرية المعروفة ، اي الجولان[٣٣٨] وهي المنطقة التي اعلن وزير الدفاع وقائد الجيش السوري انـذاك ، حافـظ الاسد ، في ٩ حزيران ١٩٦٧ عن سقوط مركزها الرئيس «القنيطـرة» حتى قبـل ان تقـترب القـوات الاسـرائيلية منها . وذلك لدفع العدو الصهيوني الى الموافقة على وقف اطلاق النار على الجبهة السورية . وخـلال فترة الاحتـلال الاسـرائيـلي للجـولان ، تميزت الحركة الاسرائيلية بالسعي الـدؤوب نحـو تهويدها . وقد ازداد الاستيطان الصهيوني اندفاعا بسبب من الـدور العسكـري الذي يمكن ان تقوم به مراكز الاستيطان شبه العسكرية في عرقلة تقدم الجيوش العربية في حالة الحرب[٣٣٩] .

وعلى الرغم من تصاعد عمليات الاستيطان الصهيوني في الجولان فأن مضمـون افعـال نظـام حافظ الاسد لم تتجاوز الجانب الاعلامي لأغراض الاستهلاك الداخلي . كما تؤكد الأحداث تعايش هذا النظام مع الاحتلال

---

(٣٣٨) «ويمثـل الجـولان الذي يقع بين سوريا ولبنان وفلسطين وشرق الاردن قطب الرحى وحجر الزاوية بين هذه الدول طبيعيا وبشريا واقتصاديا . وهذا الموقع اعطى الهضبـة «السـورية» اهمية استراتيجية كبيرة ، جعلت السيطرة عليها تعني في نفس الـوقت السيطـرة على وادي الحـولـه وغـور الاردن وشـمال فلسطـين . كما ان المـراصد المقامة على التلال البركانية المبعثرة فوق الهضبة تستطيـع ملاحقـة كل حيـاة تتحـرك بين ابـواب دمشق وسهل حوران وجبل العرب ومدينة درعا وصولا الى الاردن » انظر التقرير السياسي الصادر عن مركز الخليج للدراسات العربية ، الشارقة العدد (٦) كانون الثاني ١٩٨١ ، ص ٤٥ .

(٣٣٩) انظر التقرير السياسي الصادر عن مركز الخليج للدراسات العربية ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤٧ .

الاسـرائيـلي وخلق النظـام السـوري لاحقـا ، وبـالاتفـاق مع الـولايـات المتحـدة ، المبر ر القـانـوني لذلـك التعـايش عبر اتفـاقيـة فصـل القوات السـوريـة ـ الاسـرائيليـة في عام ١٩٧٤ . كما هادن الاحتـلال الاسرائيلي للجـولان بعـد عام ١٩٦٧ ، كذلك فعل الشئ ذاته مع حالة مابعد الضم الاسرائيلي للجولان في ١٣/١٢/١٩٨١ . فنظام حافظ الاسد لم يتخذ اي اجـراء عمـلي للرد على الاجـراء الاسـرائيـلي سوى الصخب الاعـلامي والتحـرك الـدبلومـاسي . وبهما اراد حافـظ الاسـد الايحـاء للرأى العـام السوري والعربي انه بصدد ترتيب الظروف العربية والدولية الملائمة لدفع «اسـرائيـل» الى الغـاء اجرائها بضم الجولان . هذا في الوقت الذي تؤشر مضامين مجموعة افعاله انه ينادي بالحرب ولا يريدها .

ومن مجرى الأحـداث ، يبـدو واضحـا ان توقيت الضم الاسـرائيـلي للجـولان قد جاء في وقت بدأت فيـه ازمـة وعزله نظام حافظ الاسد داخليا وعـربيـا بالتصـاعـد . وقـد بدا ذلك الاجراء وكان المراد به ، تحقيق هدف اسـرائيـلي يدخـل ضمن استراتيجية التوسع الصهيوني ، وهدف نصيري يتمثـل في التخفيف من حدة معـانـاة النظـام ومساعدته على ابقاء الجولان قضية سياسية حية لأغراض تعزيز المواقع الداخلية والابتزاز العربي والدعم الـدولي . ومـع ان التواطؤ النصيري ـ الصهيوني احد الأسباب الاساسية وراء عدم جديـة الفعـل الهـادف الـرامي الى تحرير الجولان ، الا ان هناك سببا مهما اخر يتصل بموقف النصيرية من الدروز النابع من جملة أسباب . فمن ناحيـة دفعت الخصـائص التي تتميز بها الطائفة النصيرية الى الشعور الوهمي بالتعالي والعظمة والكبرياء وادعاء الخصوصية . لذلك وقفت ، كما تبـين من خلال الفصـل الخـاص بالتكوين الاجتماعي للنصيرية ، موقف العداء من بقية الجماعات التي يتكون منها المجتمع السوري . لذلك اصبح

امر انسجامها مع هذه الجماعات امرا مستحيلا . اما الناحية الثانية فتتمثل في العداء السياسي التقليدي بين الطائفتين والذي تجسد بشكل خاص في انقلاب سليم حاطوم في ٨ ايلول ١٩٦٦[٣٤٠] .

ب ـ المقاومة الفلسطينية :ـ

لقـد دفـع بزوغ منظمـة التحرير الفلسطينية ، في نهاية التسينات ، قوة تتمتـع بقـدر من التأثـير السيـاسي بسبب من تجسيـدها عملية الدفاع عن قضية عربية مركزية ، بنظام حافظ الاسد الى محاولة السيطرة الكاملة على حريـة حركتهـا[٣٤١] فأدراكـا منـه لأستجـابة الرأي العام السوري لمطالبها وتقاطع ذلك مع تحالفه مع الصهيونية عمل على تفتيتها وانهاكها من خلال تكـوين منظمـة الصـاعقـة من قبله والتي اريد بها امران[٣٤٢] : الاول بذر الفـرقـة والتنـاحـر ضمن منظـمات المقاومة الفلسطينية وصولا الى التأثير في القـرار الفلسطيني بالأتجـاه الذي يخدم اهداف حركة نظامه ، اما الثاني فهو استغــلال المـوقف الايجـابي للشعب السـوري من الفلسطينيـين خدمـة لاغـراض سياسته الداخلية . وهكذا اصبح الفلسطينيون جزءاً من عملية الصـراع السيـاسي على السلطـة داخـل سوريا[٣٤٣] ولم يقتصر الأمر على ذلـك ، وانـما تعداه الى محاولة تحجيم حركة منظمة التحرير الفلسطينية في لبنـان مترجمـا بذلـك الفكـرة التي اوحى بها اليه رئيس الادارة الامريكية ، نيكسون ، في زيارته لدمشق في حزيران عام ١٩٧٤ ، والتي مفادها «ان

---

(٣٤٠) في التفاصيل انظر : Van Dam op.cit., pp. 23-25,71-75

(٣٤١) انظر : Banner man,op.cit., p.237

(٣٤٢) انظر : Tludson,op.cit., p. 267.

(٣٤٣) انظر : Ibid

معدة المقاومة في سوريا ولكن رأسها في لبنان» ففي لبنان ، كما سيرد ذكره ، لم يمانـع حافـظ الاسـد مرة اخـرى من التضحية بالقضايا العربية من اجل مصالح ذاتية[٣٤٤] .

وتحـرص منظمة التحرير الفلسطينية رغم ماتقدم ، على اقامة علاقات وطيدة مع النظام السوري . وذلك بسبب من ضرورات الحاجة الى ضمان العمق الاسـتراتيجي لحركتهـا في لبنـان والـذي يوفـره لها المـوقـع الجغرافي السـوري . ومـع هذا الحرص ، ينبغي ان لايغرب عن البال ان العلاقات السـوريـة ـ الفلسطينيـة ليست مستقـرة . اذ تتميـز بالتـوتر الكامن احيانا والعلني في احيان اخرى . وقد ترجمت الأحداث الأخيرة في البقاع اللبناني دور النظـام السـوري الشـائن في شق حركـة فتـح كبرى المنظمات الفدائية الفلسطينية بهدف اضعافها والسيطرة على قرارها تمهيدا لتصفية القضية الفلسطينية .

جـ ـ لبنان :ـ

بعـد حرب عام ١٩٧٣ تطلعت الاستراتيجيات الدولية المعادية للعرب الى اعـادة ترتيب الاوضـاع في الـوطن العـربي بالأتجـاه الذي يحقق تسوية سيـاسيـة للصـراع العـربي الصهيـوني . ومن هنـا كان المطلوب اولا ازالة العقبات التي تعترض تنفيذ هذا الهدف . وقد كانت المقاومة الفلسطينية في لبنان وتلاحم الحركة الوطنية معها احدى تلك العقبات الاساسية . ولدور نظـام حافـظ الاسـد في اللعبـة الـدوليـة انيطت به عملية تصفيتها ، ولهذا اعتمـد اساليب المناورة والخداع والتضليل اولا والتدخل العسكري المباشر ثانيـا . وتبعـا لطبيعـة هذه الوسائل ، يمكن توزيع دور نظام حافظ الاسد

---

(٣٤٤) انظر : Ibid

على مرحلتين : ماقبل التدخل العسكري وما بعده .

تميزت المرحلة الاولى بتصاعد كثافة الوجود الفلسطيني في لبنان ولا سيما قبل وبعد احداث الاردن ١٩٧٠ . وقد نظمت اتفاقية القاهرة عام ١٩٦٩ العلاقة المتبادلة بين الحكومة اللبنانية ومنظمة التحرير . فمقابل عدم تدخلها في السياسة اللبنانية ، وتمتعت المنظمة بالعديد من الامتيازات السياسية والعسكرية(٣٤٥)ومنها القيام بعمليات ضد «اسرائيل» من داخل الاراضي اللبنانية . وقد داب العدو الصهيوني اثر عملية عسكرية فلسطينية على الرد عليها في جنوب لبنان ، انطلاقا من استراتجية الردع غير المباشر التي اراد بها احداث شرخ في عرى العلاقة بين المنظمة ولبنان(٣٤٦)وقد تفاعل الانتقام الاسرائيلي المقصود مع تصاعد هجمات اليمين اللبناني على الفلسطينيين ليدفع بهم لاحقا الى الانغماس المتصاعد في السياسة اللبنانية.(٣٤٧)وفي هذه المرحلة من صراعها مع الطرف

---

(٣٤٥) انظر :

polk William R. The Elusive peace : The Middle East in the Twentieth Century, Groom Helm,London,1979,p.134.

(٣٤٦) انظر : Ibid., p. 132

في مضمون هذه الاستراتيجية ارجع الى محمود عزمي ، دراسات في الاستراتيجية الاسرائيلية «بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٧٩» ص ١٦١ .

(٣٤٧) قبل هذا الانغماس حصل فرز واضح للجهات المتصارعة . فمن جانب كان الفلسطينيون والمسلمون اللبنانيون اما من الجانب الاخر فقد تحالف - الاسرائيليون مع مجموعات من المسيحيين اللبنانيين اليمينيين . وقد تفاعل هذا الفرز مع النتائج التي ترتبت على اتفاقية فصل القوات المصرية -

←

المعـادي ، وجـدت منظمـة التحرير الفلسطينية الدعم والتشجيع من قبل نظام حافظ الاسد، خوفا منهعلى مصالحة في لبنان [٣٤٨]وأنطلاقا من ذلك يتطلع نظام حافظ الاسد الى تكوين دولة نصير ية تشمل المنطقة الجغرافية لكـل من لبنـان وسوريا والاردن وكذلك العراق بمضمون طائفي تمشيا مع التـوجـه الـدولي الـرامي الى تفتيت الـوطن العـربي . والسعي نحـوهذا الهـدف ، ان دل على شيئ فأنـما يدل على ان السلوك السيـاسي للنظـام النصـير ي يسعى الى أبعـاد سوريـا عن اتجـاههـا العربي الاصيل ودورها القومي خدمة لاهداف تنبع من هويته وأرتباطاته الدولية .

ولضمان مصالحه في لبنان ولاغراض السيطرة على حركة منظمة التحرير الفلسطينيـة ، تحرك نظـام حافـظ الاسـد عبر مجمـوعتـين متفـاعلتـين من الافعـال : الاولى تمثلت في عرقلة مؤسسـات الـدولـة اللبنانية عن ممارسة مسـؤ وليـاتهـا من اجل خلق وتكريس الانطباع اللبناني الداخلي بعجز هذه المـؤسسـات وعـدم قدرتهـا على الحركة ضمن دولة ذات سيادة وصولا الى ترتيب الظـروف بأتجـاه الغـاء شرعية الدولة اللبنانية ككل . ولذلك تميزت افعـالـه بالسعي نحـو أستمرار حالة الاضطراب والقلق وعرقلة أية مصالحة لبنـانيـة تضـر بالمصـالح السورية الذاتية . ومن استقراء الاصرار على هذا التحرك ، يبدو واضحا ان اساسه فكرة تتمثل في أن غياب الشرعية وديمومة

← الاسـرائيليـة عام ١٩٧٥ . فخـروج مصـر السادات عن المواجهة العربية ـ الصهيـونيـة دفع الفلسطينيين الى الاعتقاد بأن وجودهـم العسكري في لبنان اصبح معرضا للخطر .

(٣٤٨) انظر :

Dawisha,Adeed I, Syria and the Lebanese Crisis," the Macmillan press Ltd, London,1980 p.ix.

حالة الفوضى الداخلية أنها تعطي المبرر للقوى المتصارعة ولاسيما المتحالفة مع نظام حافظ الاسد للقبول بالدور السوري بديلا لاغنى عنه وقوة لاشريك لها في التأثير .

اما المجموعة الثانية فقد تجسدت في تلك الافعال التي اشرت الابتعاد عن دعم منظمة التحرير الفلسطينية بأتجاه ترتيب الظروف لأنهاكها وتدجينها ومن ثم تركها وحيدة تجابه التحالف الاسرائيلي - مع اليمين اللبناني . كل ذلك من اجل دفعها في النهاية الى الاستسلام وقبول اية تسوية للقضية الفلسطينية . ومن هنا جاء مرة اخرى التعاون النصيري - الصهيوني لمد اليمينيين بالسلاح،[٣٤٩] عندما اوشكت هزيمتهم تتحقق في عام ١٩٧٦.[٣٥٠] وبذلك اراد منع قيام نظام عربي موال المنظمة التحرير الفلسطينية ومعاد «لأسرائيل» في آن واحد[٣٥١] .

اما فيما يتعلق بمرحلة مابعد التدخل السوري في لبنان عام ١٩٧٦ ، فأنه جاء بتشجيع وموافقة كل من الولايات المتحدة و«اسرائيل»[٣٥٢] فقد صرح الناطق الرسمي للخارجية الامريكية أن الولايات المتحدة تعترف بأهمية

---

(٣٤٩) ويؤكد آخرون ذلك . انظر ايضا :

Polk,op.cit.,p.135; Furlong,Geoffrey "The Tragedy of the Lebanon,"Asian Affairs, Vol.IX, part II (june 1978) ,p.153.

(٣٥٠) والتعاون السوري مع اليمينيين سرعان ماانقلب لاحقا الى صراع عسكري ادركوا ان الافعال السورية يراد بها ضم مناطقهم الى سوريا .

(351) Hudson, OP. cit.,p.267.

(٣٥٢) وتؤكد ذلك مجموعة آراء . انظر مثلا :

Mclaurin,Op.cit., p.62; Furlong,Op.cit.

الـدور الـذي تقـوم به سوريـا بالنسبـة لتسـوية الازمة اللبنانية.[٣٥٣] كما أن موشي دايان ذكر «أن دخول القوات السورية للبنان ليس عملا موجها ضد أمن أسرائيل»[٣٥٤] .

وقـد كان الهـدف من أرسـال القوات السورية الى لبنان ، والتي تكونت في بعضهـا من قوات تـم سحبهـا من الحـدود السـوريـة ـ الاسرائيلية ، تجزئة البـلاد وتقسيمهـا . فبعـد تمركـز القـوات السـوريـة في شمال ووسط لبنان والاحتـلال الاسـرائيلي لجزء من الجنوب ، أصبح لبنان في عام ١٩٧٧ دولة شبه مجزأة . وعلى اثر الغزو الاسرائيلي لكامل جنوب لبنان في عام ١٩٧٨ وصـل الاسـرائيليـون الى جنـوب نهر الليطاني وأحتلوا بذلك كامل المنطقة التي طالبت بها الحركة الصهيونية في مؤتمر الصلح عام ١٩١٩.[٣٥٥] وبذلك تم تقسيم لبنـان عمليـا . وضمن هذا الاطـار وافق النظام النصيري على عدم اقتراب قواته من منطقة جنوب نهر الليطاني وأبقائها بعيدة عن جنوب لبنان[٣٥٦] وتأكيد الاسرائيليين ان القوات السورية لم تتجاوز الخطوط الحمراء ، أحدى دالات ذلك التفاهم النصيري ـ الصهيوني .

وفي ضوء ماتقـدم يبـدوواضحا أن النظام النصيري الذي دفع بمنظمة التحـريـر الفلسطينيـة الى الـدخـول في مواجهـة غير مبـاشـرة مع العـدو الصهيـوني ثم تخلى عنهـا ، أراد ان يصبـح لبنـان مذبحـا أخرللفلسطينيين

---

(٣٥٣) نقلا عن وكالة الصحافة الفرنسية في ٢٩/١/١٩٧٦ .

(٣٥٤) نقلا عن نفس المصدر في ٥/٦/١٩٧٦ .

(٣٥٥) انظر : Hludson,op.cit.,p.267

وكذلك محمود عزمي مصدر سبق ذكره ص ١٦٥

(356) Dawisha, op. cit. ,

لتحقيق نوعين من الاهداف : ذاتية ودولية . ففيما يتعلق بالاولى أريد بها أبعاد الانظار عن مشاكلة الداخلية وأزمته التاريخية من ناحية وأستثمار الوجود العسكري لاغراض ابتزاز الاعتراف الدولي بهيمنته على مناطق من لبنان . فحافظ الاسد لم يدخل لبنان في واقع الامر لتضييق الخناق عسكريا على العدو الصهيوني ، وهذا ماأشار أليه عندما ذكر ان قواته لم تذهب الى لبنان لتقاتل اسرائيل من هناك وأنها لم ترسل لمواجهة اسرائيل . اما فيما يتعلق بالاهداف الدولية ، فلقد أريد من نظام حافظ الاسد اخراج المقاومة الفلسطينية في لبنان من دائرة الصراع العربي ـ الصهيوني ضمن أستراتيجية دولية تهدف الى ابعاد القوى العربية الفاعلة تدريجيا من تلك الدائرة بغية المحافظة على الكيان الصهيوني وضمان استمرارية دوره كأحد طرفي كماشة تحيط بالوطن العربي من الغرب والشرق .

٢ ـ الحرب العراقية الايرانية :ـ

كما ألتقى النظام النصيري مع الصهاينة في دعمهما للانعزاليين اليمنيين في لبنان ، التقى مع النظام الطائفي في ايران ضمن أطار لعبة دولية تتطلع ، ضمن أمور اخرى ، الى تفتيت الدول العربية الى دويلات طائفية صغيرة ، فبعد نجاح تجربة زرع الفتنة الطائفية ، على يد أعوان نظام حافظ الاسد ، في لبنان ، كان المطلوب تعميمها على الوطن العربي عموما وعلى الخليج العربي خصوصا . وقد اقتضى ذلك ، حسب منطق نظرية الدومينو[٣٥٧] استهداف القوة القومية القادرة على التصدي

(٣٥٧) والتي مفادها بأختصار أن سقوط دولة معينة يدفع ، وبالتتابع الى سقوط مجموعة دول أخرى .

لاستراتيجية التفتيت الطائفي وألغاء الهوية القومية . انطلاقا من ان ذلك سيساعد لاحقا على تساقط اقطار الخليج العربي الواحد تلو الاخر . وهكذا كان المطلوب وضع العراق بين طرفي كماشة طائفية من الغرب «النظام النصيري» ومن الشرق «النظام الايراني» تمهيدا لاضعافه بما يحقق اهدافهما . لذلك عندما بدأت الحرب العراقية الايرانية التي جسدت الاستمرار السابق للسياق العدواني التوسعي الثابت في السياسة الايرانية حيال العراق وبقية اقطار الخليج العربي ، أتخذ النظام النصيري لنفسه موقفا يعد استمرارا لموقفه السابق . وبذلك غلب المصالح الطائفية على المصالح القومية ومد ايران بصنوف شتى من المعونات والمساعدات المباشرة وغير المباشرة ، وأرتبط بها عبر تحالف استراتيجي ، هذا بالاضافة الى غلقه للحدود السورية ـ العراقية ومنع مرور النفط العراقي عبر الاراضي السورية الى موانى التصدير في بانياس وطرابلس على البحر الابيض المتوسط . وذلك في محاولة مضافة للتأثير أقتصاديا على العراق أزاء الحرب .

ويشكل الدعم النصيري لايران أستمرارا للعلاقة الوطيدة السابقة بين حافظ الاسد وشاه ايران محمد رضا بهلوي . وبهذا الصدد ، وبدون الدخول في التفاصيل ، من المعروف أن العلاقات السورية ـ الايرانية كانت تتميز ، بمحدوديتها ، ذلك بسبب من التقاطع بين الاتجاه القومي العربي السوري الاصيل والتوجهات التوسعية لايران في منطقة الخليج العربي . ومع بداية أنفراد حافظ الاسد بالسلطة تطورت العلاقات الثنائية بين سوريا وأيران بصيغ متصاعدة . ولم تقتصر هذه العلاقات على الجوانب اللاسياسية وانما شملت كذلك الجوانب ذات الابعاد اسياسية ، وقد ساعد على ذلك ألتقاء تطلعات ايران نحو فرض الهيمنة على منطقة الخليج

العـربي مع حركـة حافـظ الاسـد الـراميـة الى زعزعة العلاقات العربية ـ العربية وتبديد طاقة الامة العربية . وهكذا تتميز الحركة السياسية الخارجية للنظـام النصـيري بالتعـاون الثابت مع الدول الطامعة بالارض العربية . هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى لقد بدا واضحا من الفصول السابقة أن النصـيريـة طائفـة تمثل في جوهرها أمتدادا في التاريخ للحركات التحريفية الهدمية التي جرت العادة على تسميتها بالغلاة الذين تميزوا بأنحرافهم عن النهـج العـربي الاسـلامي . لقد جاءوا من خراسان وأستوطنوا الجبال التي كانت تسمى قديما «بهراء وتنوخ» والتي سميت بأسمهم فيما بعد . وانطلاقا من انتمائهم الى السـلالات الانـدو ـ آريـة التي تنحدر منها غالبية شعوب أيـران لاجـدال في أن النصـيريين ليسوا بعرب ، فهم يختلفون عن العرب من حيث الاصل والخلفيات التاريخية .

ثانيا : المحور الدولي :ـ

تبنى الاسـتراتيجيـات الـدوليـة في الـوطن العربي ، تبعا لترتيب محدد ومسبق للاولويات والافضليات الاستراتيجية فالعالم بالنسبة لكلتا الدولتين العظمـيـين لايتجـزأ . لذلـك فأن تعاملهما مع الوطن العربي هوجزء متمم لتفاعل عالمي أعم ينطلق عموما من استراتيجية عليا كونية شاملة لاتتعامل مع منطقة دون أخرى ومن أدراك مسبق مفادة أن الوطن العربي أنما يكون وحـدة متكـاملة . بأعتبـاره يشكـل موضـوعـا وطـرفـا للتعـامـل في آن واحـد.(٣٥٨)فهـو موضـوع للتعـامل لأنه يمثل مجموعة تلك المزايا الجغرافية

---

(٣٥٨) د . حامـد ربيـع ، «العـالم العـربي في ملف الاستراتيجية الامريكية» مجلة الموقف العربي ، القاهرة ، العدد (١٠) ١٩٧٨ ، ص ٨٥ .

والاقتصـاديـة والعسكرية والسياسية المغرية . ومن هنا يتمتع عندهما بأهمية تكاد تقترب من أهمية مناطق القلب أو الامن الحيوية الخاصة بهما . فالتأثير في حركتـه لصـالـح أحـد الاطراف الدولية المتصارعة يرتب تأثيرا مشابها في حسـابـات الربح والخسارة وانعكاساتها على الحركة العالمية لاطراف اللعبة الـدوليـة . وهـو طرف للتعامل سببه أن عددا من الاقطار العربية اصبحت قادرة على التأثـير في التفـاعـلات الاقليمية والعالمية وذلك لاسباب تتعلق بمفـردات قدرتهـا على الفعل الهادف والمؤثر . وأعتبار الوطن العربي طرفا للتعـامـل لايعني ان كلا من الـدولتـين العظميـين تنظران دوما الى العرب بأعتبـارهـم يشكلون أرادة موحـدة ، وانـما مصالح وأرادات متعددة تتفق في احيـان لتعـود الى الاختـلاف في احيان اخرى . ومع ماتقدم ، تسعى كل من الـدولتـين الى تحقيق مجمـوعـة أهداف في الوطن العربي تتأثر صياغتها وترتيب اولوياتها هرميا بجملة حقائق ومتغيرات ، ولعل من اهمها :ـ

- العلاقة بين السياستين الداخلية والخارجية .
- خصائص التخطيط بعيد المدى وعلاقته بالتخطيط متوسط وقصير المدى .
- ردود الافعال الاقليمية والدولية المحتملة .

وتتجسد اهدافهما على اختلافها وتنوعها بالمحصلة في هدف مركزي ، هو اخراج الطرف المضاد من الوطن العربي ، اوعلى الاقل تحجيمه(٣٥٩) وهما يعتمـدان في ذلـك مجمـوعـة وسائل ، يتأثر اختيارها بنوعية الفرص والقيود التي تترتب على أربعة انواع من الظروف وكما يأتي : .

ـ الظروف الخاصة بكل دولة عربية على حده .

---

(٣٥٩) انظر مثلا : Mclaurin,op.cit.,pp.12 - 13

- واقع العلاقات العربية ـ العربية من ناحية والعلاقات العربية الاقليمية من ناحية أخرى .
- واقع العلاقات الامريكية او السوفيتية مع الدول العربية مجتمعة او منفردة خلال مرحلة تاريخية معينة .
- واقع السياسة الدولية السائد في فترة زمنية معينة وتأثيره على الحركة السياسية للدولتين العظميين والدول العربية مجتمعة او منفردة .

وبشأن التفاعل السوري مع كلتا الدولتين العظميين ، فقد اختلفت العوامل المؤثرة ، في جانب كبير منها ، عما كان سابقا . فقبل عام ١٩٦٦ ، كما هو معروف ، كان للصراع العربي ـ الصهيوني والمجابهة السورية للاستعمار والهيمنة ادوار اساسية . هذا بالاضافة الى تأثير الفلسفة السياسية القومية لصناع القرار السوري ، والحاجة للمساعدات الخارجية اقتصاديا وعسكريا[٣٦٠] وفي ضوء مواقف الدولتين العظميين من هذه العوامل ، تحددت آنذاك ، طبيعة الحركة السياسية السورية ، ازاء كل منهما . اما بعد عام ١٩٦٦ ، وخصوصا بعد انفراد حافظ الاسد في عام ١٩٧٠ بالسلطة ، فقد اعتمد مستفيدا من اهمية الموقع الجيواستراتيجي[٣٦١] متفاعلا مع رهن الاستقلال السوري صيغة لحركة

---

(٣٦٠) انظر على سبيل المثال :
Bannerman,op.cit.,pp.244-251; Vatikiotis,P.J.,"The Politics of the Fertile Crescent," in:Hammond, Paul Y. and Sidney S.Alexander, Political Dynamics in the Middle East ,Elsevier publishing Company,Inc.,New York,1972 ,pp.241-242.

(٣٦١) في انعكاسات اهمية الموقع الجيواستراتيجي على الحركة السياسية الخارجية السورية ، انظر : باتريك سيل ، الصراع على السلطة ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٤ .

سياسة أساسها المناورة والاستفادة من الفرص الناجمة عن التناقضات الاقليمية والدولية . وذلك من اجل الحصول على الدعم الذي يساعد على ضمان أستمرار النظام النصيري في السلطة . ومن هنا فنظام حافظ الاسد هو بمثابة حصان طروادة دولي داخل المنطقة العربية . فبالنسبة للاتحاد السوفيتي يشكل النظام النصيري احدى نقاط مثلثه في الشرق الاوسط . أما للولايات المتحدة فهو احد ركائزها الاساسية في المنطقة ذاتها . لذلك لاعجب في انه يتمتع بدعمهما . هذا على الرغم من صراعهما وتطلعهما الى تحجيم نفوذ احدهما للاخر ، فدعم حافظ الاسد يحقق لهما مصالحهما ومصالحه في ان واحد ، فالنظام الذي يعيش حالة الحصار الداخلي والعزلة العربية لايستطيع مواجهة أزمته التأريخية دون المشاركة في ترتيب الظروف العربية والاقليمية خدمة لاهداف الاستراتيجيات الدولية حيال الامة العربية ، ومن ثم الحصول ـ نتيجة لموقفه هذا ـ على دعمها واسنادها لاستمراريته . وهكذا ، وبعد عودة العلاقات الدبلوماسية مع الولايات المتحدة عام ١٩٧٤ ، اثر قطيعة رسمية استمرت سبع سنوات ، وتوقيع معاهدة فك الارتباط بين القوات السورية ـ الاسرائيلية في العام ذاته ، تحسنت العلاقة السياسية بين الولايات المتحدة وحافظ الاسد وتطورت العلاقة التجارية وتدفقت المساعدات المالية والفنية .

وبعد انحسار واضح في التأثير وجمود في الحركة السياسية الخارجية السوفيتية في الوطن العربي لاسباب مختلفة ، عمد حافظ الاسد في عام ١٩٨٠ الى توقيع معاهدة أمنية سياسية مع الاتحاد السوفيتي تحت اسم معاهدة الصداقة والتعاون ، وهذه المعاهدة التي أكدت الولايات المتحدة أنها لاتشكل أية نكسة لسياستها في الشرق الاوسط ـ رتبت مكسبا للاتحاد

السوفيتي . فبالاضافة الى أنها أعادته سياسيا الى المنطقة ، أدت الى دعم نفـوذه في الشـرق الاوسـط على المـدى القصير وساعدت على نقله خطوة بأتجاه هدفه الاستراتيجي في الوطن العربي على المدى البعيد . وبالمقابل حققت لحافـظ الاسـد أمكـانيـة الاستفـادة من دعـم دولة عظمى أخرى ، اقتصـاديـا وعسكـريـا وسيـاسيـا ، لاغراض أضعاف حركة البيئة العربية المجـاورة لسـوريـا . فحـافـظ الاسد اكثر حرصا على أضعاف العرب من الاستفادة من الدعم الدولي لدفع حركة النهوض والتحرر العربي خطوات الى امام .

والـواقـع ان اتخـاذ مواقف لاتتنـاقض مع المصـالـح القـوميـة العـربيـة فحسب ، وأنـها كذلـك مع مصـالـح سوريـا ، كدولة مستقلة ، انها يؤشر نمطيـة سلوك نصـيري يتطلع الى خدمة الاجنبي دوما وأبداً .

الخاتمة

وبعد

فان هذه الـدراسـة التحليليـة لطـائفـة النصـير يـة التي أخـذت نفسها بالالتـزام بالمـوضـوعيـة والنـزاهـة العلميـة والحيـاد المطلق في الحكم على الامـور ، والتي اعتمـدت على الاصول والمراجع المعتبرة والموثقة عند اتباع الطائفة ، ووقفت عند النصوص التاريخية المتواترة لاتحملها اكثر مما تفيد ، والتي أفـادت من قراءة نقـديـة مقـارنـة للبحـوث والـدراسـات التي قدمها

المستشـرقـون والمفكرون العرب عنها ، قد انتهت بها الى جملة نتائج يحسن بنا اجمالها فيما يلي :

اولاً :

ان العقيـدة الـدينيـة لهذه الطـائفة لاتمت الى الاسلام ومذاهبه المعتبرة بصلة او انتماء ، بل هي في أصولها وجذورها مستمدة من مصادر غريبة عن جوهـر الاسـلام وحقـائقه الثابتة في الكتاب والسنّة ؛ وتقوم في جملتها على أسـاس من الجمـع والتلفيق بين الاراء والأفكـار والمـذاهب المختلفـة حيناً والمتنـاقضـة احيـاناً ، ومن ثم فهي لاتقوم على نسق فكري واضح او منهج ثابت موّحد ، ممّا أدىّ بها الى ان تكون خليطاً متنافراً وعجيباً من المعتقدات الوثنية والمجوسية والغنوصية ، مع اعتماد طقوس وعبادات تمت ظاهرياً الى هذه الـديـانـة او تلك . ولعّـل هذا التنـوع والتنـاقض في المصـدر والبنيـة العقيـديـة هو ماحمل الباحثين ـ قدماء ومعاصرين على الاختلاف في أصل الطائفة وموارد معتقداتها .

ثانياً :

ان هذه الطائفة المغتر بة دينياً وعقائدياً عن المحيط العربي الاسلامي قد جنحت الى هذه الغُربة ، أو انتهى بها هذا الاغتراب الفكري الى ان تحيا في عزلـة اجتـماعية تكاد تكون تامة ومطلقة عبر مراحل التاريخ العربي وفي مختلف ادواره . وقـد ادى بها ذلـك الى ان تتشكـل في صورة مجتمـع مغلق على نفســه والى انتشـار المخـاريف والسحر والشعبذة والكهانة في صفوف منتحليهـا ، والى تراكم العـادات والتقـاليـد الغـريبـة والشـاذة في حيـاتها العـامـة . كذلك اصطبغت حياتها الثقافية بالضمالة والقشرية مما انتهى بها

الى الاستغـراق من عالم الأوهـام واللاعقلانية ثم ان لغة أئمة الفكر فيها ، ممن فصلوا من معتقداتها وعاداتها - أعجمية مبتسرة تؤكد بها لايقبل الشك الاصـل الفـارسي لشيـوخ الطائفة ومؤسسيها . لقد تولدّ عن هذا الشعور المستمر بالمهانة والاحتقار والعزلة الثقافية والاختناق الاجتماعي عقدة نفسية اصبحت السمـة المميـزة لتـاريخهـا ، تلك هي مركب النقص ومـزيـج من التعـالي الكـاذب والشعـور بالاحتقـار ، وهكذا شخصت نفسها في صورة جماعة مضطَهَدة تارة ومضطِهدة تارة اخرى .

ثالثاً :

وتميـزت الحيـاة السيـاسيـة للطـائفة بالردة والتمرد على كل مايمت الى العـروبـة والاسـلام بصلة ورابطـة ، لقـد حبست الطـائفة نفسها في دائرة مقفلة من العلاقات انحصرت في التعاون مع كل غريب ، ومدّ يد النصرة لكل اجنبي ، فلم يكن نشاطها السياسي عبر التاريخ سوى محاولات ذات طابع شعوبي خطير استهدفت الامة وسيادتها في ظروف المواجهة التاريخية الحـاسمـة بين العـروبـة والمـتر بصـين بها الـدوائر من الاعداء والخصوم ، فقـامت بمـد يد العـون والنصرة والتأييد تارة للتتار واخر لجحافل الصليبيين وثـالثـة لسلطـات الانتـداب الفـرنسي ، متنكـرة ابـداً لكل القيم الدينية والاعراف القومية ، سالكه طريق الردة والخيانة في كل حال ، سائرة متابعة لخطى اسـلافهـا المقهـورين من الـزنـج القـرامطـة والفرس البابكية وسائر جحافل الردة الشعوبية .

ان هذا التـواتـر والتـواصـل في التعـاون مع اعداء الأمة يكشف عن الدور التخريبي الذي تقوم به الطائفة حالياً في الشؤ ون العربية ويؤكد على وجه القطع واليقين المسار التحريفي لها في الحياة العربية المعاصرة .



المصادر والمراجع

اولا : الوثائق غير المنشوره :

سجلات وزارة الخارجية الفرنسية ، المشرق ، سوريا ولبنان ،

Archives du Mininstere des Affairs Etrangeres, Levant, Syrie - Liban, 1930 - 1940, vols. 419,479,485,492,493,510,515.

ثانيا : المصادر والمراجع العربية :

(١) الأسد أبادي (القاضي عبد الجبار) :

«شرح الأصول الخمسة» ، تحقيق عبد الكريم عثمان ، القاهرة ١٩٦٥

(٢) الاسفرايني (ابو المظفر) :

«التبصير في الدين» تحقيق عزت عطار الحسني ، دمشق ١٩٤٠

(٣) الأشعري (ابو الحسن) :

«مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين» تحقيق هلموت ريتّر ، استنبول ١٩٢٩

(٤) باقر ، طه

«مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة» بغداد ١٩٥٦

(٥) الباقلاني (أبو بكر) :

«التمهيد» تحقيق مكارثي بيروت ١٩٥٧

(٦) بدوي (عبد الرحمن) :

«مذاهب الاسلاميين» بيروت ١٩٧١

(٧) البغدادي ، (ابو منصور) :

«الفرق بين الفرق» ، القاهرة ١٩١٠

(٨) تانقوت ، رشيد :
«النصيريون والنصيرية» ، انقرة ١٩٣٨
(٩) تغري بردي : (ابو المحاسن جمال الدين) :
«النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة» القاهرة ١٩٥٢ .
(١٠) ابن تيميه ، الحراني :
«الرسائل والمسائل» القاهرة ١٩٢١ : «الفتاوي» ، القاهرة ، ١٩٠٨
(١١) جوزي (بندلي) :
«من تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام» دار الروائع ، بيروت
(١٢) الجويني (ابو المعالي) :
«الارشاد الى قواطع الادلة في الاعتقاد» تحقيق لوسياني ، باريس ١٩٣٨
(١٣) حتى ، فيليب
تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، ترجمة كمال اليازجي ، بيروت ١٩٥٩
(١٤) أبن حجر العسقلاني :
لسان الميزان ، حيدر آباد ، ١٩١٢ .
(١٥) أبن حزم الاندلسي :
«الفصل في الملل والأهواء والنحل» القاهرة ١٩٢٨
(١٦) حسن ، ابراهيم حسن
«تاريخ الدولة الفاطمية» ١٩٥٨ .
(١٧) الحسيني ، عبد الله
«الجذور التأريخية للنصيرية العلوية» مجموعة نصوص ، اعداد دار الاعتصام
(١٨) الحصري ، ساطع :
«البلاد العربية ، والدولة العثمانية» دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٦٠

(١٩) الحكيم ، حسن
الوثائق التأريخية المتعلقة بالقضية السورية ، بيروت ١٩٧٤
(٢٠) الحكيم : يوسف
: سوريا والعهد العثماني ، بيروت ١٩٨٠
: سوريا والعهد الفيصلي ، بيروت ١٩٨٠
(٢١) العلامة الحلي (ابن المطهر) :
«كشف المراد / شرح تجريد الاعتقاد» قم ١٣٧٧ هـ
(٢٢) حميدة ، عبد الرحمن
جغرافية سوريا البشرية ، القاهرة ١٩٧١
(٢٣) الخصيبي ، (ابو عبد الله الحسين) :
«الهداية الكبرى» ضمن كتاب العلويون بين الاسطورة والحقيقة
(٢٤) الخضري (الشيخ محمد) :
«محاضرات في تاريخ الأمم الاسلامية» المكتبة التجارية ، القاهرة ، ١٣٧٦ هـ
(٢٥) الدوري (عبد العزيز) :
«دراسات في العصور العباسية المتأخرة»
(٢٦) الذهبي (الحافظ شمس الدين) :
«ميزان الاعتدال في نقد الرجال» القاهرة : ١٩٦٢
(٢٧) الرازي (فخر الدين) :
أساس التقديس في علم الكلام ، القاهرة ١٩٣٥
(٢٨) رضا ، علي
قصة الكفاح الوطني عسكريا وسياسيا حتى الجلاء ، حلب ١٩٧٩

(٢٩) رفيق ، أحمد
الروافض والبكتاشية في القرن السادس عشر ، استنبول ١٣٣٢ هـ
(٣٠) زين ، نور الدين
الصراع الدولي في الشرق الاوسط وولادة دولتي سوريا ولبنان ، بيروت ١٩٧١
(٣١) السفرجلاني ، محي الدين
تأريخ الثورة السورية ، دمشق ١٩٦١
(٣٢) الشكعة ، مصطفى
أسلام بلا مذاهب ، بيروت ١٩٧١
(٣٣) الشريف ، منير
المسلمون العلويون من هم ؟ واين هم ؟ دمشق ، ط ٣ ، ١٩٦١
(٣٤) الشهرستاني (ابو الفتح) :
«الملل والنحل على هامش الفصل لابن حزم» القاهرة ، ١٩٢٩ .
(٣٥) الشيبي (كامل مصطفى) :
«الفكر الشيعي والنزعات الصوفية» بغداد ١٩٦٦
(٣٦) الصابي (ابو الحسن) :
«كتاب الوزراء» تحقيق عبد الستار فراج ، مطبعة الحلبي ١٩٥٨
(٣٧) الصالح ، محمود :
النبأ اليقين عن العلويين ١٩٦١
(٣٨) أبن الطقطقي (محمد بن علي بن طباطبا) :
«الفخري في الأداب السلطانية» القاهرة ، ١٩٢٣
(٣٩) الطبراني (ابو القاسم) .
«الدلائل في معرفة المسائل» مخطوطه ، برلين ، الشرقيات برقم ٣٠٤

(٤٠) الطويل (محمد أمين غالب) :
«تاريخ العلويين» دار الاندلس للطباعة ، بيروت ١٩٦٦
(٤١) العاملي (محسن الأمين) :
«أعيان الشيعة» بيروت ١٩٦٠
(٤٢) عبيد ، سلامة
الثورة السورية الكبرى ، على ضوء وثائق لم تنشر ، بيروت
(٤٣) عثمان هاشم
العلويون بين الاسطوره والحقيقة ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت
(٤٤) عثمان ، عبد العزيز
سوريا ولبنان ـ دراسة شاملة للجغرافيا الطبيعية والحياة البشرية والاقتصادية ، حلب ١٩٥٤
(٤٥) العجلوني ، محمد علي
ذكرياتي عن الثورة العربية الكبرى ، عمان ١٩٥٦
(٤٦) عزمي ، محمود
دراسات في الاستراتيجيه الاسرائيلية ، بيروت ١٩٧٩
(٤٧) العطار ، نادر
تاريخ سوريا في العصور الحديثة جـ ١
(٤٨) علي ، محمد كرد
خطط الشام ، دمشق ١٩٢٥
(٤٩) عوض ، عبد العزيز محمد
الادارة العثمانية في ولاية سوريا ، القاهرة ١٩٦٩
(٥٠) الغزالي (ابو حامد) :
«فضائح الباطنية» ، تحقيق عبد الرحمن بدوي ، القاهرة ١٩٦٤

(٥١) فنصا ، نذير
أيام حسني الزعيم ، بيروت ، ١٩٨٢
(٥٢) قدري ، أحمد
مذكرات عن الثورة العربية الكبرى ، بيروت ١٩٥٦
(٥٣) قرقوط ، ذوقان
: المشرق العربي ، في مواجهة الاستعمار ، قراءة في تاريخ سوريا المعاصرة ، الهيئة المصريه العامة للكتاب
: تطور الحركة الوطنية في سوريا ، بيروت ١٩٧٥
(٥٤) القمي ، أبن بابويه
عقائد الشيعه الاماميه ، طهران ١٣٧٠ هـ
(٥٥) كاشف الغطاء (محمد حسين) :
أصل الشيعه وأصولها ، النجف ١٩٦٢
(٥٦) كوثراني ، وجيه
: الاتجاهات الاجتماعية / السياسية في جبل لبنان والمشرق العربي ، بيروت ١٩٧٦
: بلاد الشام . بيروت ١٩٨٠
(٥٧) كولد زيهر (اجنتس) :
«العقيدة والشريعه في الاسلام» ترجمة محمد يوسف موسى وأخرين ، القاهرة ، ١٩٥٩
«مذاهب التفسير الاسلامي» ترجمة عبد الحليم النجار ، بغداد ١٩٥٥
(٥٨) الملطي (أبو الحسين) :
«التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع» تحقيق سفن دريدنك ، لايبزك ١٩٣٦
(٥٩) المقريزي (تقي الدين) :
«الخطط» ، مصر ١٩٥٣

(٦٠) المقدسي (شمس الدين) :
«أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم»
طبعة دي غويه ، ليدن ، ١٨٧٧ .

(٦١) موسى ، سليمان
الحـركـة العربية ، المرحلة الاولى للنهضة العربية الحديثة ١٩٠٨ - ١٩٢٤
بيروت ١٩٧٧

(٦٢) الموسوي (عبد الحسين شرف الدين) :
«الفصول المهمة في تأليف الأمة» ط ٤ النجف

(٦٣) الشيخ المفيد :
«تصحيح عقائد الشيعة الامامية» ، تبريز ١٩٧٧

(٦٤) النوبختي (ابو سهل) :
«فرق الشيعة» تحقيق هلموت ريتر ، استنبول ١٩٣١

(٦٥) وجدي ، محمد فريد
دائرة معارف القرن العشرين ، القاهرة ١٩٢٥

(٦٦) ولهوزن ، يوليوس
أحزاب المعارضة الدينية السياسية في صدر الاسلام - الخوارج
والشيعة - ترجمة عبد الرحمن بدوي ، القاهرة ١٩٥٨

ثالثا : المصادر الأجنبية

1- Baer ,Gabriel ,"Population and Society in the Arab East , 1964 .

2- Bannermann , M . Graeme , "The Syrian Arab Republic ," in :
David E .Long and Bernard Reich (ed) , "The Government and Politics of the middle East and North Africa ," Wertview Press , Colorado , 1980 .

3- Batatu , Hanna, "Some Observations on the social Roots of Syria 's Ruling Military Group and the Causes for its Dominance" , Middle East Journal , Vol . 35 . No . 3 , Summer 1981 .

4- Boneschi , P., "Une Fatwa du Grand Mufti de Jerusalem" , R. H. R. No. 122 (1940) .
5- Brockleman , C., "History of the Islamic Peoples ," London , 1959 .
6- Cahen , C ., "Notes sur les origines de la Communaute Syrienne des Nusayris" , R. E. J. , No . 38 (1970) .
7- Catafago , Von J ., "Drei Messen Der Nusairier ," Z. D. M. G. (1948) .
8- A Committee of the Royal Anthropological Institute of Great Britain and Ireland , "Notes and Queries on Anthropology ," Sixth Edition , 1954 .
9- Dawisha , Adeed I ., "Syria and the Lebanese Crisis ," The Macmillan Press , London , 1981 .
10- Dawisha , A. I. , "Syria Under Asad 1970 - 1978 , the Centers of Power ," Goverment and Opposition ," Vol. 13, No. 3 , Summer , 1978 .
11- Drysdale , Alisdair , "The Assad Regime and its Troubles ", MERIP Reports , No. 110. Nov. - Dec. 1982.
12- Erisen , Ihsan Mesut - samancigil , Kemal , "Bektasilik ve Alavilik Tarihi ," Istanbul , 1966 .
13- Eroz , Mehmet , "Alavilik - Bektasilik ," Istanbul , 1977 .
14- Eyuboglu , Ismet Zeki ,"Bektasilik Alevilik ," Istanbul , 1980 .
15- Furlong , Geoffry , "The Tragedy of Lebanon ," Asian Affairs , Vol. IX , Part II , (June 1978).
16- Golpinarly, Abdul - Baqy, "Tarih Boyunca Islam Mezhepleri ve Sillik ," Istanbul , 1979.
17- Hirst , David and Irene Beeson, "Sadat ," Faber and Faber , London , 1981 .
18- Hitti ,. Philip , "History of the Arabs ," London , 1961.
19- Hourani, Albert ,"Syria and Lebanon ," London , 1946 .
20- Hudson ,Michael C., "Arab Politics: The Search for Legitimacy ," Yale University Press , New Haven and London , 1977.
21- Ivanov , W., "The Alleged Founder of Ismailism," Bombay, 1946.
22- Jacquot, Col. Paul , "L'Etat des Alaouites ," Beyrouth , 1929.
23- Jurji , E. J., "The Alids of North Syria ," M. W. , No. 29 (1939).
24- Karam , Mirza , "The Sect of Ali Ilahis ," M. W. , No. 29 (1939).
25- Kelidar , A. R. , "Religion anc State in Syria ," Asian Affairs, Vol. 61 (New Series No. V) Part I , February , 1974.
26- Khadduri , Majid , "Arab Personalities in Politics ," The Middle East

Institute , Washington D. C. , 1981.
27- Lammens , H., "Aux Pays des Nusairis ," Revue de L' Orient (1899 -1900)
28- Lammens , H., "Une Visite au Saih Supreme de Nusairis Haidaris ," J. A. , Vol. 5.
29- Lewis , B., "The Origins of Ismailism ," Cambridge , 1940.
30- Mclaurin , R. D. "Foreign Policy Making in the Middle East ," Praeger Publishers , New York , 1977 .
31- The New Encyclopedia Britannica , Vol. 17, 15th edition , 1974 .
32- Petran , Tabitha , "Syria , A Modern History ," London , 1978 .
33- Picard , Elizabeth , "Y a - t-il un problème Communautaire en Syrie?" Maghreb - Machrek , No. 83, 1979 ,
34- Polk ,William R. , "The Elusive Peace : The Middle East in the Twentieth Century ," Groom Helm , London , 1979 .
35- Rabinovich , Itamar , "The Foreign Policy of Syria : Goals , Capabilities , Constraints and Options ," Survival , Vol. XXIV ,NO. 4 (1982) .
36- Salisbury , Edward E. , "The Mystries of the Nusairian Religion ," J. A. O. S. , No. 8 (1864) .
37- Seale , Patrick , "The Struggle for Syria ; A Study of post - War Arab Politics(1945 - 1958) ,"London , 1965 .
38- Sertoglu , "Murat Bektasilik Nedir ," Istanbul , 1969 .
39- Siraj - ul - Haqq , "Some Side Lights on the Nosairis ," Decca Uni Studies , JJ (1935) .
40- Strothmann,R., "Die Nusairi im Heutigen Syrien," Nachr.Akad. Wiss, Gottingen,phil,Dis,Kl.(1950)
41- Strothmann,R.,"Seel Enwanderung Bei den Nusairi," ORIENT,No.12 (1959).
42- Tibawi,A.L.,"A Modern History of Syria," London,1969.
43- Torrey,Gordon H., "Aspcts of the Political Elite in Syria," in George Lenczowski(Edit.) , "Political Elites in the Middle East ," Washington D. C ., 1978 .
44- Trowbridge , S. Van. R., "The Alavis" , M. W. No. 2 (1921) .
45- Trowbridge , S. Van. R., "The Alavis or Deifers of Ali" . Harvard Theological Review , No. 2 (1909) .
46- Van Dam ,Nikolaos , "The Struggle for Power in Syria ," Croom Helm , London , 1979 .

47- Van Dausen , Michael , "Political Integration and Regionlism in Syria ," MEJ, Vol. 26, No. 21, Spring 1972 .
48- Vatikiotis , P. J. "The Politics of the Fertile Crescent ," in : Paul Y. Hammond and Sidney S. Alexander , "Political Dynamics in the Middle East ," Elsevier Publishing Co., Inc., New York , 1972 .
49- Vernier , Bernard , "Le Role Politique de l' armee en Syrie ," Politique Etrangere , Vol. 29, 1965 .
50- Vernier ,Bernard , "Armee et Politique au Moyen Orient ," Paris , 1966 .
51- Weulersse ,Jacques , "Le Pays des Alaouites ," Tours , 1940 .
52- Weulersse , Jacques , "Paysans de Syrie et du Proche Orient , Paris , 1946 .
53- White , G. E., "Some Non - Conforming Turks ," M. W., No. 8 (1918) .
54- Ziadeh , N. A., "Syria and Lebanon ," Librairie ou Liban , Beyrouth , 1968 .

رابعاً : الدوريات

١ـ حامد ربيع ، "العالم العربي في ملف الاستراتيجية الامريكية"، مجلة الموقف العربي ، القاهرة ، العدد (١٠) ١٩٧٨
٢ التقرير السياسي ، مركز الخليج للدراسات العربية ، الشارقة ، العدد (٦) ١٩٨١

3- Christian Science Monitor .
4- The Guardian .
5- The Economist .
6- U. S. News and world Report .
7- Harvard Theological Review .[H .T .R]
8- Revue de l' Histoire de Religion .[R .H .R
9- The Muslim World .[M .W)
10- Revue des Etudes Islamiques .[R .E .I)
11- Journal Asiatiqe .[J .A)
12- Zeitschrift Fuer Deutsche Morgenlandische Gesellschaft . (Z .D .M .G)
13- Islamic Culture .(I .C)
14- Journal of the Royal Asiatic Society .(J.R.A.S)
15- Journal of the American Orientalist Society .(J.A.O.S)

الفهرست